

مصر وليبيا
فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م

تأليف

د. أحمد عبد الحلیم دراز



مصر وليبيا
فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م

موقع تاوالت الثقافي

www.tawalt.com

تأليف
د. أحمد عبد الحليم دراز



المقدمة:

يسرني ان أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب عن "مصر وليبيا بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد". وهو في الأصل رسالة عليها حصل بها صاحبها الدكتور "أحمد عبد الحليم دراز" على درجة الدكتوراه. ومن المعروف ان العلاقات المصرية الليبية علاقات قديمة أشارت إليها المصادر الفرعونية عندما كانت تتحدث عن الحملات التأديبية التي كان يقوم بها الجيش المصري ضد القبائل الليبية وعودتها محملة بالأسرى والغنائم، ومحاوله القبائل الليبية النزوح إلى مصر على مدى التاريخ الفرعوني.

وقد بدأ الباحث دراسته بتناول الأوضاع في مصر وليبيا خلال عصر الانتقال الثالث، وتعرض للعلاقات بين مصر والأقوام الليبية مثل "التنحو" و"التمحو" و"الماشواش"، خصوصا في عهد رمسيس الثاني ورمسيس الثالث حتى بدأ الليبيون يلعبون دورا في التاريخ المصري باشتراكهم في الحرب ضد "مرنبتاح" ورمسيس الثالث، ثم يتسللون بعد ذلك إلى البلاد بعد اضطراب الأحوال في مصر بعد رمسيس الثالث، وما تبعه من إهمال الحدود الغربية، وتأسيسهم أسرا حاكمة داخل مصر.

وفي الفصل الثاني تناول الباحث الأسباب التي أدت إلى قيام الأسرة 26 وسياستها الداخلية في عهد بسماتيك، وتناول دوافع الاستعمار الإغريقي لليبيا، وأثره على العلاقات المصرية الليبية حتى الاحتلال الفارسي لمصر عام 525 قبل الميلاد.

أما الفصل الثالث فتناول فيه العلاقات المصرية الليبية في ظل الاحتلال الفارسي لمصر والسيطرة الإغريقية في ليبيا.

وفي الفصل الرابع. تعرض للمقاومة المصرية للاستعمار الفارسي، ودور الليبيين في هذه المقاومة. وتناول ثورات المصريين بعد موت قمبيز، وبعد هزيمة الفرس في ماراثون، وتعرض لخمس مراحل ثورية انتهت بتخلص المصريين من الاحتلال الفارسي الأول في حوالي سنة 404 قبل الميلاد، عندما أصبح قائد الثورة فرعوناً لمصر ومؤسساً للأسرة الثامنة والعشرين.

أما الفصل الخامس فقد تناول فيه الباحث التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وليبيا.

والكتاب على هذا النحو يسد فراغاً في تاريخ علاقات مصر وليبيا قبل الميلاد. وأملني ان يجد فيه القارئ المتخصص والمثقف العادي ما ينشده من فائدة ومنتعة.

والله الموفق

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

الإهداء

إلى أستاذاي الجليل

أ.د. جاب الله علي جاب الله

أستاذ تاريخ وآثار مصر والشرق الأدنى القديم

وأمين المجلس الأعلى للآثار



J.E.A. = Journal of Egyptian Archaeology.

J.H.S = Journal of Hellenic Studies.

J.N.E.S. = Journal of Near Eastern Studies.

L.R. = Gauthier, H., Le Livre des Rois d'Égypte, 5 Tomes, 1907-1917.

M.D.A.I.K. = Mitteilungen des Deutschen Instituts für Ägyptische Altertumskunde in Kairo augsbug-Berlin, 1930f.

M.I.F.A.O. = Memoires Publies Par les Membres de L'Institut Française d'Archeologie Orientale du Caire.

P.M. = Porter, B., and Moss, R., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts Reliefs and Paintings, 7 vols, Oxford, 1927-1957.

Third Intermediate = Kitchen, K.A., the Third Intermediate Period in Egypt (1100-650 B.C) 2nd ed., Warminster, 1986.

Z.A.S., = Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde.

قائمة الاختصارات

A.E., = Ancient Egypt, A Social History, Cambridge 1984.

A.E.O. = Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastiga 2 vols, Oxford, 1927.

A.J.S.L. = American Journal of Semitic Languages and Literatures.

A.N.E.T = Pritchard J., ed.) Ancient Near Eastern Texts Relating To The Old Testament, Princeton 1969.

A.R.A.B. = Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, 1926-1927.

A.E.A.E. = Annales du Service des Antiquites de L'Égypte.

B.A.R = Breasted, JH, Ancient Records of Egypt, 5 Vols, Chicago, 1906-1907.

B.F.A.O.= Bulletin de L'Institut Français d'archeologie Orientale.

C.A.H. = Cambridge Ancient History, (3rd ed.) 2 vols. 1980.

C.D.E. = Chronique d'Égypt.

Histo. Of the Pers. Emp. = Olmstead, A.T., History of the Persian Empire, 5th ed., Chicago, 1966.

مقدمة

كان اختيار موضوع البحث من الأمور المهمة التي تشكل صعوبة كبيرة أمام الدارس في هذه المرحلة، وكان الموضوع دراسة الماجستير- والذي تناول العلامة بين مصر وفلسطين فيما بين القرن الحادي عشر و القرن الثامن ق.م- اثر كبير في ان يفكر المدرس في السير على نفس الطريق، ورأى ان الأمم الواقعة شرقي مصر قد تناولتها دراسات عديدة، فكان لا بد من الاتجاه غربا (ليبيا) وهنا تردد أستاذي كثيرا في الموافقة على هذا الاتجاه موضحا كم الصعوبات التي يمكن ان تعترض البحث خاصة في الفترة الزمنية من القرن السابع حتى الرابع قبل الميلاد، ومن أهم هذه الصعوبات قلة المصادر الأصلية الباقية عن تلك الحقبة من تاريخ مصر مع كثرة الاختلافات بين آراء علماء الآثار حول غالبية معلومتها، ومنها أيضا ندرة المصادر الباقية عن تاريخ ليبيا القديم وذلك لقلة الدراسات لأثرية المنظمة بما حتى الآن وان وجدت بعض الدراسات فإنها تعتمد على المصادر المصرية أولا وأخيرا، وتوقفت هذه الدراسات عند نهاية الدولة الحديثة من تاريخ مصر حيث تكثر الإشارة إلى الليبيين في المصادر المصرية ومن

أهم هذه الدراسات

J, Yoyotte, « au Delta du principautes les »

,66 .O.A.F.I.M , « Libyenne anarchie'L de temps
121-181 .PP ,1961

Gomaa, F., Die Libyschen Fürstentumer
des Delta vom tod Osorkons II bis Zur
wieerveienikung Agypten durch psametik I,
Wiesbaden, 1974.

وهناك رسالة ماجستير من معهد الدراسات الإفريقية
للدكتورة زينب عبد العال بعنوان «مصر وليبيا منذ أقدم العصور
حتى نهاية الدولة الحديثة» ونوقشت الرسالة عام 1975.

من الواضح إذن ان علاقة مصر وليبيا في العصر المتأخر
(موضوع البحث) لم تتناولها حسب معلوماتي المتواضعة أية دراسة
علمية مفصلة، وان كان «رو» قد كتب بحثا بعنوان A, Rowe, «
New light on .Cyrenaica Ancient of History A »
Aegypto – Cyrenaean Relations Two Ptolemaic
Statues Found in Tolmeito », A.S.A.E, cah. 12,
1948, PP. 1-35

ورغم هذه الصعاب التي أوضحها لي أستاذي فإنه كان
لدي إيمان راسخ بوجود علاقة بين مصر وليبيا من انطلاقا انه إذا
كانت هناك علاقة بين مصر وأقطار غربي آسيا على مدى التاريخ
رغم بعد هذه الأقطار عن مصر بالمقارنة بليبيا، فلا بد من وجود

علاقة (ربما تكون اكبر) بين قطرين متجاورين ومتعاصرين لجميع
المراحل التاريخية منها وما قبل التاريخ، إلا ان الفوارق هنا ترجع
للظروف التاريخية لأقطار غربي آسيا وتوصل مجتمعاتها لعصر الكتابة
وامتلاك لغة للتدوين (الأمر الذي لم يتوافر للقطر الليبي إلا حديثا)
جعل الباحثين يمتلكون كما هائلا من تفاصيل هذه العلاقة، حيث
يتوافر لأي دارس هنا مصدران يستقي منهما معلوماته مصدر مصري
ومصدر أجنبي (وهذا ما لا يتوافر في حالة العلاقات مع القطر الليبي)
مما دفع معظم الدراسات التي تناولت علاقة مصر بغيرها من بلاد
الشرق الأدنى القديم إلى جهة الشرق، وهذا في الوقت نفسه ما
جعلهم لا ينظرون إلى الغرب (أي ليبيا)، وربما يرجع اهتمام الباحثين
بالشرق أيضا إلى تأثير هذه الأقطار المباشر والواضح في تاريخ مصر،
فمعظم محاولات غزو مصر (ان لم تكن كلها) جاءت من الشرق
(الهكسوس – الاشورين – الفرس) وهنا يرى الدارس ان تأثير ليبيا
ربما يكون أكثر من ذلك، فإذا كانت الشعوب الغازية لمصر من جهة
الشرق قد أثرت في تاريخ مصر السياسي، فان ليبيا ربما كان لها تأثير
حضاري واجتماعي .

كما وضع الدارس في اعتباره أيضا ان أية دراسة أو إشارة
بسيطة للعلاقات المصرية الليبية كانت تعتمد في المقام الأول أو الأخير
على المصادر المصرية، وبالتالي تتبنى وجهة النظر المصرية، وعلى سبيل
المثال إشارات الفراعنة إلى حملاتهم التأديبية ضد القبائل الليبية والتي
كانت دائما تعود بالغنائم الكثيرة من ماشية وغنائم وأعداد كبيرة
من الأسرى، وكانت هذه المصادر تشير في نفس الوقت إلى ان محاولة
القبائل الليبية دخول مصر كان سببه الفقر و الجذب .

ونلاحظ هنا تناقضا صارخا بين كثرة الغنائم من الماشية

والأغنام والأسرى وبين ما يقال عن فقر هذه المناطق وجدبها، حيث ان كثرة الماشية والأغنام والإنسان يدل على انها مناطق غنية بمراعيها القادرة على ان تؤوى هذه الأعداد الكبيرة من الحيوانات والبشر، ومعنى غنى هذه المناطق فان محاولة القبائل الليبية النزوح إلى مصر على مدى التاريخ الفرعوني لم يكن سببه الجوع بل ربما كانت هناك أسباب أخرى. وعلى ذلك كان لابد من دراسة تتناول علاقة مصر وليبيا اخذة في الاعتبار وجهتي نظر البلدين، وانعكاس أوضاعهما الداخلية على علاقة كل منهما بالآخر وكان هذا هو الخط الرئيسي والأساس في الرسالة، وقد استتبع ذلك إعادة النظر في بعض النصوص المصرية وإعادة تحليلها، وأيضا محاولة الاعتماد على بعض المصادر الليبية على قلتها، والقيام بوصف وتحليل هذه المصادر ومقارنتها بالمصادر لاستخلاص بعض النتائج والتي ربما تحمل وجهة نظر جديدة.

وقد جاءت الدراسة في خمسة فصول مرتبة ترتيبا زمنيا على النحو التالي:

الفصل الأول: مقدمة، مصر وليبيا خلال عصر الانتقال الثالث.

الفصل الثاني: مصر وليبيا في عصر الأسرة السادسة والعشرين.

الفصل الثالث: مصر وليبيا في عصر الاحتلال الفارسي (252-404 ق.م).

الفصل الرابع: الليبيون وتحرير مصر من الاحتلال الفارسي.

الفصل الخامس: التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وليبيا.

تناول الدارس في الفصل الأول الأوضاع في مصر وليبيا

خلال عصر الانتقال الثالث فتعرض لأحوال البلدين الداخلية وانعكاسها على العلاقات الخارجية، فتناول حالة مصر الاقتصادية والاجتماعية وما آلت إليه من انهيار وأسباب ذلك وانعكاسها على حالتها السياسية مما أدى إلى ضياع سلطة الفرعون وازدياد نفوذ الكهنة وتأثير هذه الأحوال على سياسة مصر الخارجية.

أما ليبيا فقد تناول الدارس جغرافيتها السياسية. موضحا أهم القبائل التي كانت تستوطنها، متتبعا تاريخ كل قبيلة ومناطق نفوذها ومحاولة كل منها توسيع مناطق نفوذها على حساب الأخرى، ومحاولاتهم المتكررة لدخول مصر.

واختتم الفصل بتناول العلاقات بين مصر وليبيا في ظل الهجمة الأوربية المتمثلة في شعوب البحر ونجاح «مرنباح» و«رمسيس» الثالث في وقف تقدمهم صوب مصر وان سمح الأخير لبعض قبائلهم بالاستقرار في بقاع من مصر، كما نجحت بعض القبائل الليبية في التسلسل السلمي والاستقرار بمصر وساعد انحطاط السلطة المركزية في مصر، هؤلاء الليبيين على تأسيس اسر حاكمة داخل مصر، وقد لعب العنصر الليبي دورا قياديا في مصر منذ نهاية عهد رمسيس الثالث حتى قيام الأسرة السادسة والعشرين، وهو ما يعرف بعصر الانتقال الثالث.

في الفصل الثاني: عالج الدارس ظروف قيام الأسرة السادسة والعشرين، والأساليب والوسائل التي اتبعها بسماتيك الأول لجمع السلطة في يديه ثم طرد الحاميات الآشورية وإعلان استقلال مصر، وأيضا سياسة ملوك الأسرة السادسة والعشرين الداخلية ومشاريعهم المختلفة في الداخل والخارج.

أما في ليبيا فقد استعرض الدارس دوافع الاستعمار الإغريقي بصفة عامة ثم محاولة معرفة توافر هذه الدوافع في ليبيا، وعلى اثر ذلك أسس الإغريق مدينة «قوريني» وقامت مملكة الباطيين في ليبيا الشرقية، وكان لقيام مملكة قوريني اثر كبير في علاقة مصر وليبيا في هذه الفترة، حيث كان لمحاولة الإغريق الحصول على مزيد من أراضي الليبيين اثر سئ في وقوع الصدام بين الفريقين مما دفع القبائل الليبية إلى طلب المساعدة المصرية، وكان ذلك في عهد الملك «أبريس» الذي أرسل جيشا لنجدة القبائل الليبية، إلا ان الليبيين وحلفائهم المصريين هزموا في معركة «ايرازا»، وكان لهذه الهزيمة الأثر الأكبر على أحوال مصر الداخلية حيث قامت ثورة ضد أبريس انتهت باعتلاء «امازيس» العرش والذي وجد في عقد المعاهدات السلمية خير وسيلة للحفاظ على استقلال مصر خاصة مع علمه باستعداد الفرس للانقضاض عليها، وظل الحال على ما هو عليه حتى الاحتلال الفارسي لمصر عام 525 ق.م.

في الفصل الثالث: يناقش الدارس علاقة مصر وليبيا في ظل السيطرة الأجنبية حيث تناول الاحتلال الفارسي لمصر، وألقى الضوء على أحوال مصر الداخلية السيئة والتي ساعدت الفرس على احتلالها، وموقف «قوريني» من هذا الاحتلال، ثم تناول الدارس السياسة التي انتهجها ملوك الفرس في مصر ومحاولاتهم التقرب للمصريين لدرء ثورتهم التي نشبت بمجرد دخول الفرس إلى مصر.

أما ليبيا، فقد تناول الدارس أحوالها الداخلية مشيراً إلى الحالة الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على الاستعمار الإغريقي في قورينائية وانعكاس هذه الأوضاع على الحالة السياسية، فكانت الحرب الأهلية بين «اركسيلاوس» الثالث و«ارستقراطية قوريني»، ودور مصر في هذه

الحرب واستنجد «فرينيمي» والدة «اركسيلاوس» ب«اريناندس» والى مصر الفارسي للانتقام من قتلة ابنها، ثم قام الدارس بمناقشة حملة «اريناندس» تاريخها وأسبابها ونتائجها، مفندا بعض الآراء ومؤيدا بعضها الآخر معتمدا على الأدلة الأثرية.

أما الفصل الرابع: فيتناول المقاومة المصرية للاستعمار الفارسي حتى الاستقلال ودور الليبيين في هذه المقاومة، ويتحدث هذا الفصل عن الثورة المصرية في مراحل عدة، فقد نشطت المرحلة الفعلية الأولى من ثورة المصريين ضد الاحتلال الفارسي بعد موت «قمبير» ومع تولي «دارا» الأول سنة 522 ق.م، ويذكر «درا» في نصوصه انه قضى عليها، أما المرحلة الثورية الثانية فكانت حوالي 486 ق.م. بعد هزيمة الفرس في «ماراثوان» وقد مات «دارا» قبل قمعها، فقام ولده وخليفته «اكزركسيس» بإطلاق يد أخيه «اخمينس» بن دارا في مصر، وكان شديد القسوة عنيفا في إخماد ثورة المصريين سنة 484 ق.م. وقد أثير جدل كبير حول قائد هذا الثورة وحول هويته.

أما المرحلة الثالثة للثورة فكانت حوالي 460 ق.م في عهد الملك «ارتكزركسيس» وكانت ثورة منظمة يقوها «ايناروس» ويساعده «أمير تايوس» وكانت نتيجة تلك الثورة إيجابية، فقد قتل «اخمينس» وهربت الحامية الفارسية إلى منف، وقد دعم العون الخارجي من بلاد الإغريق، الثورة المصرية، ولم يتمكن «ارتكزركسيس» من استعادة سلطانه في مصر إلا بعد حوالي عام ونصف العام، وبعد جهد استطاع قائده «مجازوس» بجيشه الضخم القضاء على الثورة ومطاردة الإغريق وحصارهم في إحدى جزر الدلتا واسر قائد الثورة ايناروس واقتيد إلى حاضرة الفرس حيث اعدم بأمر الملك.

الفصل الأول

مصر وليبيا

خلال عصر الانتقال الثالث

أولا- مصر:

(أ) الأحوال الداخلية:

1- الحالة الاقتصادية والاجتماعية

2- الحالة السياسية.

ثانيا- ليبيا:

(ب) الأحوال الداخلية

1- جغرافية ليبيا السياسية. التحنو-التمحو-الماشواش-

الليبو.

2- الحالة الاقتصادية.

ثالثا- مصر وليبيا وشعوب البحر:

وبدأت المرحلة بتسلم «أمون ارديسو» الأول أمير سايس الراهية من زعيمه «ايناروس» واستطاع ان يحافظ على استقلال إمارته لعدة سنوات، وحاول ان يحصل على المعونة العسكرية الأثينية في مقابل الغلال المصرية، ولكن معاهدة «كالميس» سنة 449 ق.م بين الفرس وأثينا قضت على أمله في ذلك لان أثينا تعهدت في تلك الاتفاقية بعدم تقديم أي عون لمصر ضد فارس.

وتبدأ المرحلة الخامسة مع نهاية عهد «دارا» الثاني واستطاع الشعب المصري تحت قيادة زعيمه «أمون ارديسو» الثاني ان ينتزع حريته، وبذلك تخلصت مصر من الاحتلال الفارسي الأول في حوالي 404 ق.م حيث أصبح قائد الثورة فرعوناً لمصر ومؤسساً للأسرة الثامنة والعشرين التي اقتضرت عليه وحده.

ويشير الدارس في نهاية الفصل إلى الأصول اللببية لأسرات العصر المتأخر محاولاً إثبات ذلك عن طريق الأدلة الأثرية والاستنتاجية.

أما الفصل الخامس والأخير فيتناول التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وليبيا، ويعقد الدارس في هذا الفصل المقارنة تلو الأخرى بين العناصر الفنية في كل من مصر وليبيا مع ذكر أمثلة فنية مازالت باقية حتى الآن وصولاً إلى مدى التأثير الفني والحضاري بين مصر وليبيا.

السفن وإصلاحها، وتراوحت مساحة مزارعها بين 12 و15% من أراضي مصر الزراعية.¹

علاوة على كل هذا كانت هذه المعابد لا تؤدي ما هو مفروض عليها من الضرائب، وذلك لتولي عائلات كبار الكهنة للوظائف المهمة في الدولة.²

وقد زاد فراعنة هذه الفترة من حدة الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها مصر وذلك عندما أسرفوا في إقامة المنشآت المعمارية، فحفروا مقابر ضخمة على غرار من سبقوهم في العصور الزاهية.³

1- عن ترجمة بردية هاريس انظر B.A.R. IV 151. ff ويلسون: الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، 1955، ص 429.

الآن جاردرن: مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل، القاهرة، 1973، ص.322. Faulkner R. O, « Egypt From the Inception of the Nneteeth Dyansty the Death of Ramesses III » C.A. H3, 2A. 1980, P. 245. Cerny, J, "Egypt From the Death of Ramesses III o he End of the Twenty-First Dyansty" C.A.H, 2B, P 626

2- من الأمثلة التي نوضح سيطرة عائلات كبار الكهنة على الوظائف المهمة، انه في عهد "رمسيس" الخامس كان "رمسيس نخت" كبيرا لكهنة آمون في الوقت الذي كان أبوه "مرى بارست" رئيسا للمأموري الضرائب بينما تولى اثنان من أبنائه وظيفتين من أهم الوظائف في البلاد، فكان ابنه "نسي آمون" كبيرا لكهنة آمون من بعده، وابنه "وسر ماعت رع نخت" كبيرا للمأموري الضرائب والمشرف على ارض الملك.

.. Kitchen, K.A., Third Intermediate in Egypt, P. 46 انظر

3- هناك نص من العام الثالث للملك "رمسيس" الخامس في وادي الحمامات يسجل استحضر حجر ماخر من محجره المشهور، وهذا أمر طبيعي، ولكن إذا علمنا ان عد المكلفين بمذا العمل بلغ ثمانية آلاف عامل اتضح لنا ضخامة العمل

أولاً - مصر:

(أ) الأحوال الداخلية:

1- الحالة الاقتصادية والاجتماعية:

تمورت أحوال مصر الاقتصادية خلال عصر الانتقال الثالث، وسارت من سئ إلى أسوأ، وكان وراء ذلك العديد من العوامل الداخلية والخارجية، منها الحروب المتكررة التي خاضتها مصر في الشرق والغرب ضد شعوب البحر من ناحية وضد عناصر الماشواش والليبو في مصر من ناحية أخرى، وما نتج عن ذلك من إنهاك للاقتصاد المصري، واستقرار بعض العناصر الأجنبية في مصر وأمكن لبعضها ان يرتقي عرش مصر كما حدث للأسرة الثانية والعشرين الليبية الأصل.

وفضلا عن ذلك فقد كان للهبات التي أهدتها فراعنة هذه الفترة على معابد الإلهة المختلفة، بالإضافة إلى انعاماتهم على نفر من الأمراء القدامى بإقطاعات كبيرة لضمان ولائهم، كان لهذا كله أسوأ الأثر على الأحوال مصر الاقتصادية، فتذكر بردية "هاريس" ان دخل هذه المعابد وحدها بلغ في عهد "رمسيس" الثالث ما يعادل 62 كيلو جراما من الذهب، 1189 كيلو جراما من الفضة و 2855 كيلو جراما من النحاس، وان مراعيه كانت تؤول 42362 رأسا من الماشية الكبيرة والصغيرة، أهدى منها "رمسيس" الثالث 28337 رأسا دفعة واحدة، كما بلغ خل معابد مصر حينذاك نحو مائة ألف مكيال من الغلال، واستأثرت بحيرات 169 مدينة وقوية في مصر وخارجها، وامتلكت أكثر من 88 سفينة ونحو 50 ترسانة لصناعة

ووصولها إلى أرقى المناصب في الدولة، ويمكن القول أم زيادة عدد الأجناب في القصور الفرعونية كان من العوامل التي أثرت في أحوال مصر الاجتماعية، حيث زاد الزواج من أجنبيات، وازدادت أعداد الجوارى، واحتوت القصور إلى جانب الجوارى على أعداد من الحشم عملوا خدما وسقاة ووصفاء حتى تسللوا إلى مخدع الفرعون ذاته.⁵

فإذا كانت الحالة على نحو ما مر بنا فلا غرابة إذا رأينا حالة الحكومة مضطربة ومزعزعة ووجد الموظفون ما يغريهم على العمل لحسابهم الشخصي بدلا من ان يعملوا لمصلحة الدولة، فكان أكثرهم طموحا يعرف كيف ينتزع بوضع اليد بعض ممتلكات أمون التي كانت قد اتسعت، كما ان فرق الجند المرتزقة كانت دائما على استعداد لان تشن الغارات وتكون أداة للشغب والتمرد بينما فعلت المؤامرات السياسية فعلها في تخريب الخدمات العامة، فتهورت المحاصيل الزراعية وكثرة الجماعات وانساق صغار القوم وراء كبارهم في أعمال السلب والنهب⁶ وقد أدت هذه الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وما آلت إليه من سوء إلى اضطراب أحوال مصر السياسية وتفتت وحتها خلال عصر الانتقال الثالث.

5- Kitchen K.A., "On the Princedomes of Late Libya" C.D.E. 52, 1977, PP.40-48

Trigger, B.G et ot, Ancient Egypt, A Social History, Cambridge, 1984, PP. 309-310

عب العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم جـ 1، مصر والعراق، ط 3، القاهرة، 1983، ص 43.

6- بويوت: مصر الفرعانة، ترجمة زهران، القاهرة 1966، ص. 14.

ومن العوامل الرئيسية التي أثرت على أحوال مصر الاقتصادية انها فقدت إمبراطوريتها في آسيا مما دفع الفراعنة إلى اغتصاب مباني الآخرين لإقامة منشآتهم المعمارية، فإذا قلنا ان اغتصاب مباني الآخرين عادة مصرية لم يخترعها ملوك هذه الفترة لكان ذلك صحيحا، لكن الصحيح أيضا ان الاغتصاب السابق لم يكن بهذا القدر الهائل، فضلا عن ان أصحابه قد أقاموا عمائر تعال أضعاف ما اغتصبوه عدة مرات، بعكس ملوك هذه الفترة الذين اعتمدوا في المقام الأول على الاغتصاب، وان ما أقاموه لم يكن أكثر من عملية تخريب وتخطيط لآثار الملوك السابقين، فإذا عجزوا عن هدم بعض المعابد الضخمة اكتفوا بمحو أسماء أصحابها من الفراعين ووضع أسمائهم عليها.⁴

ترتب على تردي الأوضاع الاقتصادية ان استمر التفاوت بين طبقات المجتمع في مستويات المعيشة مما أدى إلى اضطراب أحوال مصر الاجتماعية، أضف إلى ذلك استقرار العناصر الأجنبية في مصر الذي قطعت الأحجار من اجله انظر جاردنر: مصر الفرعانة، ص. 325.

4- فعل ذلك «وسركون» الثاني في بوياسطة عندما محا اسم الفرعون «رمسيس» الثاني من كل أجزاء معبده وأهداه إلى الإلهة «باست» بعد ان قام بتغيير أسماء المعبودات الأصلية التي كرس المعبد لها في الأصل، بل ان قبر «وسركون» الثاني نفسه إنما سرقت أحجاره من آثار ترجع إلى أيام الدولة القديمة والوسطى والحديثة، وقد غالى شاشانق الثالث في ذلك كثيرا حيث قام بوابته الهائلة التي أقامها في تانيس من عمائر يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين الدولة القديمة والأسرة الحادية والعشرين والأمر كذلك بالنسبة لمقابرهم.

ويلسون: الحضارة المصرية، ص. 435.

Kithen, Third Intermediate, P. 319.

2- الحالة السياسية:

كما سبق القول فإن تدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى ضياع هيبة الفرعون وازدياد نفوذ الكهنة خاصة كهنة الإله "أمون" وتفشي الفساد والرشوة داخل الجهاز الحكومي، وارتداء رجال الجيش للثياب الكهنوتية للوصول لأهدافهم السياسية، ثم انتحال الألقاب الفرعونية حتى أصبحوا يكونون دولة داخل الدولة، فكانت الانقسام والتفتت أمرا طبيعيا ونتيجة حتمية لما مرت به مصر خلال هذا العصر، وأصبحت السلطة موزعة بين كبير كهنة أمون في الجنوب وفرعون في الشمال، وقد حاول فراعنة مصر في هذه الفترة استعادة وحدة البلاد بوسائل مختلفة منها تعيين بعض أفراد البيت المالك على رأس الإدارات في كهانة أمون في طيبة، منها أيضا الزواج من الأسرة الكهنوتية الطيبة، إلا أن هذه السياسة بلا من أن تعم وحدة البلاد كانت من عوامل تفتتها حيث تمخض عنها تياران متعارضان، الأول رغبة الفرعون الجالس على العرش في تسليم المراكز والمناصب العليا في الدولة لرجال ينحدرون من سلالته مباشرة، أما الاتجاه الثاني فهو موقف الأحزاب التي سيسلب حقها في وراثة هذه المناصب خاصة منصب "كبير كهنة أمون" نتيجة تغير الفرعون الحاكم وكان لا بد من الصدام بين هذين التيارين وما كان يترتب عليه أحيانا من منازعات داخلية، ومنذ ذلك الوقت تركت البلاد في أيدي رؤساء محليين من الذين لا يعيشون إلا على الدس والتآمر، وانتهى الأمر بان استقلال معظم هؤلاء الأمراء بالمدن الرئيسية في مصر الوسطى والعليا (هيراكليوبولس-هرموبولس-طيبة) وأصبحوا يشيرون إلى أنفسهم وكأنهم ملوك مستقلون، وانتحل بعضهم الألقاب الفرعونية وكتب اسمه داخل خرطوش، ولتوضيح ذلك يمكن القول ان هيراكليوبولس

أصبحت عاصمة لمملكة يحكمها "بف ثاو عوى باست" ولعله كان من نسل الأسرة الثالثة والعشرين، كابن للملك "رود أمون"، وكان الإقليم العشرون بمصر العليا على وجه التحديد نواة لهذه المملكة، وقد امتدت لتشمل الإقليمين الحادي والعشرين شمالا والتاسع عشر جنوبا من أقاليم مصر العليا⁷ وقد حمل حاكم المملكة اسم العرش "نفر كارع" كما يتضح من خلال نقوش تمثال ذهبي للإله "حري شف"⁸ كما تظهر لوحة النصر الكوشية اسمه داخل خرطوش⁹ وكانت زوجته تلقب بالملكة "تاشرت ان است"¹⁰.

أما هرموبولس فقد أصبحت أيضا عاصمة لمملكة متسعة يحكمها ملك هو "نمرت" الرابع ولعله كان ابنا للملك "وسركون" الثالث الذي وضعه في حكم هذه المدينة من قبل، وقد امتدت هذه المملكة لتشمل الإقليم الثامن عشر من مصر العليا.¹¹

أما طيبة فقد أصبحت الزوجة الإلهية لآمون "شب ان وب" الأولى تهيمن على مقادير الأمور بعد ان حجبت بمركزها أهمية مركز الكاهن الأول الذي لم يسمع عنه في هذه الفترة، فضلا عن احتفاظها بكافة حقوقها الرسمية التقليدية بوضع اسمها داخل خرطوش، ليس

7 - Grimal, N., « La Stèle Triomphale de Pi (ankh). y au Musée du Carie. J.E., 48862 et 47086-47089 M.I.F.A.O., 105, 1981, P. 215.

8 - Petrie, W.F., A History of Egypt, Vol III London, 1905, PP. 270-271.

9 - Grimal, Op. Cit., pI. VIII, L. 70

10 - Daressy, G., "Fragments Haracleoplitains" A.S.A.E.; 21; 1921, PP. 138-139.

- Grimal, Op. Cit., P. 216; notes 632-634 11

فقط لأنها ملكة، ولكنها كمصدر السلطة باعتبارها زوجة اله.¹²

أما في الدلتا فكما يتضح من لوحة النصر الكوشية فإن الأحوال بلغت ذروة التفتت السياسي أبان تلك الفترة حوالي (730 ق.م) ففي "منف" ظل حكامها رؤساء "ألما" وكهنة بتاح العظام يتوارثون حكمها، أما شرق ووسط الدلتا، فقد أشارت نفس اللوحة إلى وجود ملكين "وسر كون" الرابع في تانيس و"ايوبوت" الثاني في تل المقدم، وهو آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، ومن المحتمل انه ظهرت لأول مرة إمارة لرؤساء "ألما" جنوب شرق الدلتا في "بر-جرر" (دار الضفدعة) والتي من المحتمل ان يكون موقعها عن الأطراف الشمالية لخليج السويس، كما ظهرت إمارة أخرى "للما" في "بر-سبد" (صفط الحنة).¹³

وفي شمال ووسط الدلتا ظلت "منديس" (تل الرابع وتل تمي الامديد)¹⁴ إمارة "للما" حيث اخذ حكمها يتوارثونها ابنا عن أب منذ أيام "شاشنق" الثالث كما ظهرت إمارة مستقلة في "تب-نتر" (سمنود حاليا) وامتدت لتشمل "بر-حببت" (هببت الحجارة) و"سما-بجدت" (تل البلامون مركز شربين).¹⁵

وأخيرا تكونت في وسط الدلتا إمارة لرؤساء "ألما" حكمها "شاشنق" في "بر-أوزير" (أبو صيرين)، أم غرب الدلتا فق كان "تف-نخت" حاكم سايس يحمل لقب "الرئيس العظيم للغرب"

12- يويوت: مصر الفرعونية ص 166-168.

13 - Montet, P., *Geographie de L'Egypte ancienne*, I; Paris, 10557, PP. 206-208.

14 - Gardiner, A.E.O., 2, 151*

15- Gardiner, A.E.O. 1, 180*, 195*, 1197*

ومدير إدارات مصر السفلى، وملك الأقاليم الغربية، إلى جانب الألقاب الدينية مثل "كاهن نيت" و"واجت" و"سيد العامو"، وغيرها من الألقاب التي نعكس حكمه في سايس حتى "بوتو" شمالا، وكوم الحصن في الجنوب الغربي، وهكذا سيطر "تف نخت" على النصف الغربي من الدلتا.¹⁶

كما سبق يتضح تفتت خريطة مصر السياسية بين الجنوب والشمال، واخل هذين الإقليمين الجغرافيين في عصر الانتقال الثالث.

ثانيا- ليبيا:

(أ) الأحوال الداخلية:

1- جغرافية ليبيا السياسية:

مازالت الأرض الليبية صامتا تماما فيما يختص بتاريخ ليبيا فقبل استعمار الإغريق لبرقة، مما جعل البعض يرجح خلو هذه الأرض من الوثائق¹⁷ ولذلك فانه ليس أمام أي باحث في التاريخ الليبي

16- Yoyotte, J., "Notes et documents pour servir a L'His-toire de Tanis, Kemi. 21 , 1971, PP. 35-52.

وقد تناول الدارس أحوال مصر الداخلية خلال عصر الانتقال الثالث بتفصيل كامل في رسالته للماجستير انظر.

احمد دراز: مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادي عشر والثامن ق.م.، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الزقازيق، 1991.

17- Carter. T.H., In Expedition, The Bulletin of the University Museum of the University of Pennsylvanian., Spring. 1963, Vol. 3, PP. 18.ff.

تشير إلى معارك بين فريقين، فريق اتخذ هيئة المصريين وفريق آخر اتخذ صفات الليبيين الذين صورهم المصريون على آثارهم في العصور التاريخية، وأول هذه المصادر هو "مقبض سكين جبل العركي"¹⁹ الذي صور على احد وجهي مقبضها معركة جرت على البر وفي الماء بين فريق اتخذ هيئة العامة للمصريين، أما الفريق الآخر فيظهر وقد انسدت جديلة من الشعر على جانب الرأس والصدغ لكل فرد من أفرادها، مما يقرهم من هيئة الليبيين، إلا ان الفريقين قد ظهرا بقراب يستر العورة. أما معركة الماء فقد صور الفنان ثلاثة مراكب على الطراز المصري، ثم صور مركبين على طراز آخر مختلف ارتفعت فيه مقدمة المركب ومؤخرتها ارتفاعا كبيرا، ويفترض عبد العزيز صالح ان المركبين الغربيين من مراكب السواحل المصرية الشمالية الغربية القريبة من الحدود الليبية، خاصة ان احد الفريقين المتقابلين على البر تغلب عليه الهيئة الليبية أسلفنا، بالإضافة إلى وجود صورة لمراكب تشبه هذا الوصف على لوحة القربان التي عثر عليها "لوت" في تاسيلي.²⁰

19- وجد هذا الأثر في منطقة جبل العركي تجاه نجع حمادي فسميت اصطلاحا باسمه انظر

Petrie, F. W., The Making of Egypt London, 1939., Frankfort, H., Studies in Early pottery of Near East, London, 1024.

Childe, V.G., New light on the Most Ancient East, London, 1958

الدريد: الحضارة المصرية، من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القيمة، ترجمة مختار السويدي، ط2، القاهرة، 1992، ص 69.

20- عبد العزيز صالح: حضارة مصر القيمة وأثرها، القاهرة، 1980، ص 187-189.

هنري لوت: لوحات تاسيلي، ترجمة زكي حسن، طرابلس، 1968، ص 212.

إلا الاعتماد على المصادر والوثائق التي قدمها المصريون بتسجيل أخبارهم وأخبار جيرانهم منذ ان بدأوا تسجيل الأخبار في فترة قبيل الأسرات وقد بذلوا الجهد في تصوير الملامح والتقاطيع والأزياء والأخبار الحربية الخاصة وزودنا بأسماء القبائل التي كانت تعيش هنا وهناك ومن بينها الليبيون، ورغم ان هذه المصادر مليئة بالفجوات والثغرات مما يدعو إلى التساؤل والاستفهام حيث انما لم تقف في المقام الأول إلى تسجيل جوانب غيرها من الشعوب المجاورة وإنما جاء ذلك متضمنا تسجيلها لجوانب الحياة المصرية، وفي هذا الصدد يقول "باتس" ان تاريخ الليبيين الشرقيين قبل هيردوت يجب إلا يدعى تاريخا بالمعنى المفهوم، إذ لم تصور لنا الوثائق سوى نزاعهم مع شعوب أقوى وأكثر تحضرا، كما ان هذه الوثائق هي في الواقع تقارير حربية سجلها الجانب الآخر¹⁸ ومع ذلك فليس أمام الدارس للتاريخ الليبي في هذه الفترة إلا ان يجهد نفسه قدر الطاقة محاولا ان يستخلص من هذه المصادر ما أمكنه، وان يعطي صورة عن الليبيين آنذاك يملأ بها الفراغ الذي خلفه عدم العثور على نحت أو نقش أو تصوير أو صناعات من أي نوع يعطي صورة لما وجد في هذه الوثائق، وكانت النتيجة مناقشات طويلة واستنتاجات ومقارنات وسردا لتعدد الآراء ونتائج غير مؤكدة إلا في القليل النادر.

الحقيقة ان الشواهد الأثرية التي ترجع إلى فترة قبيل الأسرات تعتبر أول المصادر المصرية التي تشير إلى الليبيين، وما يمكن ملاحظته ان هذه المصادر جميعها ما هي إلا مناظر عامة لا تصحبها نصوص حيث ان الكتابة المصرية لم تكن ق اكتملت بعد، أما الملاحظة الثانية فهي ان الاتجاه العالم في هذه المصادر جميعها عبارة عن مناظر حربية

18- Bates, O., The Eastern Libyans, London. 1914. P 210.

ثم تأتي بعد ذلك إلى مصدر مهم من مصادر فترة قبيل الأسرات ونقصد به، صلاية الحصون والغنائم أو لوحة الليبيين، أو صلاية الجزية الليبية أو لوحة التحنو.²⁴

وهذه اللوحة ذات دلالة أوضح من المصادر السابق، فقد ظهر بوجهها سبعة مستطيلات ذات أكتاف لا شك أنها تشكل مدنا محصنة كانت جميعها تحارب معا في تحالف استطاع الملك ان ينتصر عليها، والعلامات الهيروغليفية اخل المستطيلات قصد بها أسماء الأماكن، وصور الفنان على الوجه الآخر للصلاية غنائم الحرب التي شنتها ملكه، فصور صفوفها من الثيران والحمير والكباش وصور تحتها أشجارا زيتية صمغية وكتب بجانبها علامة تصويرية تعتبر من أقدم العلامات الكتابية وتدل على كلمة "تحنو" بمعنى ارض ليبيا أو على الأصح الأراضي الشمالية الشرقية من الصحراء الليبية المجاورة لحدود الدلتا²⁵ وتأتي أهمية هذه اللوحة من أنها تحتوي على أقدم إشارة كتابية إلى الليبيين أو التحنو أقدم العناصر الليبية التي عرفها المصريون.

من المصادر المهمة التي تشير إلى الليبيين صراحة في فترة بداية الأسرات صلاية نعمر²⁶ وما يهمنا من هذه اللوحة ان الفنان

24- عن لوحة التحنو انظر: P.M., V, 105, No. 6.

Petrie W.F., Ceremonial Slate Palettes, London, 1953
Murray, M.A., The Splendour That Was Egypt, New ed. London, 1964, P 1. IXVII.

جاردنر: مصر الفرعنة، 326-427.

25- عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة، ص 220-221.

جاردنر: مصر الفراعنة، ص. 426-427.

Gardiner, A.E.O., I, 119*

26- جرمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاني، القاهرة، 1990، ص

فإذا انتقلنا إلى لوحة صيد الأسود²¹ فان ما يهمنا منها أشكال الصيادين، فهم ملتحنون تمام مثل الأعداء المهزومين على لوحة "نعمر" المشهورة ويحملون الريش في شعورهم ويرتدون كيس العورة ولهم ذبول تتدلى من قمصاتهم القصيرة، هذه الذبول التي أصبحت عنصرا مميزا للملابس الفراعنة أنفسهم فيما بعد وطيلة التاريخ المصري القديم ولا نراه في العصور التاريخية على غير ملوك الفراعنة إلا متدليا من ملابس الزعماء الليبيين المصورين على جدار يؤدي إلى معبد هرم الملك "سا حورع" من ملوك الأسرة الخامسة، هؤلاء الزعماء الليبيون أنفسهم يلبسون كيس العورة ولهم خصلة شعر تقف منتصبة فوق جباههم، الأمر الذي يذكرنا بالصل على جبين الفرعون.²²

وثمة لوحات طقسية أخرى بها إشارات عابرة لعل خير ما يمثله صلاية الفحل التي يظهر فيها الملك في شكل ثور قوي يهزم العدو، ويعلق عليها جاردنر بقوله ان الهدف من تلك اللوحة واضح، فهي تمثل انتصار زعيم من مصر العليا على مصريين من الدلتا أو أعداء ليبيا.²³

21- عثر عليها في هيراكونبوليس، الجزء العلوي منها محفوظ بمتحف اللوفر، أما الجزء السفلي فمحمفوظ بالمتحف البريطاني.

الدريد: المرجع السابق، ص 94 وانظر أيضا

P.M. V, 104, N. 3, Child, Op. Cit, P. 80 f.

Kees, H., Ancient Egypt, a cultural Topography, London, 1961, P. 40.

عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 192-191.

22- جاردنر: مصر الفراعنة، ص 427-428.

23- جاردنر: المرجع السابق، ص 429 وقارن عبد العزيز صالح: المرجع

السابق، ص 193-194.

لا يجعلنا نقطع بهذا الشبه ورغم ذلك يمكن القول ان الفريق الذي صور على وثائق فترة قبيل الأسرات والذي تغلب عليه هيئة الليبيين هم "التحنو" الذين جاء ذكرهم في الوثائق التاريخية بوصفهم سكان الغرب.

لا شك ان بلاد "تحنو" كانت تقع غربي مصر، ولكن أي المناطق العربية؟، الحقيقية انه يمكننا تحديد موقع سكنى التحنو بصورة أدق من هذا الموقع العام.

هناك رأي يرى ان هذا الاسم "تحنو" كان يطلق غالبا على المكان الذي كان يجلب منه النطرون المستعمل في مصر القيمة لتحضير طلاء أشكال الخزف والزجاج²⁹ إلا ان هذه البقعة الصحراوية ليس فيها من الخيرات ما يصلح لسكنى ع كبير من الناس، كما ان تصوير الأشجار ضمن الغنائم التي ظفر بها الملك كما أسلفنا في لوحة التحنو يوحي بان أرضهم لا تشمل بلادا صحراوية فحسب، بل تشمل كذلك بقاعات خصبة في غرب وادي النيل، وعلى ذلك لابد من التفكير في واحة توجد في هذه الجهة قد تكون واحة "الفيوم"، فإذا علمنا ان الإله سبك (التمساح) منذ القدم كان يقدر في الفيوم وان هذا الإله مثل عدة مرات بوصفه سيد بلاد "باش" وهي كما تحدثنا نقوش الملك "ساحو رع" جزء من بلد "تحنو" علاوة على ان نفس الإله "سبك" قد وجد في نص يرجع تاريخه إلى عهد الملك "طهرقا" يمثل بلاد "تحنو".³⁰

أظهر الملك على وجه اللوحة وهو يرتدي تاج الصعيد يأخذ بناصية زعيم خصومه ويهم بضربه بمقمعته، وظهرت أمام الأسير علامتان كتابيتان تعبران عن اسم منطقتيه ويحتمل ان يكون "وع" أو "وعشي" وهو يتألف من صورة خطاف وحوض ماء أو ترعة ماء وظل الخطاف رمزا لأقصى الأقاليم الشمالية الغربية للدلتا على حدود الصحراء الليبية.²⁷

أما نقوش الملك "ساحو رع" من الأسرة الخامسة والتي وجت على جدران معبده الجنازي فلعلها أول نقوش تمدنا بمعلومات مفصلة بعض الشيء عن التحنو، حيث ألفت الضوء على بينة التحنو الجسدية وملابسهم، فكان هؤلاء الرجال طولا لهم ملامح جانبية حادة، شفاهم غليظة، لحاهم كثة، لهم شعر مميز ينمو كثيفا على مؤخرة الرقبة تصل خصلة إلى الأكتاف مع خصلة صغيرة من الشعر فوق الجهة، وإلى جانب الحزام المثبت به كيس العورة، كانوا يرتدون وشاحا عربضا مميذا حول الكتفين يتقاطع طرفاه إلى الصدر، وعق تتدلى منه حلي.²⁸

بمقارنة الليبيين الذين ظهروا في نقوش الملك "ساحو رع" مع الفريق الذي مثل على لوحات وصلابات فترة قبيل وبداية الأسرات المصرية، لا نستطيع ان نجد فرقا كبيرا بينهم، وان كان لتطور الفن ونضج الحضارة في تصوير بعض العناصر الفنية علاوة علة وصول الكتابة في مصر إلى مراحل متقدمة، الأمر الذي لم يتوافر للقطر الليبي

51-50 شكل 12.

27 - عب العزيز صالح: المرجع السابق، ص 224 حاشية 168.

28 - جيهان دايزنج: البربر الأصليون "تاريخ إفريقيا العام، ج 2 اليونسكو 1985، ص 438-439.

29- Holscher, W., Libyer und Agypter, Hamurg 1037, P. 21.

30 - Macadam M.F., The Temples of Kawo, II, Oxford, 1949.

وعلى ذلك يقرر "هولشر" ان بلد تحنو تقع في إقليم وادي النطرون والفيوم خاصة وانه هناك ما يناقض ذلك.³¹

إلا ان هناك من يرى ان كلا من وادي النطرون والفيوم كانا معروفين للمصريين جيدا، وقد وجدت أسماءها على آثار الأسرتين الرابعة والخامسة، كما ان وادي النطرون إقليم فقير يستطيع بالكاد إعالة ما لا يزيد على الألفين من البشر، وفي مستوى معيشي فقير، من هنا لا يمكن ان يكون هذا المكان مقرا لهؤلاء القوم الذين كانوا مصدر إزعاج للمصريين، أما الفيوم فكان ينظر إليها منذ بداية التاريخ المصري بوصفها احد الأقاليم المصرية، وكانت تسمى البحيرة، أما الإله سبك فلم تكن عبادته مقصورة على الفيوم بل ان قائمة "ادفو" وصفته بأنه اله المقاطعة الرابعة من مصر السفلى، وكذلك وصف "سبك" بأنه ابن الإلهة "نيت" وقد عبد في مقاطعة الصاوية، بالإضافة إلى ان حملة "سنوسرت" الأول ضد بلاد "تحنو" عادت بماشية كان من المستحيل ان تجد ما يلزمها من طعام إلا في أراضي تقع على شاطئ البحر المتوسط، فإذا عدنا إلى الورا قليلا نجد ان مملكة الشمال في الدلتا قد حاربت العناصر الليبية منذ وقت مبكر، وكما أسلفنا فان معظم مصادر فترة قبيل الأسرات، قد أشارت إلى ان الحروب التي صورتها كانت تقع في شمال غرب الدلتا وقد وجد لبيون من نفس الجنس مستقرين في المنطقة الممتدة من شمال غرب الدلتا حتى الفرع الكانوني، وهذا يساعد على تحديد الأقاليم الزراعية التي أسستها هذه الجاليات والتي كانت صالحة لتربية الماشية والأغنام المذكورة على لوحة التحنو والتي ذكرها أيضا سنوسرت الأول، فإذا علمنا ان المناطق الخصبة في ليبيا تقع بالقرب من الفرع الكانوني أيضا حيث كانت الأرض صالحة

31 - Holscher, Op. Cit., P. 21.

لنمو المحاصيل الزراعية فكانت "يوسبريس" (بنغازي) صالحة لزراعة الغلال و"قوريني" (برقة) تنتج أكثر من محصول في العام الواحد، وعليه يمكن القول ان المناطق الممتدة من شمال غرب الدلتا حتى إقليم برقة غربا، ومن الواحات ووادي النطرون جنوبا حتى البحر المتوسط شمالا هي إقليم "تحنو".³²

أما تفسير "نيو بري" لوضع اسم "تحنو" بين عدد من الأشجار على لوحة الجزية سألقة الذكر والتي اعتقد انها شجرة الزيتون، ويعمل وجهة نظره بان هناك نوعا من الزيت ذكر باسم "حانن تحنو" (زيت من الدرجة الأولى) وان كلمة تحنو كتبت بنفس الطريقة التي كتبت بها بلاد تحنو، وان أشجار الزيتون بكثرة في مريوط والواحات وبرقة³³ وقد اتخذ أصحاب الرأي السابق هذا التفسير دليلا على وجهة نظرهم، وان كان الدارس يميل إلى ذلك فهو يرى انه إذا افترضنا ان الشجرة المرسومة على لوحة الجزية هي نبات "السلفيوم" الذي اشتهرت به "برقة" (قوريني) منذ القدم ولم ينم في أي إقليم آخر، خاصة ان المصريين سموها هذا الإقليم باسم الشجرة غير المألوفة في مصر، والمعروف ان المصريين كانوا يعرفون الزيتون جيدا ولا يعرفون شيئا عن السلفيوم³⁴ نقول إذا افترضنا

32 - Fakhry, A. Bahria Oasis, 1, 1924, PP. 5-6; Gardiner, A.E.O., 1 H 117* f

El-Mosallamy, A.H.S., « Lbiyco-Berber Relattons with Ancieit Egypt, The Tehenu in Egypttan Records » Libya Antique, 2, 1986, P. 52.

33 - Fakhry, Op. Cit., PP. 5-6 ; Gardiner, A.E.O 1, 117*-119*.

El-Mosablamy, Libya Antique, 2, 1986, P 52.

34 - كان السلفيوم من الأمور التي لا يمكن الكتابة من برقة وتاريخها ون ان بنال ذكره ما استحققه من أطناب الحديث، حتى ان اسم برقة كان يعرف بالسلفيوم والذي لا يذكر اسمه ون ان يضاف إليها، وكان السلفيوم وحرص قدماء المؤلفين على وصفه، بل انه ضرب على العملة، وكان الغذاء والطب من أهم مجالات

والمعروف ان ذكر الوثائق المصرية للتمحو يعقب تاريخ الرسوم الصخرية بعدة قرون، حيث كان أول ذكر لهؤلاء القوم يرجع إلى عهد الملك "ببي" الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة إذ ذكر قائد جيشه "وئي" في نقوش مقبرته في أبيدوس، انه قاد جيشا ضد بدو آسيا، وان هذا الجيش كان يضم فرقة من التمحو ضمن عشرات الآلاف من شتى أنحاء الجنوب من النوبيين من ايرثت ومجاي ويام وواوات وكاو ومن بلاد التمحو³⁸ وفي عهد الملك "مرنرع" و"ببي" الثاني قام "حر خوف" بأربع رحلات إلى جنوب سلك خلالها طريقين طريقا يوازي النهر والدروب القريبة منه، وطريقا يصل بين الواحات عبر الصحراء الغربية، وفي رحلته الثالثة سلك طريق الواحة من أبيدوس ويحتمل ان يكون هو طريق درب الأربعين وهنا علم "حر خوف" ان هناك نزاعا بين يام وقبائل التمحو فعمل على إصلاح ما بينهما³⁹ وقد ثار جدل كبير حول تحديد موقع "يام" التي تعتبر نقطة النهاية في رحلات "حر خوف" فيرى "اركل" انها في دارفور⁴⁰ بينما يجعلها "كيس" عند

كوبس: "من الصيد إلى الرعي- ما هو العصر الحجري الحديث في الصحراء الكبرى" الصحراء الكبرى ترجمة: مكاتيل محرز، طرابلس، 1979، ص 78. هنري لوت: لوحات تاسيلي - قصة كهوف الصحراء، ترجمة أنيس ذكي، بيروت، 1967، ص 68.

38 - B.A.R. 1, 291-294, 306-315, 319-324

39 - عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة، ص 389.

أمري: مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة هندوسة، القاهرة 1970، ص 134.

Junker, H., « The First Appearance of the Negroes in History », J.E.A., 7, 1921, P. 212.

40 - Arkell, A.J., A History of the Sudan from Earliest Times to 1821, 2nd ed, London, 1961, P. 42 ff.

Kees Op. Cit., PP. 128 f

ذلك كان تأييدا أقوى لوجهة النظر التي ترى ان أرض التمحو تمتد حتى إقليم برقة.

وهكذا نجد ان لفظ تمحو في أقدم العصور كان يدل على اسم مكان خاصة اقرب الجهات إلى مصر من جهة الغرب، ثم تغيرت دلالتة بحيث صارت تطلق على جميع سكان المناطق الصحراوية الواقعة في غربي وادي النيل، ثم لا تلبث هذه التسمية ان تفقد دلالتها العرفية الخاصة لتصبح مجرد مصطلح جغرافي بحيث نراها تنجر بعد قيام الدولة المصرية القديمة على شعوب المنطقة الغربية أيا كانت سماؤها وخصائصها العرقية وأيا كان زيهم وبذلك صارت هذه التسمية مساوية لمصطلح ليبي في أوسع معانيه.³⁵

أما التمحو فلم يكونوا فرعا من التمحو، بل كانوا جماعة عرقية جديدة لون بشرتها فاتح وعيونها زرقاء بينهم نسبة كبيرة ذات شعر أشقر³⁶ والحقيقة ان شواهد ما قبل التاريخ ممثلة في تلك اللوحات البدائية المرسومة على صخور الصحراء الليبية، تشير إلى سكنى أصحاب البشرة البيضاء والشعر الأشقر في فزان والمنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى وكان ذلك خلال عصر الرعاة الذي حدد له تاريخ الألفين السادس ومنتصف الألف الرابع قبل الميلاد³⁷

استخدام النبات. عن السلفيوم انظر: الهادي أبو لقمة: السلفيوم الثروة المفقودة، بنغازي، 1985.

مراجع عقلية الغناي: السلفيوم، مصراته، 1994، شامو: المرجع السابق، فصل 11.

35 - سليم حسن: مصر القيمة، ج-7، ص 35-36.

36 - Hölscher, Op Cit. ; P. 24.

37- موري: تادارات اكاكوس- الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، منشورات مركز الجهاد الليبي، طرابلس، 1988، ص 18. لوجه 83.

ان هؤلاء القوم من جنس واحد وهم ليسوا من الزوج، وكذلك ليسوا مثل سكان بلاد النوبة الاتدمين⁴⁷ وليس أمامنا ما يشار إليهم على هذا النحو إلا التمحور الذين لا يستبعد أنهم سلكوا طريقهم من الجنوب الغربي للصحراء الليبية متجهين نحو الشمال، لاسيما ان الكشوف الأثرية تعم مثل هذا الاحتمال، فق عشر في بلاد النوبة على مجموعة من المقادير لقوم ليسوا مصريين أطلقت عليهم بعثة « The Arehaeological Survey of Nubia اسم المجموعة » ج) أو المجموعة الثالثة، ذلك لعم معرفة اسمهم الحقيقي ولكن باكتشاف مقادير هؤلاء القوم بين الجندلين الأول والثاني في زمن يؤرخ بالفترة من حوالي نهاية حكم الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة، وحيث ان هذه الفترة تعاصر حلول فترة الجفاف الذي ازداد في هذه الجهات منذ الألف الثالثة ق.م، وكذلك في عدم العثور على فخار سابق لفخارهم في بلاد النوبة، وفي ظهور فخارهم فجأة وفي مشابهة هذا الفخار للفخار الذي عثر عليه في وادي هوى على بعد أربعمائة كيلو متر من الجنوب الغربي للجندل الثالث بين دارفور والصحراء الليبية، كل هذا يشير إلى ان أصحاب هذه المقابر وصلوا إلى النوبة قادمين عن طريق جنوبي غربي⁴⁸ ويؤيد ذلك أيضا ان صناعة وادي هوى اقل دقة واحشن صنعا من صناعة قوم المجموعة الثالثة، مما يدل على انها صناعة بائية إذا ما قورنت بالأواني النوبية، وهذا يشير إلى ان البداية كانت في وادي هوى والتطور كان في النوبة، وهذا ما

47 - Ibid, P. 6.

أمري: وبلاد النوبة، ص 138.

48 - Hölsher, Op. Cit., P. 55, Bates, Op. Cit., P. 254c

Arkell, Op. Cit. P. 9 f

Bennety Shaw, B., "Two Burials From The South Libyan Desert", J.E.A., 32, 1936, P. 7.

جزيرة ساي شمال الجندل الثالث⁴¹ ويرى عبد العزيز صالح انها تقع قريبة من مجرى النيل حول الجندل الثاني⁴² ويراها "جاردنر" جنوبي الجندل الثاني ولكنها لا تصل حتى الجندل الثالث.⁴³

وتشير هذه الاختلافات جميعها إلى إمكانية وقوع بلاد "يام" جنوب غرب النوبة السفلى وطبقا لنص "حر خوف" فان بلاد تمحو تقع غرب بلاد يام "وجدت" رئيس يام قد ذهب إلى ارض التمح ليضرب التمح في ركن السماء الغربي⁴⁴ ويرى عبد العزيز صالح ان قبائل التمحو انتشرت في طريق الواحات غرب النيل وامتدت حتى واحة سليمة⁴⁵ ومن المعروف ان المصريين قد اتخذوا من التمحو جنودا لهم على هيئة فرق كاملة كما جاء على لسان "وئي"، ومعنى ذلك ان التمحو عرفوا طريقهم إلى مصر فلا بد تبعا لذلك ان ازداد عددهم، ومن ثم لا نستبعد ان يكون قادتهم قد أصبح لهم مكانة ونفوذ إبان تلك الفترة، ولعل مكانتهم هذه بالإضافة إلى زعزعة الأوضاع خلال عصر الانتقال الأول كانت من العوامل التي دفعت بموجات جديدة من التمحو للاستقرار في مصر، حيث تشير الدلائل إلى انه حدث زحف قام به قوم من الجنوب في فترة تعاصر عصر الانتقال الأول في مصر وانتشروا بمحاذاة النيل شمالا وقد تخطوا في زحفهم الجندل الثاني، ثم اكتسبوا في طريقهم سكان بلاد النوبة السفلى ثم تابعوا سيرهم حتى الجندل الأول⁴⁶ كما تدل نتائج الأبحاث الأثرية في هذه الجهات

41 - Kees Op. Cit., PP. 128 f

42 - عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، ص 389.

43 - جاردنر: مصر الفراعنة، ص. 119-120.

44 - جاردنر: المرجع السابق، ص 119.

45 - عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 389.

46 - Steindorff, Aniba, 1, Hamburg, 1935, P. 8.

ولعل هذا ما دفع البعض إلى الاعتقاد بأصول التمحو الأوربية⁵³ وقد اختلف العلماء في نظرهم للصفات العسكرية التي اتصف بها "التمحو"، فهناك من يرى ان تمحو (سكان النوبة السفلى) كانوا من جنس غير عدواني محيين ولم يعتبرهم المصريون لائقين كرجال للجيش، وتعليل ذلك عدم وجود أسلحة ضمن الأشياء المتنوع التي عثر عليها في مقابرهم، كما ان الحصون المصرية مثل جنود من كرمه بينما لا نجد أثرا للتمحو⁵⁴ وطبقا لما توصلنا إليه من ان المجموعة الثالثة هم التمحو يمكن القول ان "أمرى" قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه، حيث ان عدم وجو أسلحة ليس ذليلا قاطعا على ان هؤلاء القوم كانوا مسالمين فرجما سرقت الأسلحة من تلك القبور خاصة وأنها قبور سطحية، والمعروف ان اللصوص هبوا معظم المقابر المصرية قوية البناء كثيرة السرايب⁵⁵ بالإضافة إلى ذلك فانه من المعروف ان "التمحو" وفدوا إلى النوبة قبل احتلال ملوك الدولة الوسطى لها، ولذا لم يدخل التمحو تحت الحماية المصرية طواعية بل ان ذلك تطلب معارك طويلة، ويدل على ذلك الحملة التي قادها سنوسرت الأول في عهد والده (أمنمحات الأول)، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة حيث جاء في نقش قصير وجد على صخرة قريبة من كروسكو، انه في السنة التاسعة والعشرين للملك "سحتب أب رع" (أمنمحات الأول) ليعيش للأبد حضرنا لنخضع "واوات" (النوبة السفلى)⁵⁶ وهي موطن استقرار قوم التمحو وقد أقام ملوك الأسرة الثانية عشرة

53- سليم حسن: مصر القديمة، ج 7، ص 4.

Moller, Die gypter und ihr liby schen ; P. 45.

54 - أمرى: مصر وبلاد (النوبة)، ص 142-143.

55 - Peet, E, The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Dynasty, 2 Vol., Oxford, 1930.

56 - B.A.R., 1 § 473.

يقف سندا لاحتمال ان وادي هوى كان في طريق هجرة التمحو إلى الشمال، ويوحى في نفس الوقت بالصلة بين التمحو وأصحاب مقابر المجموعة الثالثة وسكان وادي هوى، ويؤيد ذلك ما توصل إليه "باتس" من ان تلك المقابر كانت لتجمعات ليبية عاشت في النوبة⁴⁹ وإذا كنا نميل إلى رأي "باتس" في ان قوم المجموعة الثالثة ينتمون إلى الليبيين التمحو، إلا أننا لا نرى وجهة نظره في الطريق الذي سلوه للوصول إلى هذه المنطقة، وبالتالي موطنهم الأول، حيث يرى أنهم قدموا عن طريق شمال سالكين الطريق المتجه جنوبا من واحة الخارجة واستقروا في الوادي هناك⁵⁰ وبما أننا توصلنا إلى ان المجموعة الثالثة هم التمحو يمكن ان نرجح ما ذهب إليه "ستايند ورف" الذي يرى أنهم أتوا من الجنوب الغربي من كرفان واستوطنوا جهة الشلال الثاني للنيل أولا، ويؤيد ذلك انتشار صناعة الفخار في كل مكان من النوبة وفي كرفان وصلتها الوثيقة بصناعة المجموعة الثالثة "التمحو"⁵¹ بالإضافة إلى ذلك يمكن القول ان التمحو لم يرد ذكرهم على لسان "حر خوف" إلا في رحلته الثالثة من مناطق تقع إلى الغرب من يام مما يوحي بأنه أوغل غربا ابعده من يام مما يوحي بان بلاد التمحو تقع بعيدا جدا عن جنوب غرب مصر، أضف إلى ذلك أننا لم نسمع عنهم شيئا قبل هذا الاستيطان، ويجب إلا نغفل ان هؤلاء القوم وصلوا في هجرتهم شمالا إلى مناطق مقابلة للساحل الليبي للبحر المتوسط⁵²

49 - Bates, Op. Cit., P. 252.

50 - Bates, Op., Cit., P. 245.

51 - Steindorff, Op. Cit., P. 6.

52 - احمد حسن غزال: "ملاحظات حول التأثيرات الليبية في مقابر سهيل مسارا جنوب جزيرة كريت في الألف الثالث ق.م" مجلة كلية الآداب العدد السابع، بنغازي، 1975، ص 304.

مع الشردن والكهف والنوليين، وربما اخذ هؤلاء أسرى في معركة ليبية قبل أو في عهد "رمسيس" الثاني، أما في عهد "مر نبتاح" فكان الماشواش ضمن حملة منظمة قادها زعيم الليبو ماراي، وقد لعب الماشواش دورا ثانويا في الحرب الأولى "لرمسيس" الثالث مع الليبيين، إلا أنهم كانوا العدو الأول في الحرب الثانية، ومنذ ذلك الوقت أصبحنا نسمع عن الماشواش أكثر من الليبو⁵⁸ والحقيقة ان هناك صفات كثيرة مشتركة بين الشعبين مما يثبت أنهما كانا من جنس واحد ولكنهما يختلفان في بعض التفاصيل، منها ان الليبيين كانوا لا يستعملون جراب العورة، وأنهم كانوا لا يختنون، وان كان "ونرايت" يرى غير ذلك لان "رمسيس" الثالث فعل بهم ما فعل بالليبو إذ قطع غلغهم وأيديهم أيضا، بالإضافة إلى "مر نبتاح" يقرر في مناسبات عدة ان عضو التذكير الليبي غير محتتن، من هنا يرى "ونرايت" ان الماشواش كانوا غير محتونين أيضا وان اختلاف الملابس بينهم وبين الليبو كان مجرد نوع من الطراز وان هذه الاختلافات كانت نتيجة تأثير شعوب البحر، ومنها استعمال السيف الطويل، واستعمال إشارة لإبعاد الشر وهي الإشارة باليد في هيئة القرن في وجه الأعداء، وهذا التشابه بين الماشواش وشعوب البحر يميزهم عن الليبيين الآخرين، ومن الواضح ان الماشواش حصلوا على السيوف من أقوام أكثر منهم حضارة لأنهم كانوا مجرد رعاة وربما حصلوا عليها من شعوب البحر لان بعض هذه الشعوب وبخاصة الفلسطينيين والشردن قد حملوها كذلك، كما ان ندوة التكوينات المعنية في مواطن الماشواش لا تمكنهم من صنعها أما عن شكل اسم الماشواش، فيرى "ونرايت" انه ينتهي بـ "شاء" ككثير من شعوب البحر مثل ايقواشا وتورشاشا

58 - Gardiner, A.E.O., 1, 119*-120*

شبكة من التحصينات، وبما ان هذه التحصينات أقيمت بعد استقرار التمحو في النوبة، فإنها بالضرورة كانت للوقاية منهم وليست حماية لهم، أما كون جنود هذه القلاع كانوا من كرمه وليس من التمحو، فهذا أمر منطقي حيث انه لا يمكن ان يدافع عن القلاع جنود من التمحو ضد التمحو، وأخيرا فان القول بان المصريين لم يعتبروهم لائقين كرجال للجيش، فان هذا يتناقض مع ما ذكره (وئي) عن اعتماده على فرقة من التمحو في جيشه أثناء حملته على آسيا، وعلى ذلك يمكن القول ان التمحو كانوا محاربين أشداء، وكثيرا ما اضطر ملوك الدول الوسطى إلى مطاردتهم، وقد رسمت صورهم أثناء عصر الدولة الحديثة ومن السهل التعرف عليهم بصفائهم التي تتدلى أمام الأذن والمطروحة للخلف على الأكتاف، وكانوا عادة يضعون ريشا في شعورهم ويلبسون أحيانا العباءات، كان سلاحهم هو القوس وأحيانا السيف أو العصى المعقوفة، وهذه الملامح ذكرها "هيردوت" عن السرتيين الليبيين في القرن الخامس ق.م ومن هنا يمكن ان نستنتج ان التمحو هم أجداد الليبيين الذين عرفهم الإغريق في برقة.⁵⁷

أما الماشواش فهم شعب ليبي وحدهم "بروجش" كما يذكر "جاردنر" بقوم الماكسويس الذين ذكرهم هيردوت بالقرب من تونس، وربما أشير للماشواش ضمن الشعوب الشمالية التي أخضعها "تحمس" الثالث إلا انه لم يستعن بهم، ومنذ ذلك الوقت ليس هناك ما يخص الماشواش حتى عهد "حور محب" آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وقد وجد اسم الماشواش على تمثال وجد في مدخل معبد "رمسيس" الثالث بالكرنك، وأقدم إشارة للماشواش كفرقة عسكرية ضمن فرق الجيش المصري ترجع لعهد "رمسيس" الثاني حيث ذكروا

57 - جيهان ديزانج: البربر الأصليون، ص 439.

في حصن العلمين وتشير إلى ان "رمسيس" الثاني قام بغزو بلا الليبو⁶² معنى ذلك ان هذا الملك وصل إلى برقة أو ابعد من ذلك حيث كان يقيم الليبو، يؤيد ذلك ان تحرك "ماراي" بن ديد زعيم الليبو كان يستهدف النزول على ارض التحنو أولا... ان زعيم الليبو ماري بن ديد انقض على إقليم تحنو برماته⁶³ وقد سبق ان ذكرنا ان إقليم "تحنو" يمتد حتى إقليم برقة، فإذا نظرنا إلى الغنائم التي حصل عليها المصريون من الليبو والماشواش نجد انها تشمل ماشية وأغناما وثيرانا وحميرا، وهذه الحيوانات لا تعيش إلا في مناطق رعوية غنية ان لم تكن زراعية، والحقيقة ان إقليم برقة وما يليه من الأرض الليبية يتميز بذلك، أما القول بان رمسيس الثاني قام بغزو بلاد الليبو فهذا دليل على ان هذا الفرعون ق سيطر على بلا التحنو المجاورة لمصر، أو أنهم كانوا خاضعين له، وخير دليل على ذلك ما قام به الفرعون من بناء سلسلة من الحصون في الصحراء الغربية من راقودة إلى زاوية أم الرخم⁶⁴ وآخر هذه الحصون يحده القسم الشمالي من الحدود الغربية لإقليم تحنو كما تقع هذه الحصون في أراضيهم، وهذا أمر ما كان ليحدث لو لم تكن هذه الأرض تحت سلطانه.

والحقيقة ان بناء هذه الحصون خلف موطن التحنو يشير إلى ان هذه القبيلة لم تع مصدر خطر بالنسبة لمصر، وان الخطر

62- Row, A., A History of Ancient Cyénaica, Cairo, 1948. P. 4.

63- جاردنر: مصر الفراعنة، ص 300.

64- Habachi, I., "The Military post of Ramesses II, on the coastal Road and the Western of the Delta" B.I.F.A.O. 80, 1980, PP. 13-30.

O'connor, D., « Egypt 1552-664 B.C » C.A.H » 1, 1982, PP 922-923.

وشكلش، وبهذا يبدو ان الماشواش ينتمون لنفس المجموعة⁵⁹ وهنا يمكن القول انه لا يبدو ان شعوب البحر قد أثرت تأثيرا عظيما في الحضارة الليبية كما يزعم "ونرايت" وذلك لسبب بسيط هو ان هذه الشعوب لم تستقر بل لم تنزل الأرض الليبية (سيأتي الحديث عن هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد) وحتى لو سلمنا بان الماشواش اقتبسوا السيف الطويل من شعوب البحر فان استخدام هذا السلاح لم ينتشر على نطاق واسع على ما يبدو، وربما حصلوا عليه من شعوب البحر نتيجة التقاتلهم مع شعوب البحر في الأراضي المصرية أثناء حربهم مع "مر نبتاح"، حيث ان شعوب البحر لم تذكر باعتبار انها على اتصال بالليبيين إلا مرة واحدة خلال حكم "مر نبتاح" وربما كان ذلك نتيجة لاختلاط عديد من الغارات الليبية بغزو شعوب البحر⁶⁰ أما بالنسبة لشكل اسم الماشواش فان "باتس" يقرر ان اسم "مشو" هو شكل شائع عند البربر ويعني الشريف أو الحر، كما ان "شا" لا يمكن ان تشتق من القبائل لأنها كانت مستعملة قبل ان تظهر شعوب البحر في إفريقيا في عهد "مر نبتاح"⁶¹ وعلى ذلك نرى ان الماشواش قوم ليبيون وليسوا من شعوب البحر.

أما الليبو فهم احد الشعوب الليبية التي ذكرت في نصوص "رمسيس" الثالث ومن قبله في عهد "مر نبتاح"، كان أول ذكر لهم قد جاء على أجزاء من لوحة (أو لوحات) من الجرانيت الأحمر عثر عليها 59 - Waniwright, G., "The Meshwesh, " J.E.A., 48, 1962, PP. 89-99.

60- دريتون-فاندييه: مصر، ترجمة عباس بيومي، القاهرة، 1950، ص 477.

61- Bates, Op. Cit., PP. 2-46.

Zibellus. K., A fri Kanische orts, und volkeénamen in Hi-erogiyphischen und eratischen Terxten, wiesbadan, 1972, P. 185.

مصر الداخلية في تلك الفترة أدى إلى إهمال الحدود الغربية حيث تركت مفتوحة نسيباً بعد رمسيس الثالث، حتى أصبحنا بعد ثلاثين عاماً من مونه نرى الليبيين يتجولون في مصر في جماعات للسلب، ويسرد دفتر يومية العمال في الجبانة الملكية بغرب طيبة عدة أيام كان العمل معطلاً بسبب الليبو، وحينما كانت تأتي هذه العصابات إلى العاصمة كانت تسبب الاضطرابات وتقضي على الأمن فيها.⁶⁷

عندما حل الاستعمار الإغريقي على ليبيا لاحظوا تشابه العادات والأعراف التي كانت سائدة لدى الليبيين في زمانهم مع "التمحو" والشعوب الأخرى السابقة عليهم، وهذا التشابه يجعلنا نعتقد بأن القبائل الليبية التي عرفها المصريون هم الأسلاف المباشرين للقبائل الليبية التي وجدها الإغريق، فحل الادراماخداي محل النحنو، والجلجاماي محل الليبو والنسامونيين محل الماشواش، وسكن الاسيت جنوب برقة حتى بنغازي، بينما استقر البكاليس في توكر "توخيره"⁶⁸ وعلى ذلك يمكن توزيع القبائل الليبية التي وجدها الإغريق عند استعمارهم ليبيا وفقاً لما ذكره "هيردوت" على النحو التالي، قبيلة الادراماخداي وهي أقرب القبائل الليبية إلى مصر حيث يمتد إقليمها من حدود مصر الغربية حتى ميناء "بلونس" (سيدي براني ثم قبيلة الجلجاماي التي يمتد إقليمها من سيدي براني حتى جزيرة "افروديدوس" (جزيرة كرسة) غربي درنة، وهم الذين نزل الإغريق بأرضهم وقادوهم بعد ذلك من ازيروس إلى الموقع الذي أسست فيه مدينة قوريني، ثم قبيلة الاسبوستاي ويليهم من جهة الغرب قبيلة الاوسخيساي الذين كانوا يقطنون مناطق المراعي، وكانت تقم بالقرب منهم قبيلة البكاليس وهي قبيلة صغيرة العدد ويتصل إقليمها

67 - Ibid; PP. 20-626.
68 - Rowe, Op. Cit., PP. 8-9

الحقيقي المتوقع يمكن في قبيلة "الليبو" خاصة في الوقت الذي بدأت فيه هجرات شعوب البحر تتدفق على أسيا الصغرى وجزر بحر ايجه لذلك أدرك الفرعون خطورة الموقف لو أغار الليبو على مصر في تلك الظروف ولاتقاء هذا الخطر بادر ببناء تلك الحصون.

بدأ الليبيون يلعبون دوراً مهماً في التاريخ المصري بعد ذلك، فقد اشتركوا في الحروب ضد "مرنتاح" و"رمسيس" الثالث، وكان أميرهم محرضاً للحروب التي لعب الماشواش وشعوب البحر دوراً مهماً فيها، ثم استطاعوا بع حروب رمسيس الثالث ان يتسللوا إلى البلاد وان يحتل بعضهم مراكز مهمة فيها، وكان ذلك نتيجة لاضطراب أحوال مصر السياسية والأمنية بعد "رمسيس" الثالث، حيث اضمحلت سلطة الفرعون وفقد هيئته الإلهية، وبالتالي اختل الأمن الداخلي وبدأ الصراع بين طوائف المجتمع المختلفة، وتعتبر مؤامرة الحرير التي تعرض لها "رمسيس" الثالث من ابرز الأمثلة على اضطراب الأحوال السياسية والأمنية في تلك الفترة، ومما تجدر الإشارة إليه ان احد المهتمين في تلك المؤامرة كان من الليبو وكان يعمل حاجباً في القصر الملكي⁶⁵ كما نشبت حرب أهلية في عهد "رمسيس" الخامس أو السادس وفي عهد "رمسيس" الحادي عشر قامت ثورة ضد "امنحتب" كبير كهنة آمون، وثورة أخرى قام بها "بانجس" نائب الملك في النوبة⁶⁶ وهكذا يبدو ان اضطراب أحوال

65- Cerny, J., "Egypt from the Death of Ramesses III to the End of the Twenty-first Dynasty C.A.H3, 1980, PP. 606-620.

Edgerton, W.E., and Wilson J., Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936, PP. 81-82.

Gardiner, A.E.O., I, 121*-122*

66 - Cerny, C.A.H3, 2B, 625-626.

قورينائية، وقد أدت هذه الأمطار بالإضافة إلى اعتدال المناخ ورطوبة الجو إلى نمو الغابات الطبيعية، ومنها أشجار الصنوبر والبلوط، وتشتهر هضبة قورينائية بزراعة الحبوب والفاكهة والخضروات والبقول، وتقل الأمطار وبالتالي النباتات كلما اتجهنا جنوباً نحو الصحراء حيث تنمو الحشائش التي يعتمد عليها السكان في الرعي، ويعتبر إقليم قورينائية من أشهر مناطق الرعي في العالم القديم، حيث كانت تكثر به الأغنام والأبقار والخيول، أما إقليم الواحات الصحراوية، فمناخه صحراوي عديم الأمطار ويشتهر بزراعة النخيل، ويعتمد هذا الإقليم اعتماداً كلياً على المياه الجوفية الغزيرة التي تكفي لزراعة الحبوب وتربية الحيوانات⁷¹ وعلى ذلك اختلفت حرف السكان وتنوعت من منطقة إلى أخرى.

أما حرفة الصيد، فيمكن القول ان ليبيا تعتبر معرضاً متنوعاً للحيوانات البرية، حيث توجد هذه الحيوانات بكثرة على طول الحدود الشمالية للصحراء الليبية، وطبيعي ان تعتبر حرفة الصيد من عناصر الحياة الاقتصادية للقبائل الليبية، وفي نص يرجع تاريخه إلى عهد "تحتمس" الأول وصف الليبيين بأنهم حملة جلود، وذلك لكثرة استعمالهم لجلود الحيوانات التي يصطادونها، كما صورت الآثار المصرية الليبيين وهم يرتدون الجلود ملابس لهم، كما ان الملكة "حتشيسوت" حصلت على عدد من جلود الفهود من قبيلة التحنو طول الواحد منها خمسة اذرع وعرضه أربعة⁷² ومن النقوش المصرية أيضاً نتبين ان التمحو واليبو كانوا يضعون فوق رؤوسهم ريشة أو ريشتين من ريش النعام كحلية شخصية، وقد دفعهم ذلك بالطبع

71- عبد العزيز طريح: جغرافية ليبيا، القاهرة، 1970، ص 114-11.

B.A.R., II, p 225.

72- Bates, Op. Cit., P. 193.

بالبحر عند توكره (توخيره)، ومن أشهر القبائل الليبية وأكثرها عدا هي قبيلة النسامونيس التي كانت تقيم حول خليج سرت، ويشير هيردوت إلى ان هذه القبيلة كانت تترك قطعانها بجوار البحر صيفاً حيث تذهب إلى واحة أو جله لجني البلح، وفي ذلك إشارة إلى ان موطن هذه القبيلة لم يقتصر على المنطقة الساحلية فقط بل كان يمتد إلى الداخل حيث كانوا يسيطرون على واحة أو جله. أما المناطق الجنوبية فكانت تسيطر عليها قبيلة الجرمانت التي كانت لها علاقة تجارية كبيرة مع القرطاجيين من ناحية ومع الشعوب الإفريقية من ناحية أخرى.⁶⁹

2- الحالة الاقتصادية:

بالنظر إلى جغرافية ليبيا يمكننا معرفة مصادر ثروتها، وبالتالي أهم الحرف التي مارسها سكانها، والحقيقة ان ليبيا تتمثل فيها مظاهر السطح المختلفة، ففيها السهول سواء ساحلية أو واحات، وبها أيضاً الهضاب المختلفة، بالإضافة إلى الصحراء التي تحظى بالنصيب الأكبر من مساحة هذا القطر، وفيها يتعلق بالمناخ والنبات، فهي مختلفة من قسم إلى آخر، فنجد السهول الساحلية تتمتع بمناخ البحر المتوسط وتنمو بها النباتات وأشجار النخيل والموز، كما انما تقطع بعدد من الأودية التي تنحدر إليها من الهضبة وهي غزيرة المياه في فصل الشتاء، وتكثر في الأجزاء الغربية ظاهرة البحيرات العذبة التي هي في الأصل أجزاء من المستودع المائي الباطني اتمارت سقوفها فبدت على شكل بحيرات،⁷⁰ وتزداد الأمطار غزارة على مناطق الهضاب خاصة هضبة

69- Bates, Op. Cit., P. 195

70- إبراهيم رزقانة: جغرافية الوطن العربي- المملكة الليبية، القاهرة 1964،

ص 44-59.

إلى اصطيد النعام باستمرار، هذا ان لم يكونوا قد حاولوا استئناسه، كما ان بعض الصور والرسوم الصحراوية تظهر لنا كثرة وتنوع الحيوانات التي كانت موجودة في الفترة التي نحن بصددنا والأسلوب المتبع في اصطيدها والأدوات المستخدمة في ذلك، فتظهر بعض الرسوم الصيادين في جماعات منتظمة يعملون على صيد الحيوانات بالشباك والأسلحة البسيطة كالمراوات التي يثتون في أطرافها رؤوس حراب حجرية، أو يستخدمون النبال والرماح، وتظهر رسوم أخرى بعض الصيادين وهو يرتدون ملابس جلدية ويلبسون أقنعة من رؤوس الحيوانات كالغزلان وعمار الوحشي والذئاب والفهود وتمكنهم من خداع الحيوانات التي يريدون اصطيدها، وتظهر رسوم أخرى صيادي الزراف والنعام⁷³ ومن الطبيعي ان هذه الرسوم مرتبطة بالبيئة التي كان يعيش فيها الرسام، وان الحيوانات كانت من أهم الأشياء في حياة إنسان الصحراء.

وأشار "سترابون" إلى ان السكان المجاورين لخليج سرت كانوا يمارسون صيد السمك حيث يساعدهم عليه عامل المد والجزر⁷⁴ وأشار "هيردوت" إلى ان قبيلة النسامونيس كانت تصطاد الجراد الذي يجفف في الشمس ويطحن ثم ينثر على اللبن ويشرب.⁷⁵

وهكذا يتضح ان الصيد كان من أهم الحرف التي مارسها

73- هنري لوت: لوحات تاسيلي - قصة كهوف الصحراء الكبرى، ط 1، ترجمة أنيس زكي حسن، بيروت، 1976، أشكال 24، 21، 42، 44، 59، 86.

موري: تادارات اكاكوس- الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، ليبيا، 1988، أشكال 81، 95، 98، 102.

74 - Strabo, XV II, 17

75- هيردوت: 4: 172.

الليبيون ويعتبر مصدرا كبيرا من مصادر رزقهم وكسائهم.

أما الرعي فتشير النصوص إلى الأعداد الكبيرة من الحيوانات المستأنسة التي كان المصريون يستولون عليها من الليبيين وقت الحرب ويستوردونها منهم في لكبر الظن وقت السلم، من ذلك استيلاء الملك "سنفرو" على 13100 رأس ماشية من الليبيين وقد خلدت ذكرى هذه المعركة على حجر بالرمو.⁷⁶

وفيما ور من أخيار مصورة على بقايا جدران المعبد الجنازي للملك "ساحو رع" انه غنم أعدادا كبيرة من الثيران والغنم والبقر والخمير والماعز، وفي عهد "امنحتب" الثالث يظهر الماشواش الذين دخلوا مصر في خدمة الملك، رعاة لما كان يستورد من ليبيا ماشية كانت تربي في مصر ويستخرج منها الدهن، وكذلك استولى "مر نبتاح" أثناء غزوه للمناطق الليبية على 1308 رؤوس من الماشية⁷⁷ ومن عهد "رمسيس" الثالث تشير بردية "هاريس" إلى ان هذا الفرعون استولى على أعداد كبيرة من الماشية من جيرانه الليبيين⁷⁸ أما الخيول فلم تعرف في ليبيا إلا في وقت متأخر نسبيا بعد ان تم إدخالها إلى المنطقة من مصر كما قام الليبيون بتربية النحل، وقد أشار هيردوت إلى ذلك وأضاف بان الصناع يستطيعون صناعة عسل صناعي أيضا.⁷⁹

وهكذا نرى ان الليبيين كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا في

76 - Urkunden, 1, 235-249 B.A.R., 1 § 146.

77 - Bates Op. Cit., P. 95

Wainwright, G., "The Mashwash", J.E.A.; 48, 1962, PP. 89-99.

78- انظر أعلاه ص 8 حاشية 1.

79- هيردوت: 4-183.

وعلى ذلك يتضح ان القبائل الليبية حاولت استغلال الأراضي الصالحة للزراعة اخل إقليمها قدر استطاعتها وزرعت ما تحتاج إليه من محاصيل كالقمح والشعير والزيتون والكروم والنخيل وتشكل الزراعة إحدى العائم الرئيسية لاقتصادها.

أما التجارة فقد كان لموقع ليبيا اثر كبير في السيطرة على الطرق التجارية سواء منها ما يربط بين البحر المتوسط وأواسط إفريقيا وخاصة مع السودان وتشاد أو تلك التي تربط شرق القارة وغربها، وقد عرف الليبيون التجارة منذ وقت مبكر، وقد عثر في مصر على بقايا أثرية لا تأتي إلا من وسط القارة مثل قطعة مقوسة من أنياب العاج والتي وجدت في المعبد العتيق في "نخن" فترة بداية الأسرات⁸³ كما ورد في نصوص الملكة حتشبسوت انما حصلت من قبيلة التحنو على عاج وسبعمائة سن فيل، ومن الصعب الحصول على هذه الأشياء من أي مكان آخر عدا السودان وتشاد⁸⁴ وكان من بين الغنائم التي استولى عليها "مر نبتاح" من الليبيين أوان فضية وكؤوس شراب من الفضة وتروس وسكاكين بلغ عددها 3174 قطعة، كما ان هذا الملك غنم من الماشواش سيوفا من البرونز عددها 9111 سيفاً، وقد أشير إلى سيوف الماشواش أيضا في غنائم "رمسيس" الثالث وقد لفت نظر المصريين في هذه السيوف طولها غير العادي الذي يبلغ من ثلاثة إلى أربعة اذرع.⁸⁵

وما تجر ملاحظة ان المصادر التاريخية لم تشر وجود المعادن

83- عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة، ص 216.

84- Urkunder, IV, 373. B.A.R., II, 225.

Bates, Op. Cit., P. 101.

85 - Waniwright, J.E.A., 48, P. 95.

B.A.R., III, § 250.

حياتهم الاقتصادية على تربية الحيوانات وقد وجهوا اهتمامهم إلى ذلك بعناية فائقة واطهروا خبرة ودراية في هذا المجال، وقد ساعدتهم على ذلك وفرة المراعي واتساعها وصلاحياتها لتربية أنواع مختلفة وبأعداد كبيرة من هذه الحيوانات.

وقد أتاحت خصوبة التربة ووفرة المياه في بعض المناطق لليبيين ان يعملوا بالزراعة منذ وقت مبكر، وأول إشارة صريحة إلى الزراعة الليبية تأتي من الأسرة التاسعة عشرة، فقد ورد في لوحة "أتريب" ان "مر نبتاح" بعد انتصاره على الليبيين اخذ كل عشب يأتي من حقولهم، ولم يعد هناك حقل مزروع، كما نهب ما في مخازن الرئيس الليبي من حبوب.⁸⁰

وعندما أخذت مصر تعتم على الجند المرتزقة من القبائل الليبية في جيشها كان هؤلاء يأخذون أجرهم على هيئة اقطاعات من الأراضي يقومون بزراعتها، وفي هذا دليل كاف على أنهم كانوا يعرفون الزراعة ويقومون بها، وقد ذكر "هيردوت" خصوبة منطقة نهر "كينوبس" (وادي كعام) الذي أقيمت عيه مدينة "لبده" ومنطقة "يوسبريس" وتعتبر الأولى من أخصب المناطق التي تزرع قمحا في العالم إذ تغل محصولا يماثل بذره ثلاثمائة مرة، وتغل الثانية محصولا يماثل بذره مائة مرة في السنوات الخصبية⁸¹ وقد أشار "ديودور" إلى ان بعض القبائل الليبية كانت تمتلك أرضا تزرعها وان الإقليم المجاور لـ"قوريني" (برقة) يتميز بتربة خصبة حيث ينتج محاصيل متنوعة كالحنطة والكروم والزيتون.⁸²

80 - Wilson; J., A.N.E.T., PP 376-378 Bates, Op. Cit., P. 98.

81- هيردوت: 4: 198.

82 - Diodorus, III, 49-50.

والأصباغ وريش النعام وبيضه الذي يعثر عليه بع الحين والآخر في قبور الانزوسكيين في ايطاليا، والزيت والحبوب والملح والصبغ والذهب الذي يأتي عن طريق الجرامنت، هذا بالإضافة إلى تجارة العبيد التي كانت رائجة في هذه الفترة.⁸⁸

أما الواردات فكان أهمها الأسلحة والأدوات المعدنية والأواني الفضية والأقمشة والخزف والزجاج والفخار⁸⁹ وسائر ما يحتاج إليه الليبيون ورغبوا فيه ولم يتمكنوا من صنعه وكان الليبيون يلعبون دورا كبيرا في هذه التجارة مع الإفريقيين من جهة ومع القرطاجيين من جهة أخرى، ويتولون قيادة القوافل التجارية وسيطرون سيطرة تامة على الطريق الصحراوية، واهم هذه الطرق التجارية، الطريق الساحلي من مصر حتى يوسيريدس (بنغازي) والطريق المتجه من طيبة (الأقصر) بمصر العليا إلى واحة الخارجة فالداخلة فالفرافرة فالبحرية فسيوه فالجنوب، ومن هناك يتفرع الطريق إلى أوجلة ثم سرت أو إلى فزان، وهناك طريق يتجه جنوبا أو جلة إلى الكفرة ومنها إلى دارفور، وطريق من طرابلس إلى فزان ثم تشاد، وكانت البضائع تنقل على ظهر الثيران أو العربات التي يجرها الثيران، وقد عثر على بعض الرسوم الصخرية التي تصور ذلك.⁹⁰

ثالثا- مصر وليبيا وشعوب البحر:

يعتبر عصر الدولة الحديثة من أهم الفترات التي خلفت لنا من المصادر المكتوبة والمصورة ما يلقي أكبر قدر من الضوء على

88 - Bovill, E.W., The Golden Trade of The Moors, London, 1968, PP. 18-22

89 - Bates Op. Cit., P. 103.

90 - Bates, Op. Cit., P. 107.

في ليبيا مما يرجح حصول الليبيين علة هذه الأشياء من أماكن أخرى ربما من أوروبا، وكان ذلك عن طريق التبادل التجاري، حيث كانت هذه القبائل تصدر إليها بعض المنتجات الزراعية والحيوانية، وتستورد في مقابل ذلك المعادن، ومن المرجح ان جزيرة "بلاتيا" كانت مركزا تجاريا تقصده القبائل الليبية المقيمة في داخل برقة.⁸⁶

ونظرا لأهمية هذه المنطقة من الناحية التجارية، فق أسس القرطاجيون مراكز تجارية على طول خليج سرت⁸⁷ تنتهي عندها القوافل التي تحمل منتجات إفريقيا وترسو بها السفن التي تنقل منتجات أوروبا حيث يتم التبادل التجاري، وكانت المنتجات الإفريقية تأتي عن طريق ليبيا إلى أسواق أوروبا، وكان من أشهر هذه المنتجات العاج، حيث عثر كريت على أختام وتمثال لقرود، ثم الصوف والجلود والأخشاب وعلى رأسها الأبنوس الذي كان يأتي من أثيوبيا

86- Boardman, J., The Greeks Over seas, London, Penguin Booke, 1964. P. 170.

87- لا يمكن تحديد تاريخ تأسيس كل المستوطنات الفينيقية في شمال إفريقيا، إلا انه من المتفق عليه قرطاجة كانت أولى المدن الفينيقية في شمال إفريقيا ثم ذلك تأسيس المراكز التجارية الأخرى مثل "لبدة" و"أوبا" (طرابلس الحالية) ثم "صبراتة" وغيرها بالإضافة إلى هذه المن الرئيسية وجدت مراكز أخرى صغيرة تربط بين تلك المدن مثل "اساريا" (قرية سعيد أو المايا) و"فاكس" وهي واحة بين الزاوية والمايا، ثم "كاراكس" ثم "يوفرانتا" (سرت الحالية) إذا علمنا انه اتفق على تأسيس قرطاجة في الربع الأخير من القرن التاسع ق.م يمكن القول ان هذه المن والمراكز قد تلت ذلك ربما في القرن السابع أو السادس. عن مناقشة ذلك انظر:

أبو الحاسن عصفور: المدن الفينيقية، بيروت، 1981، ص 63-86.

احمد محمد منديشة: التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، بنغازي، 1993، ص 33-38.

عهد "رمسيس" الثاني فقد اضطر هو الآخر للتصدي للمحاولات الليبية في الدخول إلى مصر، حيث تشير النقوش التي زينت مسلاته المكتشفة في تانيس إلى ضم وحدات عسكرية من الليبيين إلى الجيش المصري، وفي هذا ليل على ان هذا الفرعون هو الذي وضع اللبنات الأولى للسياسة التي سيسير على هديها خلفاؤه والمتمثلة في أبعاد هؤلاء الليبيين عن طريق الاستنجاد بهم بالرغم من أنهم مبعث الخطر أصلا، وعلاوة على ذلك نجد ان "رمسيس" الثاني ينشئ سلسلة من الاستحكامات تمتد على طول الساحل المصري المطل على البحر المتوسط غربي الدلتا حتى العلمين الحالية، بل في أماكن أبعد من ذلك غربا، وهناك نص في وادي السبوع بمنطقة النوبة مؤرخ بالسنة الرابعة والأربعين من عهد "رمسيس" الثاني يشير إلى أسرى التحنو المستخدمين في بناء المعبد هناك.⁹³

وهكذا نرى تصميم فرعون مصر على وضع منطقة "مراقبة" البطنان وقوريني (برقة) تحت المراقبة العسكرية من عدة نقاط مبثوثة على طول الساحل وكانت هذه الاستحكامات كافية لالتقاء مخاطر جيرانه فترة حكمه، إلا ان فترة الراحة الطويلة التي منحها "رمسيس" لنفسه قرب نهاية حكمه لم نكت تتفق والتحركات التي تجري فيما وراء الحدود الغربية لمصر، ومن هنا تجددت المحاولات الليبية للنزوح إلى مصر، حيث ظلوا يتدفقون نحو غرب الدلتا، وزاد

93- Faulknor, R.O., "Egypt from Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III", C.A.H3., 2 A 1980, PP. 229-230.

Rowe, A., "A Hstoiry of Ancient Syrenaca" A.S.A.E., cahier No. 12, 1948, P.4 .

Habachi, B.I.F.A.O., 80, PP. 13-30, P.M., VII, 368-369.

جاردرنر: مصر الفرانة، ص 298.

التاريخ الليبي قبل "هيردوت"، ذلك ان عصر الدولة الحديثة قدر له ان يعاصر ويعاني تحركات الهجرات الضخمة التي سببت عن ضغط أقوام هندو-أوربية من البلقان والبحر الأسود على السكان السابقين لإغريق العصر الكلاسيكي في جزر وسواحل البحر المتوسط، إذ ببداية القرن الرابع عشر ق.م سقطت كريت في أيدي الآخيين، واتجه هؤلاء يبعثون عن موطن جديد، ولكن لم تلبث هجرات هندو أوربية جديدة وعنيفة ان وفدت على شرق البحر المتوسط ودفعت أمامها السكان مما سبب عصرا من "الإزاحة السكانية" - ان صح هذا التعبير - شعروا بوقعها بعنف في الشرق الأدنى القديم وفي آسيا الصغرى، وجزر بحر ايجه وبلاد اليونان، وقد أطلق المصريون على هذه القبائل الوافدة اسم "شعوب البحر".⁹¹

إبان هذه الفترة اشتدت غارات الليبيين على مصر حيث بدأوا في الهجمات ض المصريين بجماعة، وجاء أول هجوم خطير من الغرب في بداية عهد الملك "ستى" الأول، والمعلومات المتوافرة عن هذا الهجوم أمدتنا بما الصور المنقوشة على احد جذران معبد الكرانك حيث أشير في تلك النقوش إلى هؤلاء المهاجمين باسمهم القديم "التحنو" ولعل المقصود هنا أقوام "الماشواش" التي سنهاها فيما بعد تشكل السواد الأعظم من الحملات الليبية اللاحقة ضد مصر⁹² أما

91- عن الاضطرابات في شرق البحر المتوسط وشعوب البحر انظر:

Barnette R.D. « the Sea peaptes », C.A.H3., 2A, 1980, PP. 359-371.

Albright, W.F., "the Sea Peoples in Palestine", C.A.H3, 2 A, PP. 507-515.

WainWright, G.A., "some Sea Peoples and others in the Hittite Archives" J.E.A., 25, 1939 PP. 148-152.

92- El-Mosauamy, Op. Cit., PP. 39-40.

كريت أصبحوا الخلفاء الطبيعيين للتجارة البحرية الكريتية، ومن المحتمل انه في تلك الفترة كانت التجارة البحرية المصرية قد أصابها الخمول، من هنا كان الصراع بين شعوب البحر ومصر من اجل تجارة البحر المتوسط، وربما كان ذلك هو السبب الذي جعلهم ينضمون لليبيين ضد مصر في هذه الحرب.⁹⁶

من هنا نرى ان شعوب البحر كانوا يعرفون دوافع الليبيين في محاولة النزوح إلى مصر أو ان هؤلاء كانوا بالفعل مستقرين في غرب الدلتا.

على أية حال ما ان انقضت خمس سنوات على اعتلاء "مر نبتاح" عرش مصر تعرضت البلاد لهجمة ليبية خطيرة، حيث تمكن "ماراي" بن ديد أمير الليبو ان يجمع بين الخلفاء من جنسية "فهق وماشواش" إلى جانب خمسة من شعوب البحر هم ايقواشا والتورشا واللوكا والشردن والشكلش وان يأخذ معه كل محارب حسن وكل رجل قتال في قبيلته وقد احضر معه زوجه وأطفاله⁹⁷ وكذلك فعل خلفاؤه إذ جاءوا بنسائهم وأطفالهم، كما جاءوا بالماشية والأسلحة، ومع ذلك فان الحاجة هي التي دفعت بهم إلى هذه المغامرة، وتصورهم نقوش الكرنك بأنهم "... كالديدان لا يهتمون بأجسامهم، بل كانوا يحبون الموت ويحتقرون الحياة وقلوبهم متعالية على أهل مصر"... رؤساؤهم، لقد أتوا إلى ارض مصر سعيا وراء الطعام الذي يسدون به أفواههم⁹⁸ على أية حال تمكن الفرعون "مر نبتاح" من الانتصار على الليبيين عن حقول "البرار" الواقعة شمال غرب منف وتمكن

من خطرهم انضمام شعوب البحر إليهم، وهكذا يبدو ان أخريات رمسيس الثاني الهادئة قد أعطت قبائل الليبو الفرصة وتدمير القلاع والحصون والاندفاع بقواتهم صوب الواحات لإخضاع الماشواش والحصول على تأييد بعض شعوب البحر وتدمير القلاع والحصون والاندفاع بقواتهم صوب الواحات الشمالية.⁹⁴

وترجع أسباب هذا الزحف من جهة نظر بعض المؤرخين⁹⁵ إلى عدة أسباب، منها زوال شخصية "رمسيس" الثاني ذات الشهرة الحربية، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية حيث ان ليبيا بلد فقير لم يكن فيما مضى يقوم بأود سكانه الأصليين، ولهذا كان السكان المهاجرون لمصر خلال كل العهود دائمي الرغبة في ان يتركوا حياة الصحراء ويتمتعوا بالأمن والراحة على حدود وادي النيل، وان كان الدارس يرى ان هذا سبب غير منطقي بهذه الصورة، حيث انه من المعروف ان المناطق الشرقية من ليبيا هي مناطق غنية بمحصولاتها وحيواناتها -ولانتال- بدليل ما كان يكره الفراعنة من الغنائم الكثيرة التي يحصلون عليها من حملاتهم ضد الليبيين، فهل من المنطق الحصول على هذه الغنائم من المناطق صحراوية فقيرة، بالإضافة إلى ان غنى هذه المناطق سيكون من أسباب اندفاع الإغريق لاحتلال الإقليم الشرقي من ليبيا خاصة إقليم قوريناية -وعلى ذلك يجب البحث عن أسباب أخرى لنزوح الليبيين إلى مصر.

ويفسر "ويلسون" العوامل الاقتصادية في هذه التحركات تفسيرا ربما يكون مقبولا، حيث يرى ان شعوب البحر حين اخضعوا

94- يويوت: مصر الفرعونية ، ث 139.

95 - Wilson, J., "the Libyans and the End of the Egyptian Empire", A.J.S.I., 11, 1935, 35.

96- Ibid, P. 75

97- B.A.R., III p. 579.

98- B.A.R., III, pp 569-592

”ماراي“ بن ديد من الهرب.⁹⁹

ان ارتداد الليبيين أمام ”مرنتاح“ لم يمنعهم من إعادة الكرة ومحاوله العودة إلى مصر بعد ذلك بحوالي ثلاثين عاما، فكان على ”رمسيس“ الثالث ان يرد هملتين قويتين نقرأ في الأولى منها أسماء الليبو والسيد والماشواش يعاضدهم شعوب البحر، وفي حربه الثانية كان الماشواش هم العنصر الغالب ومعهم أسماء كثير من القبائل والبطون منهم الليبو والاسيت والقايقش والهسا والبقر، والواقع ان تهديد شعوب البحر في عهد ”رمسيس“ الثالث لم يقتصر على تحالفهم مع القبائل الليبية فحسب، وإنما تحالفت أقوام كثيرة أخرى منهم للإقامة بصفة دائمة لا بمصر وحدها وإنما بسوريا وفلسطين أيضا، وقد احضروا معهم نساءهم وأطفالهم وما يملكون في عربات تجرها الثيران وهاجموا مصر في السنة الثامنة من حكم ”رمسيس“ الثالث من الشمال عن طريق البحر ومن الشرق عن طريق فلسطين، وكان من هذه الأقوام البلست والسكر واسكلش والدانونا والوشش والشردن، وقد تمكن رمسيس الثالث من رد هذا الخطر، وان نجحت بعض هذه الأقوام في الإقامة بصفة دائمة في الشرق الأدنى.¹⁰⁰

الحقيقة ان هناك مسألة تجب مناقشتها بشيء من التفصيل، وهي كيف التحالف بين شعوب البحر وبين الليبيين؟

انقسم المؤرخون حيال هذه المسألة إلى اتجاهين، الأول يرى

99 – Bates, Op. Cit., P. 60.

100 – Edgerton, W.F. and Wilson, J., Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936, PP. 35–38.

Neson, H, “The Naval Battle Pictured at Medinet Habu”. J.N.E.S. 2, 1943, PP. 40–55

Faulkner, C.A.H3, PP. 244–47.

ان هذا التحالف قد تم على الأرض الليبية، حيث ان شعوب البحر حين فكرت في الاتجاه جنوبا، كان الشاطئ الإفريقي عند برقة اقرب إليهم من أي نقطة أخرى، ومن هنا نشأت علاقات ودية بين ليبيا وبرقة وشعوب البحر، وكانت السيطرة على تجارة البحر المتوسط هي السبب الذي جعل هذه الشعوب تتحالف مع الليبيين ض مصر، وكانت الزعامة في هذا التحالف لليبيين دائما، وهذا يعني ان القبائل الليبية كانت قوية ومتحضرة بما سمح بان يدين لها بالزعامة أصحاب الحضارة الإيجية السابقة للحضارة الإغريقية الكلاسيكية.¹⁰¹

أما الاتجاه الثاني فيرى لصحابه ان الفراعنة قد اصطدموا بجيوش شعوب البحر هذه أما في فلسطين وأما على ساحل دلتا النيل، وهذا يعني ان تحالف شعوب البحر مع الليبيين قد تم داخل الأراضي المصرية، وتعليل ذلك ان الملك ”مرنتاح“ قد قاد بنفسه _حوالي نفس الفترة التي كان يحارب فيها ض ليبيا، وهذا فعله رمسيس الثالث أيضا- حملة أو عدة حملات ضد شعوب البحر في فلسطين، وعلى فم المستحيل القول بان هذه الأقوام قد هاجمت مصر من الغرب مع الليبيين، لان ساحل مراقبة (البطنان) القورينائي، شبه القاحل لا يكفي لإغراء هذه الأقوام الغازية بتجشيم أنفسها عناء عبور البحر بمراكبها مجرد الحصول على غنائم لا تعدو بضعة قطعان من الماشية وبعض الأسرى الليبيين ثم ان جزيرة ”فاروس“ المواجهة لدلتا النيل قد اتخذت كمرسى لمراكب أولئك الغزاة¹⁰² ولو كانت شعوب البحر

101- فوزي جاد الله: مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيردوت، ليبيا في التاريخ، بنغازي، 1968، ص 68

Wilson, J. Aisi, P. 75.

102- قامت بعثة جامعة بنسلفانيا في عام 1963 بالتنقيب عن آثار الليبيين في مصر البرونز الذين سكنوا برقة معاصرين لمصر القديمة وجاء ذكرهم في نصوصها

نهاية حكم "رمسيس" الثاني حيث ان الملك "مرنبتاح" يؤكد في حديثه لرجال بلاطه وقوع الغزو الخارجي والثورة الداخلية في وقت واحد.. أقوام الأقواس التسعة ينهبون تخومها والثوار يغزونها كل يوم، فلعل المرتزقة في الجيش المصري من شعوب البحر حاولوا انتزاع شيء لأنفسهم وسط تلك الظروف، ولعل تلك الحالة التي آل إليها أمرهم هي التي لفتت انتباه زعيم الليبو لاستمالتهم والاستعانة بهم، وربما كان هذا ما دفع البعض إلى القول بان المتحالفين مع الليبو كانوا جنودا مصريين فارين من الخدمة في الجيوش المصرية قاموا بالانضمام إلى أقوام الليبو والماشواش للقتال معهم ضد القوات المصرية.¹⁰⁴

إبان تلك الفترة تعرضت مصر لهجوم شعوب البحر الزاحفة عن طريق فلسطين¹⁰⁵ معنى ذلك ان هجومهم على مصر، ربما تزامن مع زحف الليبو فوج كل منهما في الأخرى حليفا له، وبما ان الليبيين كانوا ق استقروا في مناطق غرب الدلتا "... لقد نفذوا إلى حقول مصر مرات حتى النهر العظيم، ولقد نزلوا وامضوا أياما كاملة وشهورا قاطنين"¹⁰⁶ فقد كان هؤلاء اليد العليا وبالتالي كان لأميرهم الزعامة، وحيث ان أناشيد النصر تنقش بعد تحقيقه فذكرت ان زعيم الليبو قد انقض على إقليم التحنو كله ثم ذكرت بعد ذلك الشردانا والشكلش ايقواشا ولوكا والتورشا من شعوب البحر، مما جعل البعض يعتقد بان الليبيين تقلدوا قيادة هذه الكتل غير المنسجمة من شعوب البحر من ليبيا وهاجموا بها مصر، إلا ان التحالف في

104- شامو: الإغريق في برقة، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، 1990.

ص 43.

105- Naville, E., "Did Menephtah Invadesyerla", J.E.Z.A. 2, 1915, PP. 195-201.

106 - B.A.R., III, §

قد استقرت في ليبيا لكان لها الزعامة في هذا التحالف بصفتها الفريق الأقوى المنتصر الذي استطاع التغلب على القبائل الليبية ويستقر بأرضهم بغض النظر عن مستوى الحضارة الذي لا يمكن ان يفرض زعامة فريق مهزوم على فريق منتصر، فالكلمة هنا للقوة وليست للحضارة، كما ان الاستقرار يعني الإقامة وممارسة الحياة اليومية وبالتالي كان لا بد من وجود ما يشير إلى إقامتهم في هذه المناطق، إلا انه لم يعثر حتى الآن على اثر ايجابي يشهد بان شعوب البحر هذه قد قدمت إلى ليبيا واستقرت بها على نحو دائم في تلك الحقب التاريخية، علاوة على ذلك فان مجريات الأحداث تشير إلى ان هذا التحالف قد تم على الأرض المصرية وكان وليد المصالح المشتركة بين الفريقين، حيث ان قبيلة الليبو ق اجتازت ارض "مارماريك" متجهة نحو المناطق الغربية من مصر، وتصف نقوش الكرنك¹⁰³ عرش مصر، ويبدو من سياق النص ان المهاجرين الليبيين بسطوا سيطرتهم عليها، وبعد هذا التوغل في الأراضي المصرية ربما وجد هؤلاء الليبيون، خلفاء لهم من الماشواش والقهق الذين كانوا موجودين منذ عهد "رمسيس" الثاني، حيث أننا لا نستبعد ان يشجع تقدم الليبو في الأراضي المصرية، بني جلتهم على الانضمام إليهم وعمل زعيم الليبو على الاستعانة بهم لتحقيق هدفه، فهم اخبر من غيرهم بقتال المصريين واعرف بمسالك البلاد، ولا بد ان نجاح الليبو في الاستيطان على نحو ما مر بنا، شجع أيضا المرتزقة من شعوب البحر إبان تلك الفترة على التمرد في القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م. واشتركوا في الحروب بين شعوب البحر وبين المصريين، ومحاوله العثور على مواقعهم الساحلية ولكن البعثة لم توفق في تحقيق أهدافها.

Carter, T.H. In Expedition, The Buletin of the University Museum of the University of Pennsylvania, Spring, 1963. 103 - B.A.R. III, pp 572-592.

الحقيقة تم داخل الأراضي المصرية.

بعد فشل الليبيين في دخول مصر عنوة، اتخذ ضغطهم شكلا آخر، وهو وان كان اقل ظهورا للعيان إلا انه ربما كان أكثر فاعلية، وتمثل ذلك في التغلغل البطيء الذي شجعه تجنيد المصريين للمرتزقة في جيوشهم، فبعد انتصارات "رمسيس" الثالث واستقرار الأمور في مصر، كان يستجلب الأعداد الغفيرة من بدو الغرب الأشداء فينشط بهم جيشه ويتخذ من صفوفهم حرسه الخاص، وبالتدريج أصبح الجيش المصري مع نهاية الأسرة العشرين في اقلية يتألف من جنود المرتزقة ذوي العناصر الليبية، وقد استقر هؤلاء في واحات الصحراء الغربية خاصة الداخلية والبحرية فضلا عن الوادي نفسه، كما استقرت جماعات منهم في اهناسيا، وتمركز بعضهم في "تل بسطة" وهكذا اخذ هؤلاء ينشئون في وادي النيل جاليات عسكرية يرأس كلا منها زعيم ليبي يحمل لقب كبير الـ "ما" أي زعيم المشواش، ويبدو ان هذه الجاليات قد احتفظت بليبيتها عبر الأجيال ومع ذلك فان هذه العناصر الليبية قد تشربت مقومات الحضارة المصرية واندجمت في ثقافتها، وساعد انحطاط السلطة المركزية في مصر هؤلاء الزعماء الليبيين على تأسيس اسر حاكمة حقيقية داخل مصر، وانتهى الأمر بأحد زعماء الأسر الليبية التي نزحت إلى الفيوم بان اعتلى عرش الفرعنة ونعني به "شاشانق" مؤسس الأسرة الثانية والعشرين.¹⁰⁷

107- Cerny, C.A.H, PP. 16-619, Gardiner, A.E.O. I, 120*
Kitchen, Third Intermediate, PP. 105-108.

عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص. 280، محمد الطاهر الجاروي: "شيشنق وتكوين الأسرة الثانية والعشرين في مصر القديمة" مجلة البحوث التاريخية، جـ 2، مركز الجهاد الليبي، 1981.

الفصل الثاني

مصر وليبيا

في عصر الأسرة السادسة والعشرون

أولاً - مصر:

(أ) الأحوال الداخلية:

1- ظروف قيام الأسرة السادسة والعشرين

2- السياسة الداخلية لملوك الأسرة.

ثانياً - ليبيا:

(أ) الأحوال الداخلية:

1- الاستعمار الإغريقي في ليبيا.

دوافعه - نتائجه.

ثالثاً - مصر وليبيا:

(1) بسماتيك (الأول والثاني).

(2) أبريس وامايس.

تمهيد:

تبوأ مصر خلال عصر النهضة الصاوي مكانا مرموقا في المجتمع العالمي، والمقصود بالعصر الصاوي هو الإشارة إلى النظام والثقافة الذين سادا خلال عهود الملوك من بسماتيك الأول المؤسس الحقيقي للأسرة السادسة والعشرين حتى عهد "بسماتيك" الثالث آخر ملوك الأسرة، إلا ان هذه النهضة كان لها من المقدمات والعوامل ما ساعدها على الوصول إلى هذه المرحلة، فمنذ ان قام زعماء الليبو والماشواش خلال الحكم الليبي المضطرب في القرن الثامن ق.م بتوحيد الأقاليم التي تقع غرب الدلتا حول مدينة "سايس"¹⁰⁸ بينما ظلت المناطق الأخرى من البلاد مقسمة، ولا شك ان تلك الأراضي المترامية الأطراف والمتحمة والمتاحة لليبيا والبحر المتوسط كانت قارة على اجتاب الدعم الأجنبي (الليبي ثم الإغريقي) كما كانت معقلا أمام هجمات الغزاة سواء النوبيون أو الآشوريون، ومنذ حكم الأسرة الرابعة والعشرين (تف نخت-وباك ن رنف) (بوخوريس) ثم خلال حكم أمراء سايس (نخاو با-نخاو الأول) قامت هذه المملكة بعرقلة اعتداءات النوبيين بل منازعتهم في حكم مصر، ثم قام "بسماتيك" الأول ابن "نخاو" الأول بخوض صراع شديد مع الكوشيين ثم الآشوريين ونجح في إعادة توحيد مصر، وبعد ان كان

108- «سايس» هي صا الحجر، والتي ذكرها النصوص القديمة باسم «ساو» واشتهرت لدى الإغريق باسم سايس، وهي تقع على الضفة الشرقية لفرع رشيد شمال صا الحجر الحديثة على بعد 7 كم شمال غرب بسيون (محافظة الغربية)، وكان إقليم «ساو» يسمى في المصرية القديمة (نت محبت) تمييزا له عن الإقليم الرابع الذي يقع جنوب وسمى (نت رس) أي إقليم نت الجنوبي والذي كان تابعا له في عصر ما قبل التاريخ، انظر

Gardiner, A.E.O., II, 180*

حكاه سايس؁ جرد أمراء مالمين أصبحوا هم ملوك الأسرة القومية الوحيدة.

أولا - مصر:

(1) الأحوال الداخلية:

1- ظروف قيام الأسرة السادسة والعشرين:

في بداية الأمر يمكن القول ان الآشوريين كان لهم الفضل الأول (دون عمد) في قيام الأسرة السادسة والعشرين؁ حيث كانوا المعول الذي حطم العقبة الكبرى (الكوشيين) التي حالت دون قيام هذه الأسرة منذ عهد "تف نخت".

اعتمد الآشوريون في إدارتهم لشؤون مصر بعد احتلالها على يد "اسرحدون" على تعاون عمالهم من أبناء الوطن المختل؁ فكان ذلك دافعا لان يغير هؤلاء الأعوان موقفهم بمجرد عودة الآشوريين إلى بلادهم "... أبعدت جميع الكوشيين إلى خارج البلاد ولم ابق على واحد منهم ليقدم لي فروض ولاء الطاعة؁ وحل محاهم في جميع ربوع مصر ملوك وحكام وضباط ومراقبو موالي وموظفون وإداريون جدد..."¹⁰⁹ إلا انه بعد رحيل "اسرحدون" تمكن "طهرقا" من استرداد "ونف" بعد طرد الحامية الآشورية منها؁ مما اضطر "آشور بنيبال" (الذي خلف أباه على عرش نينوي) إلى إرسال حملة عسكرية عالم 666 ق.م هزمت "طهرقا" وهنا استقر رأي الملك الآشوري على مطاردته؁ فعزز قواته بفرق عسكرية من فينيقيا وقبرص وسوريا بالإضافة إلى الوحدات التي أرسلتها ممالك الدلتا؁ وتوغل الآشوريون

109 - Oppenheim, L., A.HN.E.T., 1969, P. 29.

في أقاصي صعيد مصر؁ وسيطروا على الوجه القبلي وامتد سلطانهم على الأرجح إلى أسوان؁ بعد ذلك قام الملك الآشوري باستبعاد بعض العناصر المصرية التي لم يرتح إليها وولي من يثق فيه من الأمراء على مختلف أقاليم مصر ثم عاد إلى بلاده؁ وكما حث في المرة السابقة حاول بعض الأمراء استدعاء طهرقا لمحاربة الآشوريين؁ إلا ان الحامية الآشورية كشفت تدبيرهم فقضت على رأسهم وسبق قادة التمرد إلى نينوي حيث لاقوا حتفهم؁ ولم يمنح آشور بنيبال أيا منهم حياته إلا نكاو الأول أمير "سايس" فثبته في مملكته ربما باعتباره وريث الأسرة الرابعة والعشرين وسليل اكبر بيت منافس لبيت طهرقا؁ كما منح ابنه "بسماتيك" إمارة أتريب (بناها) ربما للاستعانة بهما وبكفاءتهما في خدمته.¹¹⁰

حوالي عام 664 ق.م توفي "طهرقا" في نباتا بع ان أشرك معه في الحكم خلال السنة الأخيرة ابن عمه "تانوت آمون" الذي قرر ان يسترد مصر؁ فقام بجملة هي صورة من حملة الملك "بيـ (عنخي)"؁ وحققت حملته هو الآخر نجاحا حيث قتل "نكاو" الأول أثناء المعارك وتوافد زعماء الدلتا يعلنون استسلامهم وأنابوا عنهم "باخروري" أمير بي سويد" (صفت الحنة) لتقديم فروض الولاء والطاعة "... نهض قائد مسكن سويد الأمير باخروري قائلا: يمكن ان تقتل من تريد وتبقى على حياة؁ من تريد دون ان يشكك احد في عدالتك عندئذ رد الجميع في صوت واحد؁ امنحنا الحياة ياسيد الحياة؁ فلا حياة بدونك؁ سنخضع لك صاغرين؁ وكما قررت منذ اليوم الأول

110 - عبد العزيز صالح: مصر والعراق؁ ص 298.

Hall, H.R., « Egypt Under the Aliens : C.A.H3, 2, 1975, P. 285

Kitchen, Third Intermediate, PP. 392-393.

يوم توجت ملكاً¹¹¹، إلا ان نصر "تانوت آمون" كان قصير الأجل، فمرة أخرى أرسل "آشور بنيبال" جيوشه إلى مصر عام 660 ق.م تقريباً وأعاد الاستيلاء على منف وانسحب "تانوت آمون" إلى طيبة ثم إلى نباتا بعد ان اجتاحت الآشوريون عاصمة آمون ونهبوها وأشعلوا النار فيها وسطوا على الكنوز التي تراكت في المعابد على امتداد قرون طويلة، وبذلك وضع حداً للسيطرة الكوشية التي كانت اسمية فقط منذ الغزوة الآشورية الأولى حيث كان عمدة طيبة و"شين وبه" الزوجة الإلهية لآمون. يحكمان طيبة لحسابهما الخاص وان تضامنها مع نباتا كان ضعيفاً، كان نهب طيبة وسلبها نذيراً بانتهاء عالم بأسره حيث انهارت أسطورة حرمة معابد فرعون تحت ضربات الآشوريين، وموت "تانوت آمون" في نباتا انتهت الفوضى السياسية التي كانت محتفية وراء السلطة النوبية الوهمية والتي تمحورت حول مراكز ثلاثة هي نباتا وطيبة ومنف.¹¹²

وعلى ذلك استعاد الآشوريون التقسيمات السياسية السابقة على الغزو الكوشي، واكتفوا أحياناً بتغيير الحكومات القائمة، وتصدرت "سايس" ممالك الدلتا، وكانت تشمل المناطق التي حازتها المملكة في عهد "تف-نحت" بالإضافة إلى إمارة أتريب، وظلت دوائر الاستيطان الليبية القديمة في أيدي أحفاد بيب-عنخي" القدامى من سننوبس "سننود" إلى بي سويد، واستمرت مملكة تانيس قائمة تحت

111- لوحة الحلم وعنها انظر: جاردنر: مصر الفرعونية، ص 379-378 933.-B.A.R., IV, PP. 932 Kichen, Third Intermediate, PP. 393.

112- جاردنر: مصر الفرعونية ص. 38. Vonzeissi, H., Athiopen und Assyrenin Egypten, 19, PP. 40-39

زعامة "بادي باست" الثاني.

2 - السياسة الداخلية للملك الأسرة:

كان بسماتيك الأول أكبر المستفيدين من الفراغ السياسي الذي تركه اختفاء «تانوت آمون» وريت الأسرة الخامسة والعشرين، وقد استغل هذا الوضع الاضطرابي لإقامة أسرة حاكمة جديدة وإعادة استقرار مصر، وفي سبيل تحقيق ذلك عمل على تجميع السلطة الداخلية في يده على غفلة من الآشوريين، وعلى حساب منافسيه من الأمراء الذين عاشوا في نظام إقطاعي شجعته الآشوريون للإبقاء على تمزيق السلطة بينهم،¹¹³ كما كان عليه ان يتغلب على أطماع كهنة آمون رع في طيبة، بالإضافة إلى التغلب على الضعف العسكري والاقتصادي وفي سبيل تحقيق ذلك اتبع «بسماتيك» سياسة التهديد والترغيب، فمنذ البداية اعترف به الآشوريون بصفته الملك الوحيد المترتب على عرش مصر وعهدوا إليه بإدارة البلاد شريطة ان يحول دون حدوث أية ثورة داخلية، ولم تكن مهمته سهلة ميسرة فقد استطاع ان يسيطر على غرب الدلتا بأكمله وعلى مملكتي «أتريب» و«هليوبوليس» إلا ان إمارتين فقط من إمارات زعماء ألبا القديمة الواقعتين في وسط الدلتا لم تعترفا بحكمه وهما «سننوبس» (سننود) و«بوزيريس» ففي الأولى كان «اكناش» الثاني أميراً حاكماً وكاهناً للإله «اونوريس-شو» وزعيماً لـ«ما» وقائداً للجيش، وفي الثانية كان «بماي» خلف «شاشانق» الخامس أميراً حاكماً وكاهناً «لاوزير» وزعيماً لـ«ما» وقائداً للجيش، إلا ان الإماراتين عجزتا عن الصمود طويلاً نظراً لتجاورهما ونجاورهما لمملكة «بسماتيك»، أما في «تانيس» فان «بدو باست» وربما «نفر كارع» كانا يعتبران أنفسهما نين لـ 113- عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص 300.

«بسماتيك» الأول، لذلك فإن السيطرة التامة لبسماتيك على ملوك الدلتا لم تتم إلا في العام الثامن من حكمه.¹¹⁴

وقد لعب الأجنبي دورا مهما في سد احتياجاته العسكرية، حيث كان العنصر الفعال في جيشه مجلوبا من الخارج وبصفة خاصة من الكاريين والأيونيين.¹¹⁵ ويذكر «هيردوت» ان بسماتيك تغلب على أمراء الدلتا المنافسين له بمساعدة مجموعة من مقاتلي الإغريق الذين قدموا في سفنهم وهم يرتدون دروعا من البرونز تسربل معظم أجسادهم، وأشار إليهم هيردوت بأنهم مجموعة من قراصنة البحار من أهل أيونيا وكاريا تصادق معهم بسماتيك واستعان بهم في حروبه مع أمراء الدلتا وتمكن بواسطتهم من تحقيق النصر والانتفاد تماما بالحكم.¹¹⁶ ولكن هناك من يعتقد ان أولئك المقاتلين كانوا يشكلون المدد الحربي الذي أرسلهم «جيجس» ملك ليديا طبقا لمعاهدة تحالف عقها مع بسماتيك قبل ذلك ولم تعرف أخبار تلك المعاهدة إلا من الكتابات الكلاسيكية التي أشارت إلى ان ذلك النصر يعو إلى موقع «سايس» الجغرافي حيث كانت تتاخم البحر المتوسط وتعتبر بذلك بوابة لسياسة خارجية نشيطة.¹¹⁷

أما مصر الوسطى فقد وجد بسماتيك مساندة من جانب

114- Trigger, A.E., P. 277.

Kitchen, Third Intermediat, PP. 400-402.

جريمال: تاريخ مصر القديمة، ص 457-458.

115 - Trigger, A.E. P. 284.

116 - هيردوت: الكتاب الثاني فقرة 152.

117 - Spalinger, A., « The Concept of the Monarcy During the Saite Epoch. On Essay of Synthesis» Orientalia, XI VII, 1978. P. 16.

«سما تاوي تف نخت» أمير اهناسيا وربما يرجع ذلك إلى وجو تحالف قديم بين بسماتيك وأمير اهناسيا، حيث ان «سما تاوي تف نخت» ربما كان ينتمي إلى هذه الأسرة من جهة الأم، برية «رولاند» ان «سما تاوي تف نخت» ق نشأ في بلاط سايس وعلى تمثالين لـ «باوي ايزيس» الأول يذكر انه عين أميرا في «نيت جر»، وعلى ذلك فان «بأي ايزيس» هذا ربما كان قد تزوج من ابنة «نخاو» الأول أو «نخاو با» أو استفانيتس «تف نخت الثاني»، ومن هنا كانت مساندتهم لـ «بسماتيك» الأول، تلك المساندة التي كانت عظيمة الفائدة، إذ وفرت لملك «سايس» الإشراف على طرق التجارة النهرية عبر وادي النيل، ومرور تجارة القوافل مع واحات الصحراء الغربية ومع النوبة وليبيا.¹¹⁸

بعد ان استقر الأمر لبسماتيك في الدلتا ومصر الوسطى، بدأ يرنو بناظره نحو طيبة التي كانت شبه مستقلة تحت إمرة «منتو أم حات». غير ان شأها ق بدأ يضعف منذ انتهاء حلفها مع نباتا وتدمير الآشوريين لها، وعمل «بسماتيك» على الاستفادة من هذا الوضع، فقبل ان يبقى «منتو أم حات» وزملاؤه في وظائفهم طيلة حياتهم، بل ان بسماتيك قبل ان يخلف ابن «منتو أم حات» أباه في وظيفته ككاهن رابع لآمون وحاكم للجنوب حتى وفاته في العام الخامس والعشرين من الحكم، ومن ثم فقد اختفت هذه الأسرة من مركز القيادة في طيبة، ولم يقف الأمر عن هذا الحد، بل ان بسماتيك فاوض «شبتن وبه» الثانية الزوجة الإلهية لآمون وأحت «طهرقا» على ان

118 - Kitchen, Third Intermediat, P. 402-403.

Trigger, A.E., 284.

جريمال: تاريخ مصر القديمة، ص 458.

من مخصصاتها ويقللوا من تضخم ثروات معابدها واحتكارات كهنتها، ولا يتقلون في الوقت ذاته على ميزانية الدولة بأعباء كبيرة، وبهذا فان هؤلاء الملوك اشعروا الإقطاعيين المتبرعين بان حكومتهم لا تبغي ان تقاسمهم ثرواتهم لصالحها الخاص وإنما لصالح الأرباب كما اشعروا أنصارهم أصحاب الإنعامات الجديدة بان أنعاماتهم يمكن ان تعود ثانية إلى الأرباب.¹²¹ وبذلك عمل بسماتيك على إعادة تنظيم الجهاز الإداري في الدولة، ولكنه لم يتخل في شؤون حكومة الوجه القبلي بصورة مباشرة، وإنما لجأ هو خلفاؤه إلى تدابير تكفل لهم السيطرة الكاملة على الجنوب، فاتبعوا أسلوب العطاء ومقابل الولاء (كما فعلوا مع منتو أم حات وشبتن وبه الثانية) كما اتبعوا أيضا أسلوب تعيين موظفين من أهل الشمال لإدارة شؤون الجنوب مثل «أبي» الذي عينه «نيتو كريس» رئيسا للخدم أي ميرا على أملاكها في طيبة وأيضا الحاكم الجديد لادفو والكاب، كما اعتمد الملوك الصاويون على العائلات الكبيرة في الحفاظ على النظام والأمن العام، وأعاد «بسماتيك» إلى منف دورها السياسي والإداري وذلك بنقل العاصمة إليها وان أبقى المقر الملكي والجبانة الملكية في مدينة سايس.¹²²

بهذه الإجراءات المتتابعة رأى بسماتيك انه حقق التوازن بين أولياء السلطة في مملكة، فالصعيد قسم سلطاته بين قوى مختلفة، والدلتا أغري بعض كبارها بمناصب في الصعيد، وابنته أشرفت باسمه على كهنوت آمون وأملاكه، ولم يبق أمام بسماتيك الآن إلا طرد الآشوريين.

121- عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص 301-302

122- جرمال: تاريخ مصر القديمة، ص 433.

يتركها في منصبها بشرط ان تتبنى ابنته «نيتو كريس». ¹¹⁹ ومن خلال هذا التبني كانت «نيتو كريس» تحكم طيبة باسم الملك، وضمن بسماتيك بذلك لابنته الأشراف الروحي على معابد آمون وأتباعه، والإشراف المادي على ثروات طيبة وقد زودها باقطاعات أخرى من مصر الوسطى ومن الدلتا، كان بعضها اهداءات من المعابد وربما من الأثرياء أيضا، وجعل لها حاشية وأتباعا تشبه حاشية الملكات تخيرت رؤساءها من رجال الدلتا، وقد تجددت هذه العملية نفسها عندما اضطرت «نيتو كريس» ان تتقبل «عنخ نس نفر ايب رع» ابنة بسماتيك الثاني كخليفة لها في المستقبل، والأمر الجديد هنا، ان «عنخ نس نفر ايب رع» حملت أثناء الاحتفال بهذا التبني لقب «الكاهن الأعظم لآمون» وهذه الوظيفة لم تحصل عليها من قبل أية زوجة إلهية، ومع ذلك فإنها لم تصل إلى المرتبة الأخيرة التي هي أكثر أهمية حتى ماتت نيتو كريس في العام الرابع من حكم «أبريس».¹²⁰

وفي سبيل القضاء على الأمراء الإقطاعيين سلك «بسماتيك» أيضا سنة اتبعها خلفاؤه من بعده، وهي الإيجاء إلى كبار أولئك الإقطاعيين بالترع بجزء من ثرواتهم العقارية للمعابد التي تحتضنها الدولة مع استمرار الدولة في نفس الوقت على سياسة خلع المناصب الكهنوتية التشريعية على المقربين إلى املك حتى يستفيدوا

119- عشر على لوحة كبيرة بمعبد الكرنك تسجل هذا الحدث وتؤرخ أباه في شهر طوبة، السنة التاسعة من حكم بسماتيك الأول
Camino R.A., « The Nitocris Adoption stele » J.E.AA., 50
1964. P. 71 ff.

120- Kitchen, Thrid Intermadiat, PP. 403-404.

عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص 300-301.

جاردنر: مصر الفراعنة، ص 287

جرمال: تاريخ مصر القيمة ص 458

من استعادة الوحدة في مصر تمكن من أعداد جيش قوي من الصعيد والدلتا، وضم إليه جنودا من الأيونيين والكاريين، واكتسح بهذا الجيش الحاميات الآشورية التي كانت تعسكر في الدلتا، ففر هؤلاء إلى فلسطين وتحصنوا في اشدود، ورأي «بسماتيك» كما رأي «أحمس» من قبل في حرب المهكسوس، انه لا اطمئنان له إلا إذا اجتث الشر من جذوره، ومن ثم فقد تعقبهم إلى هناك، وانتهر الفرصة ليعيد لمصر شيئا من مركزها في غربي آسيا.

على أية حال إذا كنا نحمد لـ«بسماتيك» جهاده لتحرير مصر من الآشوريين، وإعادة الوحدة لها، إلا أننا نأخذ عليه تشجيعه للأجانب من مدنيين وعسكريين على الإقامة في البلاد، مما كان له أسوأ الأثر في الفترة اللاحقة، صحيح ان هناك قسما من السكان الوطنيين كان مكرسا للحرب، ولكن صحيح أيضا ان اليونانيين الذين تعمد «بسماتيك» تشجيعهم على الانضمام إلى جيوشه (ربما ليتم بهم الموازنة بين المحاربين الذين كانوا تحت النفوذ المباشر للأمرء الخليين في أقاليمهم الخاصة) كانوا سببا مباشرا أو غير مباشر في أضعاف الروح القومية، وأبعاد المصريين تدريجيا عن الجيش، هذا فضلا عن ان الجيش التي وجهها «جيجس» إلى «بسماتيك» جاء في أثرها تجار ايونيون أسعدهم كثيرا الإقامة في ارض يمثل هذا الحصب والشاء، وسرعان ما استغلوا مهاراتهم كتجار فكانوا يقومون بنقل القمح إلى بلادهم في مقابل فضة يدفعونها للملك الصاوي، وبمرور الزمن أخذت الثروة تتكدس في أيديهم يحميها نفوذ الحاميات من أبناء جلدتهم التي انتشرت على التخوم الغربية والجنوبية والشمالية الشرقية، ويروي «هيردوت» ان بسماتيك الأول اوصي بتكوين طائفة من التراجمة لتيسير التفاهم بين الوافدين الإغريق وبين هيئات الجيش والبلاد

والحقيقة ان بسماتيك لم يجاهر الملك الآشوري للعداء من البداية وقبل ان يتمكن من تدعيم موفقة في الداخل، بل ان أي خطوة يتخذها لإخضاع أعدائه في الداخل أو في الجنوب كانت تحظى برضاء ملك آشور وموافقته، إلا ان الظروف التي كانت تمر بها آشور في تلك الفترة أدت إلى امتناع «بسماتيك» عن دفع الجزية لها، حيث كانت الأخيرة تقاسي كثيرا من المتاعب التي بدأت في عيلام وبابل، فضلا عن ثورات الولايات السورية، والاشتباك مع ليديا في معارك طاحنة، وقد اتصل «بسماتيك» بملك ليديا «جيجس» وتم التحالف بينهما واستمر من حوالي 664 إلى 657 ق.م على ان ينجد الواحد منهما الآخر وقت الأزمات، وربما قوي هذا التحالف انغماس الآشوريين في مواجهة الثورات التي اندلعت في كل ركن من أركان إمبراطوريتهم، والتي كان لمصر ور كبير في انفجارها أما بالمساعدة وأما بالتحريض.¹²³

والحقيقة انه ما ان جاء العام الثاني عشر من حكمه حتى أتم طر الحاميات الآشورية من مصر تماما.¹²⁴ وان كنا لا نري شيئا على وجه اليقين عن كفاح المصريين ضد آشور، ولا كيفية إجلاء حاميتها عن مصر، لان النصوص المصرية لم تذكر شيئا مفصلا عن هذا الحث، والأمر كذلك بالنسبة للنصوص الآشورية. ومن هنا كان من الصعب علينا ان نتعرف بالضبط على كيفية إنهاء الحكم الآشوري في مصر، وكل ما نستطيع ان نقوله: هو ان «بسماتيك» الأول بعد ان تمكن

123 Luchenbill, A.R.A.B. II. PP. 784-785

هيردوت الكتاب الثاني: 147-157
Spalinger, A., « Assurbernipal and Egypt », JA.O.S., 94,
1964. P 316.

124 - جرمال: تاريخ مصر القيمة، ص 463.

وقد سار خلفاء بسماطيك الأول على نهجه في الاعتماد على المرتزقة الإغريق في الجيش، فيشير هيردوت إلى ان المصريين ق استعانوا في عهد «نكاو» الثاني بالإغريق في بناء أسطولهم على غرار السفن المقاتلة الإغريقية من ذوات الثلاثة صفوف من المجاديف. 126 كما استعان بهم «بسماتيك» الثاني. ويتضح ذلك من النصوص التي سجلت حملته على الجنوب، ومن هذه النصوص نقش تذكاري شهير دونه بعض مرتزقة الإغريق الذين كانوا ضمن جنود تلك الحملة على ساق احد تماثيل «رمسيس» الثاني القائمة عند بوابة معبد «أبو سمبل»، 127 كما يشير نص منقوش على لوحات بالقرب من البوابة الثانية في معبد الكرنك إلى جند المرتزقة بجنسياتهم المختلفة. 128 والمصدران يدلان على اعتماد الفرعون على المرتزقة الإغريق، أما الملك «أبريس» (واح ايب رع) فكان يقرب الأجانب إليه كثيرا خاصة الاغارقة والكاريين وأكثر من ذلك انه ترك الاغارقة يرتدون الروع ويسيروا مسلحين في طرقات المدن كما يشاءون وبلغ تدمر المصريين ذروته عندما أرسل الفرعون جيشا من المصريين (والمآخيموي) فقط لنجدة «ادكران» الليبي ضد إغريق برقة. 129 وقد

125 - عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص 303، هيردوت 2: 153.

Gyles, M.E., Pharaonte policies and Administration (663-323 B.S) Carolina, 1959, PP. 20-23.

Spalinger, A.J.A.R.C.E., 15, PP. 49 f

126 - هيردوت 2: 159.

127 - أمري: مصر وبلاد النوبة، ص 232.

128 - Saunceran, S., & Yoyottel, J., "la Campagne nubin- ne de Psammetique II, " B.I.F.A.O., I, 1952, PP.187 ff.

129 - سيتناول الدارس هذه النقطة فيما بعد بالتفصيل

اشيع ان الفرعون قد دفع بجنده المصريين (المآخيموي) إلى برقة بقصد التخلص منهم هناك، لأنه كان يشك في ولائهم له، مما أدى نهاية الأمر إلى الصراع بين العناصر الأجنبية والمصرية في الجيش، وانتهى هذا الصراع بمقتل «أبريس» حيث خلفه «أحميس» الثاني (امازيس) على عرش مصر. 130

لقى الملك الجديد قبولا حسنا من المصريين المناهضين للأجانب، وتلك كانت العقبة الأولى التي اعترضته، حيث ان الفرعون كان يدرك تماما انه لا يمكنه ان يطمئن إلى سلامة البلاد وأمنها إلا بوجود هؤلاء الجنود المرتزقة، لان الحالة في غربي آسيا كانت قد وصلت إلى ابعدها من سوء ضد مصر، كما ان قوة اليونانيين قد ازدادت في البحر المتوسط ولم يكن من حسن السياسة أضعاف الجيش وجلب عداوة جميع الدويلات اليونانية وشل اقتصاد مصر إذا ما تعرض للتجار الأجانب وطردهم من مصر، وفي نفس الوقت كانت الروح الوطنية قد تأثرت بسبب وجود الأجانب، ولهذا فقد لجأ «امازيس» إلى وسيلتين لحل المشكلة، الأولى انه إرضاء للشعور الوطني خاصة في الجيش، أمر باستدعاء اليونانيين من الحاميات التي على الحدود وإرسال الجنود المصريين ليحلوا محلهم، ثم أمر بإسكان هؤلاء الأجانب في أحياء معينة من «منف» ليظلوا تحت رقابة بلاطه كما الحق بعضهم بحرسه الخاص، أما التجار الإغريق الذي انتشروا في دلتا مصر من شرقها إلى غربها وتوسعت إمكاناتهم حتى أصبحوا يمتلكون سفنا لها أحواض فقد أمر بإزالة مستودعاتهم التجارية من كل أنحاء البلاد، وفي مقابل ذلك منحهم مدينة نقراطيس. 131

130 - جاردنر: مصر الفرعونية، ص 293.

Gyles Op., Cit., PP. 34-35.

131 - هيردوت 2: 161-162، 169.

وقد أدت سياسة «امازيس» إلى حفظ التوازن بين استرضاء المصريين وبين اتقاء خطر الكلدانيين ومن بعدهم الفرس، حيث نجح في عقد المعاهدات مع الدول الصديقة ومن بينها «قوريني» (برقة) حيث تزوج من ابنة ملكها وكانت تدعى «لاديكا» وهي من أصل إغريقي، وهذا التصرف من جانب الفرعون يجعلنا نعتقد ان القبائل الليبية في تلك الفترة كانت لا تمثل أي تهديد لمصر خاصة بعد هزيمتهم أمام الإغريق في معركة «اراسا» حيث ان هذا الزواج يعتبر تحديا سافرا لليبيين وتغيرا كبيرا في سياسة مصر تجاه ليبيا، عندما توفي الملك «أحمس» الثاني «امازيس» في نهاية عام 526 ق.م، كان قد ترك لابنه وخليفة «بسماتيك» الثالث، تركة مثقلة بالأعباء تحدى بها الأخطار ويكاد الغزو الفارسي يطبق عليها بعد ان تأجل عدة سنوات بسبب الموقف الدولي الذي كان يشغل بالمتغيرات المصرية لمعظم ول المنطقة، وبسبب حكمه أحمس نفسه، علاوة على مصرع ملك فارس (قورش الكبير) في معركة ضد الثيرانيين عام 529 ق.م، وفي عام 525 ق.م كان الملك الفارسي «قيبز» يتقدم بجيوشه إلى حدود مصر الشرقية معلنا بذلك قرب نهاية العصر الصاوي.

والحقيقة ان العصر الصاوي هو عصر أزهار ورخاء، ساعد عليه ما قام ملوك هذا العصر لإرساء قواعد السلام والأمن بين ربوع

P.M., IV, 50 ; Trigger, A.E., PP. 285-286.

Peyrie, F., Naugratis, I, London, 1886, PP. 7-8

عن تأسيس نقراطيس انظر:

Cook, R.M., « Amasis and the Greeks in Egypt », J.H.S., I, VIII,

1937, PP. 272-78.

Davis, W.M., « The Cypriots at Naukrates G.M., XII, 1980, PP. 7, 10.

البلاد، والضرب بشدة على أيدي الأشرار وقطاع الطرق مما مهد الطريق أمام فلاحي مصر إلى مزاولة أعمالهم العادية، وانعكس ذلك بالتالي على المحاصيل الزراعية المصرية وتطورها كما وكيفا، وخلال موسمين أو ثلاثة تضاعفت ثروة البلاد، كما عمل فراعنة هذا العصر على إخماء التجارة بين مصر وبين الإغريق والفينيقيين، ويشير إلى ذلك محاولة «نكاو» الثاني ربط الدلتا بالبحر الأحمر بطريق مائي (لتشجيع التجارة وزيادة الاستفادة من مواردها) بشق قناة تجري من فرع النيل اليوباسطي القديم حتى خليج السويس أو البحيرات المرة قرب مدينة الإسماعيلية الحالية، وأيضا إيفاد هذا الفرعون بعثة بحرية الدوران حول إفريقيا بهدف الكشف والمعرفة وفتح أسواق للتجارة وأملا في توسيع النفوذ المصري.¹³²

ونلمس هذا الرخاء الاقتصادي في كثرة الإنعامات والهبات التي أغدقها الفراعنة على المعابد المصرية بل الأجنبية، فتشير لوحة كبيرة عثر عليها في الكرنك إلى كثرة الهبات والعطايا والثروات التي أهملت على «نيتوكريس» ابنة بسماتيك الأول، عند وصولها إلى طيبة لتصبح زوجة إلهية لآمون، حيث حصلت على ما لا يقل عن 2230 فدانا، كما زودها رجال الكهنة بمواد تموينية وفيرة أضيفت إليها كميات ضخمة من الخبز أسهمت في تقديمها معابد المدن الرئيسية، ويشير إلى ضخامة هذه الثروة، تعيين وكيل لإدارتها.¹³³

وعلى لوحة «لابريس» من ميت رهينة يذكر انه أهدى معبد «بتاج» هبة معفاة من الضرائب تضم الأقاليم المجاورة بما عليها

132- عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص 304

Trigger, A.E., P. 284.

133- جاردنر: مصر الفراعنة ، 386 B.A.R., IV, PP. 933 ff.

كثرة البضائع التي تمكن المتاجرة فيها ويشير أيضا إلى استقرار الأمن والنظام في البلاد.

مما يبق يمكن القول ان «بسماتيك» الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين قد استفاد من كافة الأوضاع المحيطة به سواء في الداخل أو الخارج، فتقرب من الآشوريين حتى قضوا له على قوة خصومه في الشمال والجنوب، واخذ يعمل على تجميع السلطة الداخلية في يده في ظل تبعية للآشوريين، وما لن تم له ذلك وعلم بخلافات العرش في آشور حتى أعلن استقلاله وطرد الحاميات الآشورية من مصر، ويتضح من العرض السابق أيضا ان فراعنة الأسرة السادسة والعشرين لم يعيروا الغرب اهتماما كبيرا إلا قرب نهاية الأسرة خاصة بعد ان أسس الإغريق مدينة قوريني التي أصبحت لا تمثل خطرا على ليبيا وحدها بل على مصر أيضا، وعدم اهتمام ملوك الأسرة الأوائل بالغرب يوحى بأمرين، أما ان تكون القبائل الليبية أصبحت من الضعف بحيث لا تمثل أي خطر على مصر، وان هذه القبائل قد انشغلت بأموورها الداخلية وبدأ صراعها مع إغريق قوريني، أما الأمر الثاني فهو ان جذور بسماتيك وأسرته الليبية، ربما جعلت هذه القبائل تنظر لتلك الأسرة باعتبارها حاکمة لكل المنطقة بمعنى تبعية هذه القبائل للسيادة المصرية حتى ولو كانت من الناحية الاسمية فقط، وهذا ما دفع «ادكران» الليبي إلى الاستعانة بفرعون «أبريس» في صراعه مع المستوطنين الإغريق.

ثانيا - ليبيا:

(أ) الأحوال الداخلية:

من ماشية وخدم تنتجه الأرض من محاصيل.¹³⁴ وقد أسهم «اماريس» في إعادة بناء معبد «دلفي» الذي كان قد تهدم ومنح العديد من المعابد اليونانية هدايا سخية.¹³⁵

كما نلمس الرخاء الاقتصادي أيضا في مدى ثراء المقابر التي شيدها الأشراف في طيبة أو في جبانات «منف» القديمة وما إقامته «عنخ نس نفر ايب رع» ابنة «بسماتيك» الثاني من جهاز إداري صاوي في طيبة اظهر ترفا وبذخا يمكن ان نتصوره من إبداع المقبرتين اللتين أقامهما في المساسيف «شاشانق» بن «حارسا أية» و«بادي نيت»، وكانا يشغلان منصب رئيس استقبال آمون، فإذا كان هذا يخص الأشراف ورؤساء الاستقبال، فما بالناس بمقادير الملوك وأثارهم التي انتشرت في شمال الوادي وجنوبه وقد تركز أهمها في رحاب ثلاث مدن المثال أقام الملك «أحمس» الثاني (امازيس) الإلهة «نبت» البوابات الضخمة، كما انه شيد معبدا لوجي الإله آمون في واحة سيوه.¹³⁶

كما نلمس هذا الرخاء الاقتصادي في ذلك العصر من خلال استعانة الفراعنة بالجند المرتزقة بأعداد كبيرة، وأيضا استقرار التجار الأجانب في مصر وإقامة الوكالات التجارية، فالجند المرتزقة يحتاجون إلى موارد كبيرة للإنفاق عليهم، وإقامة الوكالات التجارية يشير إلى

134 - Trigger, A.E., P. 302.

Trigger, A.E. P 302

135- جاردنر: مصر الفراعنة، ص 395.

Hall, C.A.H3, 2, 1975, P. 304.

136- جريمال: تاريخ مصر القديمة، ص 463، ص 468

احمد فخري: واحة سيوه، ترجمة جاب الله علي جاب الله، القاهرة، 1993، ص 186-195.

1- الاستعمار الإغريقي في ليبيا: دوافعه-نتائجه:

قبل ان نتعرض للاستعمار الإغريقي في ليبيا، يجب ان نشير أولاً إلى حركة الاستيطان والانتشار الإغريقي ودوافعها بصفة عامة، فقد أدت حركة البعث والإحياء ثم قيادة دولة المدينة في شبه الجزيرة اليونانية وفي جزر بحر ايجه وعلى ساحل آسيا الصغرى إلى تحقيق الوعي القومي للإغريق كلمة واحدة متميزة عن غيرها من شعوب العالم القديم، امة لها تراث فكري وديني وأخلاقي وسلوكي مشترك وهو ما تعكسه أشعار هومر في الإلياذة والأودسا، وقد دعم هذا التراث الحضاري لإغريقي بمرور الزمن، وأصبح وجودا يفرض نفسه على عوامل الانفصال الجغرافي والبحري وعلى اللهجات اقليمية للغة اليونانيين، بل على العبادات اقليمية والإقليمية، وقد لعب معبد دلفي المقدس دورا أساسيا في وحدة هذا التراث.¹³⁷ كما جعلت الدورات الاوليمبية وما صاحبها من مهرجانات رياضية هذا التراث حقيقة يمارسها الإغريق في لقاءاتهم، فكانت هذه الدورات فرصة لتبادل وجهات النظر بين مختلف العناصر الإغريقية، وتوثيق الروابط بينهم والتعريف على اتجاهات الراى العام فيما بينهم، فضلا عما كان يجري بالضرورة من معاملات أخرى كالبيع والشراء أو تبال التجارة.¹³⁸

137- عبد اللطيف احمد علي: تاريخ اليوناني - العصر الهلنستي، ج 1، 2، القاهرة، 1971، ص 18-19، 134-142، 427-431
Park, J, and Woémell, A History of the Delphie Oracle, 1, Blackwell, 1939, P. 71
Lang, A., The Last Oracle From Delphi, London, 1887.
138- سميت الدورة الاوليمبية بهذا الاسم نسبة إلى بلدة اوليمبيا على الضفة الشمالية لنهر الفيوس بإقليم ايليس (غرب البلونيزا) ويقال بدأت عام 776 ق.م.
Gardiner, F., Athleties of the Anclent World Oxford, 1930,

بفضل هذا كله أصبحت الحضارة الإغريقية قوة طاردة وديناميكية، وراحت تبحث عن مناطق للانتشار في ربوع العالم، وجدير بالذكر ان الانتشار والاستيطان كانا صفتين أساسيتين للحضارة الإغريقية، وهذا ما ميزها عن غيرها من الحضارات القديمة التي فضلت أن تبقى داخل موطنها ومن اجل مواطنيها، ولهذا فحركة الانتشار والاستيطان ترجع إلى أيام الحضارة الموكينية، وظلت قائمة حتى العصر الهلنستي والرومان.¹³⁹ ولا شك ان طبيعة بلاد اليونان ذات المساحات المحدودة والتي تفتقر إلى كثير من المقومات الضرورية دفع بالإغريق إلى الهجرة والبحث عن مواطن جديدة للاستقرار بالإضافة إلى ذلك كان هناك عوامل خارجية ساعدت الإغريق على حركة الانتشار والاستيطان ونقصد بذلك تهور إمبراطوريات الشرق القديم وبالذات تهور السيطرة الفينيقية على مياه شرق البحر المتوسط بسبب الغزو الآشوري المستمر للمدن الفينيقية الأم والتي كانت تحد من نشاط الإغريق، وكانت الإمبراطورية الآشورية في فترة قوتها (745-934 ق.م) قد قضت على القوة السياسية للشعوب الآرامية في سوريا وفلسطين وفينيقيا، وبإسقاط هذه القوى أصبح هناك فراغ كبير في المنطقة، ولم يعد ينافس الإغريق كقوة بحرية سوى قرطاجة تلك المستوطنة التي أنشأتها صور على ساحل إفريقيا الشمالي.¹⁴⁰

PP. 25; 32-33.

139- سيد الناصري: «الألعاب الاوليمبية» مجلة التاريخية، ج 21، 1974، ص، 3 وما بعدها.

عبد اللطيف احمد علي: التاريخ اليوناني، ص 112-116.

140- عن الغزو الآشوري لبلاد الشام انظر:

Raux G., Ancient Irag, Pelican Books, London, 1964.

Olmstead, A.T., Western Asia in the Days of Sargon II (722-705 B.C.) 1909; Aharoni, the land of the Bible, London, 1970.

أما في أسيا الصغرى فلم يكن سوى ولتي فريجيا وليديا، وقد دمرت الأولى على يد القبائل الكميرية القادمة من مناطق الاستبس وبقيت ليديا فأقامت جسورا من الصداقة والتعاون مع الإغريق ولم يكن الفرس قد هضموا كقوة ذات نفوذ في مياه البحر المتوسط.

أما العوامل الاقتصادية، فقد أدى تكس دول المدن في المساحات الضيقة، وتمسك كل منها باستقلالها، إلى الاحتكاك وقيام المنازعات بسبب الحدود أو المصالح والتنافس من اجل السيطرة التجارية، حتى تفرض كل مدينة نفوذها على أكبر رقعة من العالم، وقد ساعد على ذلك تزايد عدد السكان بدرجة لا تتناسب مع المساحات المتاحة، ومن ثم دفعت مشكلة البحث عن الغذاء، السكان إلى الهجرة، وقد ساعد البحر وقيام الأساطيل الصغيرة على هذا الانتشار.¹⁴¹ والواقع ان وضع المواطن الإغريقي (السياسي والاجتماعي) كان مرتبطا بما يملك من ارض، وقد أدى ذلك إلى انتشار السخط بين السكان الفقراء وكثيرا ما أدى اليأس السياسي بين الطبقات المعدمة إلى ترك الوطن والبحث عن وطن جديد يحققون فيه ذاتهم، بل ان الصراع الاجتماعي فع الطبقات المتدمرة إلى الهجرة، ولهذا نجد ان بعض المستوطنات دخلت في صراع سياسي واجتماعي مع المدينة الأم التي أنشأتها كما حدث بين كورنثا ومستوطنتها كوركيرا، وقد وجد المواطنون المثلون بالديون في الهجرة منفذا للهرب تخلصا من أعبائهم المالية وبداية لمرحلة جديدة من الحرية بدلا من البقاء تحت نير عبودية الدين.¹⁴²

ولم تقتصر حركة الاستيطان على الباحثين عن الطعام من

141- عبد اللطيف احمد على: التاريخ اليوناني، ص 75-81.

142- إبراهيم نصحي: أشاء قوريني وشقيقاتها، بنغازي، 1970، ص 9-10.

المعدمين أو أولئك الهاربين من الديون، بل شملت بعض النبلاء الذين حرموا من أراضيهم بحق قانون الإرث الإغريقي الذي كان يقضي بان الابن الأكبر فقط كل الضياع حفاظا على الملكية، ومن ثم وجد الإناء الآخرون أنفسهم مضطرين للبحث عن ضياع جديدة في ارض جديدة، ويجب إلا نغفل عشق الإغريق للمغامرة والجري وراء الثروة لإرضاء الغرور والطموح خاصة الشباب منهم.¹⁴³

علاوة على ما تقدم، يبقى عامل أساسي وهو الثورة البحرية والتجارية الكبرى نتيجة للتطور في فن صناعة السفن ذات الطوابق العديدة، خاصة السفن ذات الثلاثة صفوف من المجاديف أو ذوات الخمسين مجدافا، وبذلك لم يعد الإبحار مرهونا بهبوب رياح معينة في مواسم بعينها، بل ان سرعة السفن تضاعفت، كما ساعدت الكشوف الجغرافية على ركوب البحر حيث أصبح الانتقال سهلا وميسرا وبالتالي فتحت مناطق جديدة للتجارة، وكان القمح عاملا أساسيا لان كثيرا من المن الإغريقية كانت تعتمد عليه في غذائها الأساسي، وعلى ذلك كانت التجارة حتمية اقتصادية للمن الإغريقية بعكس ول الشرق الأوسط التي كانت مكنتة ذاتيا من الناحية الاقتصادية، والتي كانت تجارتها مقتصرة على الرفاهيات وليس الضروريات بعكس الإغريق.¹⁴⁴

هذه هي دوافع الاستيطان الإغريقي بصفة عامة، فهل توافر في ليبيا من العوامل ما ساعد على جذب هذا الاستيطان إلى أراضيها؟

الحقيقة أننا إذا نظرنا إلى أحوال ليبيا الاقتصادية (كم أسلفنا

143- سيد الناصري: الإغريق، ص 36.

144- سيد الناصري: الإغريق، ص 137.

جاء بوصف مطابق للواقع، حيث انه بانتهاء جبال أطلس بسفوحها التونسية تأتي منطقة جبلية أخرى هي مرتفعات جبال نفوسة في إقليم طرابلس وهي على شكل قوس مكونة بينها وبين الساحل سهل الجفارة المشترك ما بين تونس وليبيا، ثم يأتي خليج سرت شرقي هذه المنطقة، والذي يفصل ما بين إقليم طرابلس وإقليم برقة، ثم بعد ذلك شرقا منطقة الجبل الأخضر وهي أكثر المناطق خصوبة على الساحل الليبي، وفي هذه المنطقة الأخيرة تتوالى مستويات الارتفاع الطبوغرافي، فهناك المنطقة الساحلية تليها الهضبة الوسطى وأخيرا الهضبة العليا، هذا التنوع الطبوغرافي أدى إلى اختلاف كميات المطر الساقطة واختلاف درجات الحرارة، كل هذا أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية وأيضا اختلاف مواسم جنيها، من هنا يتضح ان هيردوت قد زار بنفسه المنطقة التي وصفها فاستطاع بالتالي رسم هذه الصورة الدقيقة لتعاقب مواسم محاصيلها.

تعتبر الحبوب خاصة الشعير والقمح أهم المنتوجات الزراعية وأكثرها تأثيرا في اقتصاد ليبيا، حيث نجه يتصدر قائمة المنتجات الزراعية في حسابات الدامبورجي.¹⁴⁷

147- الامبورجي هي لفظة يونانية تعني الشخصي الذي يعمل من اجل الشعب، ويشير "اوليفيرو" إلى ان هذا الاسم معينين الأول مهني ويعني الشخص الذي يقدم للشعب متطلباته، والثاني إداري يتعلق بالإدارة العامة، ويرى "شامو" ان هذه الوظيفة قد أنشئت بعد سقوط الملكية في قوريني حيث آلت أراضي الملك إلى المسؤولين من رجال الحكومة المكلفين بتحصيل الإيرادات اللازمة لتغطية مصروفات الكهنوت المقدس

Chintore, G., Rivista eli Filogia, "Demiurgi in Ereta, Torino, 1930, P. 54.

Oliverio, G., Documenti Antichi Dell Africa Italana Corenoica, Vol. I. 1932, P. 101.

في الفصل الأول) نجد ان بها من المقومات الاقتصادية (خاصة إقليم برقة) ما جعل هؤلاء المعمرين الإغريق شغوفين بهذا الإقليم الواسع الذي استعاضوا به عن وديان بلاهم الضيقة وعن جزرهم الصغيرة التي تغطي بالصخور، حيث وجدوا في هذا الإقليم مساحات شاسعة يمكن استصلاح أراضيها بسهولة، بالإضافة إلى ان الأمطار الغزيرة تطل على هذا الإقليم في فصل الشتاء فتروي هذه السهول خاصة في منطقة «قوريني» حيث «...تبدو السماء مثقوبة...». لذا فقد تحمس أولئك المعمرون للإقامة بهذه الأرض الخصبة التي ينمو في تراجها أنواع كثيرة من النباتات، ويعتبر إقليم «يوسبيريدس» هو الأكثر خصوبة، وان منطقة «كينيس» (وادي كعام) تنتج من المحاصيل ما يعادل إنتاج يوسبيريدس ثلاث مرات.¹⁴⁵ أما فيما يتعلق بمنطقة «قوريني» نفسها فان رواية هيردوت تعتبر اقرب إلى الصدق، فهو يقول «...ان التفاوت في درجات الارتفاع يحدث تباينا بين المحاصيل، فمحاصيل المنطقة الساحلية هي أول ما ينضج ويصير جاهزا للحصاد والقطاف، وعندما ينتهي موسم جمع هذه المحاصيل، فان محاصيل المنطقة الوسطى الموازية السهل الساحلي تبلغ وان نضجها وهذه المنطقة المسماة بمنطقة التلال، وأخيرا فانه عند انتهاء موسم محاصيل هذه المنطقة الوسطى، فان محاصيل المنطقة العليا تبلغ أوان نضجها هي الأخرى، بحيث انه عندما فكون ثمار الموسم الأول قد استنفدت واستهلكت تظهر ثمار الموسم الأخير، وهكذا مواسم جني المحاصيل في قوريني تتواصل على مدى ثمانية أشهر.¹⁴⁶

فانه بالنظر إلى جغرافية ليبيا الطبيعية نجد ان هيردوت

145- هيردوت 4: 198

146- هيردوت 4: 198-199

بجمال زهورها.¹⁵⁰

كما كانت ليبيا تزرع الزيتون وتنتج زيتته وقد ورد الزيت والزيتون ضمن قوائم المنتجات الزراعية التي حدد المدبرون الزراعيون أسعارها وتحدث سجلاتهم عن اللوز والتين كما ان أشجار السرو والصنوبر والسدر من نباتات ليبيا، وكانت تصنع من بعض هذه الأشجار أخشاب من نوعية ممتازة، وكانت أخشاب السرو أفضل أخشاب البناء وقد ظهرت في قوريني سقوف لبعض المنازل من خشب الثويا يرجع تاريخ إقامتها إلى السنوات الأولى من الاستيطان الإغريقي، كم كان النحاتون يصنعون تماثيل رائعة من خشب اللوتس، كما كانت أشجار النخيل تنمو في هذا الإقليم، وق أشار هيردوت إلى ان قبيلة النسامونيين كانت تشد الرحال في موسم جمع التمور إلى واحة أوجلة لجني ثمار الشجرة الصحراوية.¹⁵¹ هذا بالإضافة إلى نبات السافيوم والذي كان من أهم عوامل جذب الانتباه لأهمية هذا الإقليم الاقتصادية، وبالتالي الاستيطان الإغريقي في ليبيا.

كانت تربية الحيوانات مصدرا آخر لشراء الاقتصاد الليبي في العصور القديمة، وليس هذا بغريب مادامت الظروف مواتية لإقليم فسيح غني بمراعيه الواسعة، وقد ورد في نقوش الدامورجي ان الخرطان والحشاش البرية والتبن كانت تباع في الإسراف العامة وفي ذلك دلالة على ان تربية الحيوانات كانت منتشرة في ليبيا حيث تجد الغذاء الكافي لإطعامها، وقد مر بنا في الفصل السابق ذكر بعض هذا الحيوانات التي كانت تربي في ليبيا والتي أشارت إليها النصوص المصرية

150 – Coster, Op. Cit., P. 7.

151 – Grote, G., A. History of Greece, Vol. 4 London, 1906. PP. 19-26.

وقد وصف إقليم قوريناية خاصة بأنه احد مخازن العالم القيم تصدي القمح، ويؤيد ذلك نقش (لوح إمدادات الحبوب) الذي عثر عليه في قوريني ويرجع تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الرابع، وبالتحديد إلى الفترة من 330 ق.م إلى 326 ق.م. وهي الفترة التي تعرضت فيها بلاد اليونان للمجاعة، حيث يشير هذا النقش إلى ان مدينة قوريني أمدت أكثر من أربعين مدينة إغريقية بكميات من الحبوب بلغت ثمانمائة وخمسة آلاف مكيال إغريقي، حصلت أثينا منها وحدها على مائة ألف مكيال.¹⁴⁸ ولا شك ان هذا النقش يل على وفرة القمح بشكل كبير في قوريني، مع الأخذ في الاعتبار الاستهلاك والتخزين المحلي، وما يمكن ان يكون قد بيع في أسواق أخرى.

وقد اشتهر إقليم قوريناية كذلك بإنتاج الفاكهة والتي من أهمها الكروم حيث ينتج الإقليم عدة أنواع من العنب منها العنب مبكر النضج والعنب الأسود الذي يستعمل نبيذا والعنب الجاف (الزبيب) والتين.¹⁴⁹ وتنتج حقول قوريناية خضروات وبقولا منها الحمص والفول والعدس والبصل والثوم وكذلك التوابل كالكمون . وتشيد النصوص القديمة بنوعية زعفران ليبيا الذي كانت تزين به مذايح «أبوللو» في فصل الربيع كما كانت هذه البلاد مشهورة

شامو: الإغريق في برقة، ص 270.

148 – Coster C.H., « The Economic Position of Cyrenaica in classical Ages », S.R.E.S., 1951, PP. 16-17.

Tod, M.N., Aselection of Greek Historical insription, Vol 2. Oxford, 1952, P. 273.

Hasebroek, J., Trade and Polities in Ancient Greece, London, 1965, P. 140.

149- رجب الاثرم: تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، بنغازي، 1988، ص

101.

بجملته ضد مناوئي النظام ومعارضيه الذين لحنوا عند الليبيين) وهو طريق ليبيا¹⁵⁴ وسوف نلاحظ ان ليبيا قد لعبت دورا مهما في سياسة مصر الداخلية إبان العصر المتأخر، حيث كانت ملاذ الثوار الفارين من مصر، كما كانت مركزا لتنظيم الثورات داخل مصر نفسها (ستورد ذلك بالتفصيل فيما بعد) في حوالي عام 655 ق.م. تعرض الإقليم الغربي من «او كسير نخوس» (البهنسا) بمصر الوسطى وحتى البحر المتوسط لموجات من القبائل الليبية، لا يستبعد ان يكون هؤلاء المنشقون وراءه أملا منهم في استعادة ما فقدوه على يد «بسماتيك» الأول، إلا ان هذا الأخير اخذ زمام المبادرة وجمع جيشا عن طريق تجنيد أفراد من بين سكان الأقاليم الموحدة، وهو حدث بارز يتم عن فطنة في السياسة وبعد النظر، فرما أراد بسماتيك ان يشعر هؤلاء الوطنيين بأهمية دورهم في الدفاع عن بلادهم بأنفسهم، وزحف «بسماتيك» بجيشه غربا وطرده الليبيين كما كان يحدث أيام الدولة الحديثة.¹⁵⁵

وتحتفظ الأعمدة التي أقيمت على امتداد طريق دهشور بذكرى حملة «بسماتيك» الأول المظفرة والتي في أعقابها وضع الفرعون الحاميات عند الحدود الغربية (ماريا) والحدود الشرقية (دفتي) والحدود الجنوبية (الفانتين)¹⁵⁶ وأصبحت هذه الأخيرة خط الحدود الفاصل بين مصر ومملكة نبات، وكانت العناصر المكونة لهذه

154- جرمال: تاريخ مصر القديمة، ص 201، 207، 458.

155- Salinger, A., «Psametichus King of Egypt». J.A.R.C.A., XIII, 1976, PP. 133 ff

156- جاردرنر: مصر الفراعنة، ص 389.

Goedicke, H., (Psammetik I und die Libyer), M.D.A.I.K., 18, 1962, PP. 26-49.

ومنها الأغنام، وأيضا الأبقار التي كانت تقدم كقرابين للإلهة.¹⁵² وإذا كانت الزراعة وتربية الماشية مزهرة في ليبيا كثيرا فان نصيبها من الصناعة كان على العكس من ذلك، إلا ان صناعة الفخار كانت متقدمة إلى حد ما، حيث عشر على كميات كبيرة من الفخار في مقابر قوريني، كما ان جهات أخرى من إقليم برقة مثل بنغازي وتوكره وطليميثة كانت مراكز مهمة لصناعة الفخار، وهي تل على ان إقليم برقة كان من أهم مراكز صناعة الفخار على شواطئ البحر المتوسط، كما ان ورش درب العملة كانت تتميز ببعض الأهمية مما يشير إلى ان تجارة ليبيا الخارجية كانت نشيطة في تلك الفترة.¹⁵³

ثالثا - مصر وليبيا:

(أ) بسماتيك (الأول - الثاني):

إذا كانت الاحتفالات المهيبة التي إقامتها طيبة لتصاحب مراسم تنبي «شبتن وبة لتيت اقرب» قد رسخت توحيد البلاد، فلا يعني ذلك بالضرورة ان «بسماتيك» الأول قد سحق كل مقاومة لسلطة، فقد رفض بعض صغار الملاك وأمرء الدلتا الاعتراف بالسلطة الجديدة (كما أسلفنا) وقد اختار هؤلاء السير في الطريق الذي يعرفه جيدا المنشقون المعارضون من أهل الشمال منذ عصر الدولة الوسطى (قام «منتوتحتب» الثاني بمطاردة المعارضين السياسيين في الواحات كما قام «سنوسرت» في عهد والده «أمنحات» الأول، 152- Bates, Op, Cit, P. 218. 153- Sadawya, A., "the Greek Settlement in Cyrenalca with Notes on Pottory discovered theres, Libya in History, P. 9

انظر كذلك شامو: المرجع السابق، 295 وما بعدها .

العودة إلى مصر مما دفع «بسماتيك» الثاني إلى توجيه جملة إليهم في علم حكمه الثالث.¹⁵⁸

ويوجد حتى الآن مصدران على الأقل يسجلان خبر تلك الحملة، الأول يمثل نقش (كاري) شهير دونه بعض مرتزقة الإغريق الذين كانوا ضمن جنود تلك الحملة على ساق أحد تماثيل رمسيس الثاني القائمة عند بوابة معبد «أبو سنبل»¹⁵⁹ أما المصدر الثاني فهو بقية من نص منقوش على لوحة بالقرب من البوابة الثانية في معابد الكرنك يتضمن حملة بسماتيك الثاني على بلاد كوش، ويهمننا من هذا النقش إشارته إلى وصول الجيش المصري إلى ما بعد الجندل الثالث ليؤكد انتصاره.¹⁶⁰ ونجحت الحملة المصرية على كوش طبقا للمصادر المصرية المذكورة نجاحا كان متوقعا ومعتادا في معظم الحملات المصرية على كوش.

خلاصة القول ان «بسماتيك» الأول وخلفاءه باعتبارهم على الإغريق والكاريين في قواتهم الحربية، تمكنوا من إزاحة القوات القديمة ذات الأصول الليبية التي لا هم لها سوى اقتسام السلطة، كما استطاعوا ان يخطوا من شان ممالك الشمال الليبية وذلك بفتحهم الباب أمام إنشاء مستوطنات للإغريق والكاريين الذين كانوا خير معين لهم في بسط نفوذهم على مصر كلها.

(ب) - أبريس (واح ايب رع) وامايزيس (أحمس الثاني):

158 - Habachl, L., "Psmmatique II dans La Region de la Premier cactates Orients Antique, XIII, 1974, PP. 317 ff"

159 - أمري: مصر وبلاد النوبة، ص 232.

160 - Sauneron, S., & Yoyotte, J., « Lo Campagne Nubienne de Psammaticque II » B.I.F.A.O., 51, 1952, PP. 187-189

الحاميات من حنسيات متعددة، منها المشاوش الذين ينتمي إليهم «بسماتيك»، ويروي «هيردوت» خبر أولئك المشاوش الذين ثاروا على مليكهم بسبب إبعادهم عن أسرهم للخدمة عند الحدود، وعدم منحهم إجازة لفترة طويلة، وكذلك تفضيل «بسماتيك» للإغريق عليهم لقدراهم الخاصة، فتركوا مواقعهم وارتحلوا إلى الجنوب حيث رحب بهم ملك كوش، واقطعهم مساحة فسيحة من الأرض، وعندما لحق بهم «بسماتيك» قبل ان يعبروا الحدود المصرية رجاهم العودة ولكنهم لم يأبهوا لرجائه.¹⁵⁷ ومهما كانت درجة المبالغة في تلك الرواية، فلا بد انما تنطوي على نواة تاريخية، ومن المرجح ان يكون جند المشاوش القدامى قد فضلوا الهجرة إلى بلاد كوش بعد ان بات واضحا ان «بسماتيك» قد قبض على ناصية الأمور بيد من حديد وان دورهم لا بد وان يتقلص ليفسح المجال لذلك الجنس الجديد الذي تجمع حول الملك، ويبدو ان بسماتيك قد ارتاح لتلك النهاية التي خلصته من العناصر البالية العتيقة في جيشه، وكذلك عناصر الشعب والشقاق الذين ارتحلوا مع المتمردين.

وربما كان وجود هؤلاء المشاوش في كوش سببا في توجيه «بسماتيك» الثاني حملة حربية ضدها، حيث انه حوالي 593 ق.م. أسس «انلماني» أسرة كوش الثانية فأهمل بذلك حالة السلم المستقرة منذ عه «تانت آمون» حيث كان لهذه الأسرة أطماع في مصر، فحاولت استعادة نفوذها، ذلك النفوذ الذي كان ق ضاع عقب فرار «تانت آمون» من طيبة، وكما أسلفنا فان ملك كوش رحب بالمشاوش المنشقين على فرعون مصر، ربما أملا في مساعدتهم لهم على

157 - هيردوت 2: 30

Olmstead, A.T., History of the Persian Empire, 5th ed, Chicago, 1966, PP. 417-20.

كان لتطور الأحوال الداخلية في ليبيا في شك الفترة اثر كبير على علاقتها بمصر، خاصة بعد الاستيطان الإغريقي في قوريني، يذكر هيردوت انه طوال فترة «باطوس» الأول المؤسس الذي حكم أربعين سنة، ومن بعده ابنه اركسيلاوس الذي حكم ست عشرة سنة لم يكن يقطن مستوطنة قوريني سوى المهاجرين الأول.¹⁶¹

والحقيقة ان هذه العبارة تستحق المناقشة، حيث ان رفاق «باطوس» ان كانوا قد قدموا فعلا إلى سواحل ليبيا على ظهر مركبين من ذوات الخمسين مجدافا، فان عددهم في هذه الحالة لن يكون كبيرا وقد لا يتجاوز المائتين، ومن الصعب ان يتمكن هذا العدد الصغير من العيش قرابة جيلين في بلد غريب مثل ليبيا دون ان ينشروا أو يذوبوا في هذا المجتمع الجديد، وتعليل ذلك في أمرين، أما ان يكون هناك أفواج أخرى من المهاجرين، وبالتالي لا بد ان يكون هناك اتصال مستمر بين المستوطنة الناشئة والمدينة الأم مما مهد لنزوح الكثيرين للحاق بجماعة «باطوس»، كما ان هذا النزوح لم يقتصر على العنصر الثيراني فقط بل شمل معظم الجزر الإغريقية الأخرى.

كما ان المهاجرين الأول لم يصطحبوا معهم النساء إلى ليبيا، فلو ظلوا متقوقعين على أنفسهم لانتهوا قبل نهاية الفترة ذكرها هيردوت، لذلك لم يجد هؤلاء بدا من الاقتران بنساء ليبيا، بغية تكوين اسر لهم في موطنهم الجديد والحقيقة ان هذا الزواج المختلط لم يكن من الأمور النادرة في قوريني، إذ ان قرانن لاحقة قد أيدت حدوثه، فقد ذكر «بنداروس» في البوثية التاسعة ان احد أبناء «تيليسكونايس» القوريني قد تقدم إلى ملك «الجيلجاماي» طالبا يد ابنته، فكان عليه ان يشترك مع غيره من الإغريق والفرسان
161- هيردوت 4: 159.

الليبيين في سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة جائرة له، وكان الفائز هو «اليسكيداموس» الإغريقي، وقد حياة الفرسان الليبيون تحية النصر والفوز.¹⁶² ولقد عقد هذا الخليط من السكان الإغريقي علاقات طيبة مع الليبيين، وقد ساعد على استمرار هذه العلاقات بعض الوقت ان الليبيين لم يفتنوا لخطورة قيام مستوطنة إغريقية على أرضهم، ومن ناحية أخرى التزم الإغريق حدودهم وتعاونوا مع السكان المحليين في النشاط الاقتصادي، حيث كانت القبائل الليبية تسيطر على نبات السلفيوم، وكان الإغريق في حاجة ماسة إليه، واستمرت العلاقة على هذا المنوال طيلة عهد «باطوس» الأول وابنه «اركسيلاوس» الأول.¹⁶³

وان كان هناك من يرى ان الخلافات كانت قائمة بين القبائل الليبية وبين الإغريق منذ ان جاء هؤلاء الإغريق إلى ليبيا، عندما اتهم الإغريق القبائل الليبية بالخيانة عندما لم يرشدوهم إلى مكان مناسب لإقامة المدينة، معتقدين ان الليبيين تعمدوا ان يقودوهم ليلا حتى لا يمروا بأخصب بقعة في إقليمهم تسمى «إبرازا» خشية ان يراها الإغريق أثناء مرورهم بها.¹⁶⁴

عندما اعتلى «باطوس» الثاني عرش قوريني، نجح في البحث عن المزيد من الهجرات الإغريقية للحلول بمدينة قوريني، حيث أدرك انه ليس في وسع جزيرة «ثيرا» وحدها ان تمدد بما يكفي من المعمرين الجدد لتعزيز التواجد الإغريقي في قوريني، فأغراهم بإقطاع كل

162 - مصطفى عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، 1966، ص 5.

163- رجب الاثرم: تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، ص 123

164- هيردوت 4: 158، Gyles ; Op. Cit, P. 32.

في جيشه من الالتحاق بهذه الحملة خشية خيانتهم وانحيازهم إلى بني جلتهم إغريق قوريني¹⁶⁹ إلا انه من المعروف ان المرتزقة بصفة عامة يعطون ولاءهم لمن يدفع لهم أكثر بصرف النظر عن العدو الذي يجارونه، فقد حارب مرتزقة من الإغريق ضمن صفوف الجيش الفارسي والمعروف ان الفرس هم ألد أعداء للإغريق.¹⁷⁰

كما تبرهن الأحداث بعد ذلك على إخلاص المرتزقة ووقوفهم إلى جانب «أبريس»، وأخيرا يمكن النظر إلى الجبل الثالث أو الرابع من المرتزقة الإغريق الذين عاشوا في مصر وحصلوا على ارض لحسابهم، أنهم ق تمصروا أو أصبحوا مصريين إلى حد ما، وبالتالي كان ولاؤهم لمصر نفسها.¹⁷¹

وهكذا يبدو ان دوافع «أبريس» في ان تقتصر الحملة على جنود الماخيموي والمصريين دون المرتزقة الإغريق هي: أولا اعتقاده الخاطئ بضعف قوة قوريني العسكرية بالإضافة إلى انه ربما كان لا يتق في ولاء الماخيموي لذا أرسلهم إلى معركة وأبقى على من يتق فيهم من المرتزقة حتى يحافظوا على امن المملكة، وكان هذا الموقف قد اتخذ ذريعة ضد الفرعون وأهم على أثره بأنه دبر هذه الحملة للتخلص من الحاربيين المصريين والماخيموي حتى يزداد تسلطا على مصر.¹⁷²

169 – Kienitz, Op. Cit P. 29

170 – Parke, H. Greek Mercenary Soldiers Oxford, 1933, PP. 23 f.

.Olmstead, Hist of Per. Emp., PP. 245

Burn , A.R., Persia and Greek the Defence of the West 54-478 B.C., London, 1962, PP. 236 f.

171-هيردوت 4: 12-4.

172- عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص 3066.

وافد جديد قطعة من الأرض الزراعية، وهكذا تدفق المهاجرون الإغريق على قوريني من كل حدب وصوب، خاصة من شبه جزيرة «البيلوبونيز» وجزيرة كريت وباقي الجزر الإغريقية الأخرى، ولم يكن أمام «باطوس» الثاني لكي يفني بالتزاماته تجاه الوافدين الجدد سوى اغتصاب ارض الليبيين، فانتزع منهم أراضيهم ومنذ ذلك الوقت حي العداء الصريح وحل العلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين الليبيين والإغريق لذا لم يجد «ادكران» زعيم قبيلة الاسيستاي الليبية، إلا الاستنجد بفرعون مصر «أبريس» (واح ايب رع).¹⁶⁵

وكان استنجد الليبيين بمصر أمرا طبيعيا، وذلك للعلاقات الطيبة بينهم وبين مصر على مدى عدة قرون، كما ان الملوك الصاويين كانوا يعتبرون ليبيا ضمن ممتلكاتهم المصرية وربما كان «أبريس» يعمل على ضم عدد جديد من المرتزقة الليبيين¹⁶⁶ ويرى «لويدي» جند «الماخيموي» الليبيين هم الذين دفعوا أبريس لمساعدة الليبيين، وفوق هذا وذلك، وعلاوة على غنى هذه المنطقة اقتصاديا، فان نحو «قوريني» كمدنية إغريقية أصبح ينظر إليها على انها تمدد امن الحدود الغربية لمصر، كان ذلك هو العامل الرئيسي للمساعدة المصرية للقبائل الليبية ضد الإغريق،¹⁶⁷ ويمكن القول الرغبة في التوسع كانت دافعا آخر حيث ان أبريس كان من الملوك الصاويين الذين حاولوا بناء إمبراطورية جديدة.¹⁶⁸

وقد حرص الفرعون على ان تكون ذلك الحملة برمتها مؤلفة من الماخيموي والمصريين حيث منع العناصر الإغريقية العاملة

165 – Gyles, Op. Cit., P. 32.

166- Ibid, P. 33

167 – Liyd, A. E., PP. 17. 343.

168 – spalinger Orientalia, 47, PP. 12 f.

خرج جيش «قوريني» الإغريقي لملاقاة الحملة المصرية، حيث عسكر الإغريق في إقليم «ايرازا» الذي يعتبر الحد الأقصى للأراضي الخصبية في قوريني من ناحية الشرق، وهناك من يرى ان «ايرازا» كانت عند «أم الرزم»¹⁷³ إلا ان «ايرازا» لو كانت حقا عند «أم الرزم» فان هذا يعنى ان القوريين قد ارتكبوا مجازفة يصعب تصورها، بالابتعاد عن إقليمهم مسافة تقدر بحوالي مائتي كيلو متر، والتوغل وسط إقليم الليبيين العادين لهم مما كان يحملهم عبء نقل مؤناتهم وعتادهم مسافة طويلة في منطقة وعرة، ويعرضهم لقطع خطوط الإمدادات، وكذلك وقوعهم نهباً لحرب العصابات من جانب القبائل الليبية وإذا لم يكن معقولا ولا مقبولا ان يقدم القوريين على مثل هذه المجازفة بالذهاب إلى أم الرزم وهي البعيدة عن الطريق الساحلي المألوف، فانه لم يكن كذلك معقولا ولا مقبولا ان يضيف الجيش المصري إلى متاعب زحفه الطويل من مصر، متاعب أخرى بان يترك الطرق الساحلي المألوف ويشق طريقه عبر الصحراء، بمعنى آخر فان «أم الرزم» لم تكن الموقع المناسب من الناحية الإستراتيجية لكلا الفريقين وعليه لابد ان تكون (ايرازا) هذه قريبة من الساحل أو على الساحل نفسه، ربما عن درنة.¹⁷⁴

ظل الجيش الإغريقي المزود بمؤن كافية يتربص وصول الحملة المصرية التي لا بد وان يكون عبورها الشاق لمسافات صحراوية طويلة فقد أمك جنوها، ثم اندلعت المعركة بين الجيشين قرب نبع «ثيستس» (عين مارة قرب درنة) الذي اختاره الجيش الإغريقي كمسرح للمعركة بسبب توافر المياه هناك، وعجزت القوات المصرية
173 -Pacho, Voyage dans la Marmarique-laCyrenalque, Paris, 1979, P. 83.

174- ابراهيم نصحي: انشأ قوريني وشقيقتها، ص 56

عن مقارعة إغريق قوريني فأبيدت أعداد كبيرة من تلك القوات التي لم يتمكن من الإفلات والعودة إلى مصر سوى قلة من العناصر المهزومة، وقد انعكست نتائج هذه المعركة على كل من مصر وليبيا، حيث ان هزيمة الحملة المصرية كانت السبب المباشر في الثورة ضد «أبريس» والتي في النهاية إلى الإطاحة به وتنصيب «أحمس» الثاني (امازيس) خلفا له، أما في ليبيا، فقد تحولت قوريني من بلدة محدودة السكان مزعزة الوجود، تكتنفها المخاطر بسبب وجودها وسط منطقة غريبة ومعادية، إلى مدينة كبرى مكنتة بالسكان ومرهوبة الجانب عسكريا حتى أصبحت أكثر من ندم لمصر مما دفع «امازيس» فرعون مصر إلى اتباع سياسة الوداد معها حتى انه تزوج من «لاوديكا» وهي امرأة إغريقية سواء كانت ابنة «باطوس» الثاني أو ابنة احد أعيان قوريني.¹⁷⁵

ما ان تربع «اركسيلاوس» الثاني على عرش قوريني، حتى بدأت الصراعات بين البيت المالكي، حيث دخل اركسيلاوس في خصومات مع إخوته وأجبرهم على الفرار من المدينة، فاستجاروا بالقبائل الليبية المجاورة، فتوجهوا إلى سهل خصيب على بعد مائة كيلو متر من قوريني وأسسوا هم وأشياعهم مدينة «باركي» (برقة).¹⁷⁶

ونكابة في اركسيلاوس الثاني، قام إخوته بتاليب الليبيين ضده وتحريضهم على الثورة، وما كان هؤلاء في حاجة إلى التحريض لأنهم يكونوا قد نسوا ذكرى اغتصاب والده «باطوس» الثاني لأراضيهم، ولما زاد حنقهم ضد الأسرة الباطية وعجل بقيام الثورة، هو احتكار

175 - هيردوت 2: 344. A.E., P. 181Triggehr,

176- هيردوت 4: 160

Boardman and Hays, Excavation at T ocr, London, 1966; P. 13.

أهم متحالفون مع الفئة المتمردة على السلطة الملكية، وبذلك هدأت الأمور، ولم تقع أية مصادمات طيلة عهد باطوس الثالث الذي التزم بإصلاحات «ديموناكس».

وتجب الإشارة هنا إلى انه ربما كان لمصر ضلع كبير في التمرد وانتصار الليبيين، فالليبيون استدرجوا الإغريق جهة الشرق ربما لكسب الوقت حتى يصل مدد مصري كان في الطريق إليهم، فلو لم يكن هناك وعد مصري بهذا المدد لكان الأجدى ان يتجه الليبيون جنوبا لاستدراج الإغريق في المناطق الصحراوية، كما ان هناك من يكر تأييدا خارجيا لهذه الثورة، كما ان بعض العناصر المقيمة في المدينة الإغريقية والمؤيدة لمصر قد ساعدت «ليارخوس» على قتل أخيه.¹⁷⁹ وهذا يشير دون شك إلى وجود حزب مؤيد لمصر اخل قوريني، وان مصر كانت على اتصال بمؤلاء المؤيدين لها. ومن نقش يرجع تاريخية إلى فترة حكم ملك بابل «نبوخذ نصر» الثاني والذي يتحدث عن حملة قادها الملك البابلي ضد جيوش فرعون مصر «امازيس» حوالي 685 ق.م. خلص «مازارينو» إلى القول بان النقش يفيد اشتراك إغريق قوريني تحت قيادة «ليارخوس» (الذي اغتال أخاه 1937, P. 353.

وان كان "شامو" يرى ان هذه الطائفة كانوا إفريقيًا يعيشون في الريف لان الإغريق لا يخلون في عداد مواطنيهم العناصر غير الإغريقية، شامو: الإغريق في برقة، ص 78، وان كان الدارس يرجح الرأي الأول، لان مستوطنة قوريني زراعة الطابع، فلعل الإغريق قد استعانوا بالأهالي من الليبيين في مجال الزراعة التي يتقنها الليبيون وخاصة زراعة الحبوب التي اشتهر بها الإقليم، وقد وضعهم ديموناكس ضمن الطبقة الأولى لتصحیح وضع خاطئ خاصة وان كان ديموناكس جاء إلى قوريني عقب انتصار إخوة الملك وحلفائهم الليبيين، وبهذا يرضى ديموناكس الليبيين من ناحية ويعترف بالأمر الواقع من ناحية أخرى. 179- شامو: الإغريق في برقة، ص 175.

أسرة باطوس لتجارة نبات السلقيوم، وكان الليبيون قد اعتادوا على تحقيق أرباح كبيرة من وراء جني وبيع هذا النبات الفريد الذي لم يكن ينمو إلا في تلك المنطقة والذي اشتد عليه الطلب في كل مكان نظرا لفوائده الطبيعية التي لا تحصى، لذا فان الليبيين تضرروا كثيرا من جراء احتكار ملك قوريني لسوقه، وخرج الملك على رأس قواته لقمع التمرد، غير ان الليبيين كانوا قد استوعبوا نتائج هزيمة المصريين في ايرازا، فرفضوا الدخول في معركة فورية ضد إغريق قوريني، وفضلوا استدراج جيشهم بعيدا باتجاه الشرق، واخذ اركسيلاوس يطاردهم حتى مشارف الصحراء، وعندما وصلت جموع هؤلاء إلى مكان يسمى «ليوكن» رأى الليبيون ان الفرصة أصبحت مناسبة لخوض المعركة ض الجيش الإغريقي، وتمكنوا من سحقه، وبذلك انتقموا لهزيمة حلفائهم المصريين في ايرازا، وقتل اركسيلاوس الثاني على يد أخيه الذي أعلن نفسه وصيا على باطوس الثالث¹⁷⁷ وكان من نتائج هذه المعركة، ان ضعفت قوريني وبرزت «برقة» لتأخذ مكان الصدارة بين مدن قورينائية، كما ان المصالح «ديموناكس» (الذي احضره باطوس الثالث لاصلاح الوضع في قوريني) أدرك أهمية العنصر الليبي وتأثيره في وضع قوريني فحاول ضم طبقة «البيري اوبكوي»¹⁷⁸ مع الطبقة الأولى حتى يرضى الليبيين خاصة 177- Burn, A.R., The Lyric Age of Greece, London, 1960, P. 139.

178- يرى بعض المؤرخين ان هذه الطائفة تمثل الليبيين المتأخرين الذين ساهموا في إنشاء مستوطنة قوريني وتعاونوا مع المستوطنين الأوائل من زراعة أراضيهم، وتزوج هؤلاء المستوطنون من بناتهم، أو ان هذه الفئة هم أبناء النساء الليبيات من أباء إغريق، وذلك منحوا حقوق المواطنة ووضعوا مع الطبقة الأولى انظر مصطفى عبد العليم: المرجع السابق، ص 132.

Jones, A., Cities of the Eastern Roman Empire, Oxford,

اركسيلاوس الثاني) في خوض الحرب المصرية ضد الكلدانيين بجانب حليفهم المصري «امازيس».¹⁸⁰

إلا ان هناك من يرى ان هذا الرأي يركز على حجة واهية بحجة ان النقش المسماري المذكور قد تعرض لكثير من منه نتائج تاريخية مؤكدة، ويستطرد صاحب هذا الرأي مستكرا إمكانية فرض امازيس حمايته على قوريني حتى انه يشرك قواتها الإغريقية في حربه ضد الكلدانيين في الوقت الذي هزم هو نفسه على يد هذه القوات في ايرازا، كما يرى انه ليس من المعقول ان يرسل ملك قوريني الإغريقي مشاة جيشه المسلحين إلى مصر دون ان يذكر هيردوت هذا الحدث المهم في تاريخه ولو في بضعة سطور، وأخيرا فان صاحب هذا الرأي يستبعد تدخل مصر في خصومات البت المالك في قوريني وما ترتب على ذلك من اغتيال «اركسيلاوس» الثاني، بحجة ان هذا الأمر لم يذكره إلا قلة من المؤرخين المتأخرين من أمثال «بلوتارخ»، بينما لم يشير إليه هيردوت مع انه المصدر الأساسي في تاريخ هذه المدينة، وهكذا فان هذه الأسباب وحثمية تحمل صاحب هذا الرأي على التشكيك في جدوى ما ذهب إليه «مازارينو» واعتباره افتراضا لا يقوم على بيينة.¹⁸¹

إلا ان الدارس يميل إلى ما ذهب إليه «مازارينو» حيث انه من الممكن تفنيد ما اعتمد عليه «شامو» في وجهة نظره، فالنقش

180 – Wiseman, D. J., *Chronicles of Chaldaean Kings* London, 1956, PP. 94–95.

Mazzarino, S, *Fra oriente ed Occidente ricerche di Storia greca arcaica*, Florence, 1947.

181- شامو: الإغريق في برقة، ص 182-183.

المسماري لم يطمس عن آخره، وربما توصل «مازارينو» إلى ما توصل إليه من خلال ما تبقى من النص خاصة الأسماء، فكيف لهذا الرجل الباحثة ان يذكر مثل هذه الأسماء دون ان يكون تحت يده ما يؤيد قوله؟ ثم ان هذا النص ذكر من قبل الأعداء، فلو كان نصا مصريا لقلنا ان الفرعون ذكره ليبين سيطرته على ليبيا والتي يرفضها «شامو» ونحن معه في هذا الرفض، اعتمادا على سياسة «امازيس» السامية والتي أراد بها ان يضم إلى جانبه اكبر عدد من الحلفاء ضد الأعداء على حدود الشمالية الشرقية، إذن ربما كانت هذه القوات تطوعا من جانب «ليارخوس» ردا للجميل الذي أسداه إليه امازيس في صراعه مع «اركسيلاوس» الثاني، ثم يتعجب «شامو» من اشتراك قوات إغريقية في جيش «امازيس» بعد هزيمة جيش الأخير في «ايرازا» ويبدو ان «شامو» قد نسي أو تناسى زواج «امازيس» من «لاديكاة» الإغريقية، ونسي هدايا الفرعون المعابد الإغريقية بل مساهمته في إعادة بناء معبد دافي، وكل هذا حدث بعد هزيمة جيشه في ايرازا، والمعروف ان السياسة لا تعرف العاطفة، فأعداء اليوم يمكن ان يكونوا أصدقاء الغد والعكس صحيح، (وسوف نرى تحالف الإغريق والفرس ألد الأعداء ضد الليبيين) حيث ان «امازيس» كان قد تحالف مع «باطوس» الثاني (كما أسلفنا) أما اركسيلاوس الثاني فكان يتصف بشخصية معاكسة لأبيه حتى انه لقب بالعنيد، وربما نقض حلف أبيه مع ملك مصر الذي وجد بدوره الفرصة سانحة في الحرب الأهلية بين اركسيلاوس وإخوته، فشجع الثورة وانتصر الليبيون وتمكن «لياخورس» من قتل أخيه ولصبح وصيا على العرش فكان عليه ان يظهر ولاءه واعترافه بفضل مصر.

أما ثاني الأدلة اعتمد عليها «شامو» فهو ان هيردوت لم

الفصل الثالث

مصر وليبيا

في عصر الاحتلال الفارسي (404-525 ق.م)

أولا - مصر:

(أ) الأحوال الداخلية

1- الاحتلال الفارسي لمصر

2- الفرس في مصر

ثانيا - ليبيا:

(أ) الأحوال الداخلية:

1- الحالة الاقتصادية والاجتماعية

2- الحالة السياسية

ثالثا - مصر وليبيا:

(1) قميز

(2) (دارا) الأول

يذكر هذا الحدث المهم في تاريخه، ان الذي لا مرأى فيه هو ان فقرات الكتاب الليبي بالذات تفتقر إلى طراز ذلك الجهد الذي بذله مؤرخنا بشكل جلي عبر بقية فصول وفقرات تاريخه الكبير، ولعل السبب في هذا التباين هو ان هيردوت لم يقيم بتدوين فقرات الكتاب الليبي إلا من زمن لاحق قلم يتوافر له الوقت الكافي لتنقيحه وتحسين نصه فجاء فح الأسلوب والصياغة ويفتقر إلى الحكمة وأحكام العبارات، كما ان هيردوت في أحيان كثيرة ذكر خرافات ليس قيمة وفي نفس الوقت لا يذكر أحداثا تاريخية مهمة، كما انه إذا كان هيردوت قد نجح بوجه عام في إعطائنا صورة صادقة عن تاريخ قوريني، إلا ان هذه الصورة كانت ناقصة، والحقيقة ان كل ما ذكر هنا من قول «شامو»¹⁸² نفيسة ويكفي هذا لتفنيد حجته الثانية.

خلاصة القول ان ملوك مصر الصاويين قد جابمتهم إبان حكمهم لمصر مشاغل عاجلة وملحة، أما داخل مصر نفسها، وأما على حدودها الشرقية أو الجنوبية فلم يتوافر ليهم الوقت الكافي لتوسيع دولتهم المصرية باتجاه المناطق الغربية الليبية التي لم يتمكن أقوى أسلافهم من الملوك المصريين من إخضاعها اللهم إلا اسميا، وكل ما يمكن ان يقال في هذا الصدد، ان بعض الزعماء الليبيين كانت تربطهم بفراعنة مصر بعض وشائج الولاء السوري.

182- شامو: الإغريق، ص 2.1، 205.

أولا - مصر:

(1) الاحتلال الفارسي لمصر:

في الأيام الأخيرة من عهد الفرعون "أحمس" الثاني (الأسرة 26) كان الموقف الولي يشغل بالمتغيرات المصرية لمعظم دول العالم القديم نتيجة لاحتكاكات وصدامات طويلة، فمنذ حوالي 553 ق.م. قامت ثورة في مملكة "ميديا" انتهت بسقوط ملكها "استياجس" أسيرا في قبضة ملك الفرس "قورش" الثاني، وبموت "استياجس" انتقل ملك دولته إلى الأسرة الفارسية الاخمينية فتضاعفت قوتها.¹⁸³ كان هذا يعني انقلابا وشيكا في موازين القوى في المنطقة، وفي كل لحظة كان ينتظر مد نفوذ الفرس إلى كل أقطار المنطقة.

واتقاء لخطر الفرس المنتظر عقد "أحمس" الثاني (امازيس) حوالي عام 546 ق.م معاهدة دفاع مشترك مع "تابونيد" عاهل بابل، و "كرويسوس" ملك "ليديا" و "بوليكراتس" حاكم ساموس،¹⁸⁴ وفي نفس العام (546 ق.م) قام "كرويسوس" بشن حرب وقائية ضد "قورش" كانت نتيجتها انتصار الفرس وخضوع كل آسيا الصغرى لسلطان الفرس، ثم تساقطت بقية دول المنطقة تباعا في القبضة الفارسية سواء بقوة السلاح أو بالاستسلام دون قتال، فخضعت كليزيا ثم القلاع السورية والفلسطينية، كما استسلم الفينيقيون.¹⁸⁵

183- Hall, H.A., The Anceint History of The Near East, P. 529, N.I

Hall, C.A.H3., Vol, 2, P. 305.

184 - Herodotus 1 ; 77

185 - Herodotus III : 19

Olmstead , Histo of the Pers . Emp., P. 34-36.

جورج رو: العراق لقديم، ترجمة: حسن علوان، ط 2، بغداد، سنة 1986، 513-518

البدو الرحل الذين يعرفون مسالك الصحراء وان يجزل لهم العطاء حتى يدلوه على اقصر الطرق، وقدم شيوخ البدو الجمال المحملة بالمياه وساقوها إلى محطات مرور الجيش الفارسي في طريقه إلى مصر.¹⁸⁷ وهكذا تحقق حلم "قمبيز" وقاد جيشه ومعه "فانيس" فضلا عن نفر من اليهود الذين أصبحوا يدينون بالولاء للفرس منذ أيام "قورش" الثاني الذي فك أسرهم وأعادهم إلى أورشليم مكافأة لهم على خيانتهم للبابليين ومساندتهم للفرس على فتح بابل، ومن هنا كانوا على استعداد للانضمام إلى جيوش "قمبيز" ضد مصر، علاوة على ان "قورش" كان في نظر الكثيرين منهم بمثابة المسيح المخلص.¹⁸⁸ وأخيرا جاءت الأنباء بتجمع الفرس في غزة، ثم سرعان ما تقدمت جيوشهم نحو سيناء، والحقيقة ان "هيردوت" يعتبر المصدر الرئيسي لأحداث تلك الفترة من تاريخ مصر، فيتحدث عن حداثة سن "بسماتيك" الثالث، وقلة خبرته فضلا عن تجريد مصر من حلفائها، كما ان جيشها كان يعتمد في غالبية على المرتزقة من الإغريق، فإذا أضفنا إلى ذلك خيانة "فانيس" ومساعدة اليهود للفرس، وأثناء القتال قدم إغريق "برقة" خضوعهم لـ "قمبيز" مما كان له أسوأ الأثر في نفوس المصريين، فإذا تذكرنا ذلك يمكننا ان نتنبأ بنتيجة الحرب قبل ان تدور رحاها بين الفريقين.

يقول "هيردوت" لما اجتاز الفرس الصحراء وأقاموا معسكرهم على مقربة من معسكر المصريين عند المصب البياوزي

187- Ghirshman, R., Iran from The Earliest Times To The Persian Conquest, London, 1965 PP. 131-136.
Elgood, P.G., The Later Dynasties of Egypt, Oxford, 1951, PP. 112-113.

188- عذرا 3:6-5، اشعيا 24:28، 45:1

معنى ذلك انه لم يبق في المواجهة سوى مصر التي كان عليها ان نتوقع الهجوم الفارسي أية لحظة، وعمل "أحمس" الثاني (امازيس) كل ما في وسعه لتجنب مصر ذلك، إلا ان محاولاته ضاعت سدى، فمع عهد ابنه "بسماتيك" الثالث (525-526 ق.م) كان العصر الصاوي ق اقترب من نهاية، حيث كان الملك الفارسي "قمبيز" الذي اعتلى العرش بعد مصرع "قورش" يتقدم على رأس جيوشه إلى حدود مصر الشرقية يؤازره بجرا أسطول حربي كبير كانت فينيقيا قد وضعت تحت تصرفه.¹⁸⁶

والحقيقة ان "قورش" كان قد خطط لغزو مصر بنفسه حتى يستكمل هيمنة النفوذ الفارسي على المنطقة بأثرها، ومن ثم رأينا "قمبيز" يتابع تنفيذ الخطة بمجرد قضائه على الاضطرابات والمؤامرات التي اندلعت عند توليه العرش، واستكمل تجهيزاته العسكرية، وهناك من يرى ان "قمبيز" كان يهاب غزو مصر لأنه كان يجهل أحوالها الداخلية كما كان يخشى الصحراء ومسالكها الوعرة المجذبة، وساعدته الأقدار على تخطي هذه العقاب وذلك بانضمام "فانيس" احد الغامرين الإغريق إليه، وكان هذا الرجل قد عاش في مصر أكثر أيامه يقود فيها فرقة من مرتزقة الإغريق، ثم اضطر إلى الهروب في عهد "أحمس" الثاني لخلاف وقع بينهما، فوضع "فانيس" خدماته تحت تصرف "قمبيز" وكشف له عن كل ما بدور في مصر من صراع بين الحكومة المصرية والجاليات الإغريقية، كما أطلعه على اماكاناتها الدفاعية، وعن أحوالها المختلفة، كما بصره بالمخاطر التي سيلاقها عند عبوره الطرق الصحراوية المؤدية إلى مصر، ونصح بالالتجاء إلى

186- Herodotus III : 1, Hall, 2 ; C.A.H3., P. 310.

عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص 311، جريمال: تاريخ مصر القديمة، ص 471

صمموا على قتالهم، وهناك انتقم جند المصريين الذين كانوا يتألفون من إغريق وكاريين، من "فانيس" بعد ان جر على مصر جيشا أجنبيا، وذلك بإحضارهم أولاده الذين كان قد تركهم في مصر حين مضى إلى بلاد العجم وأخذوهم إلى الميدان وساقوهم بين المعسكرين على مرأى من أبيهم يذبحونهم الواحد بعد الآخر على وعاء كبير ثم مزجوا بدمهم الذي تجمع في الوعاء خمرا وماء فشرب منه كل الجنود، واندلع القتال حينئذ وكان شديدا حتى هلك الكثير من المتحاربين، وفي النهاية اضطر المصريون إلى الانسحاب.¹⁸⁹ انسحب "بسماتيك" الثالث انسحابا غير منظم لا يمكنه من إعادة تشكيله مرة أخرى، كما لم تسعفه خيبرته بحماية المنافذ المؤدية إلى فروع النيل والتي تؤدي بدورها إلى قلب مصر، مما جعل الطرق مفتوحة أمام الغزاة، فتعقبوا أدبار الجيش المصري إلى "منف" وحاصروها، ويذكر سليم حسن عن المؤرخ "بوليانوس" ان قمبيز اتخذ حيلة طريفة لشل مقاومة المحاصرين، حيث أمر بان تجمع القطط والكلاب وبعض الحيوانات التي يقدها المصريون وسيقت في مقدمة الجيش الفارسي، فلم يجرؤ المصريون على استخدام أسلحتهم خشية ان يجرحوا أو يقتلوا بعض من يمثل أهنتهم.¹⁹⁰

من الواضح ان "هيردوت" الذي كان يكره الفرس أكثر من حبه للمصريين، قد استنكر هزيمة الجيش المصري أمام الفرس، فحاول ان يبحث له عن الأعذار والمبررات ما ينفي عنه هذه الهزيمة، فيبرز ان الجيش المصري لم يقاتل ولو قاتل لانتصر ونسي "هيردوت" عوامل الانتصار في أية حرب من تسليح وقيادة وغيرها، والحقيقة ان هزيمة

189 - Herodotus III : 13.

190- سليم حسن : مصر القديمة، ج 13، ص 377

الجيش المصري كانت أمرا واقعا، فسقطت العاصمة "منف" في قبضة الفرس، وقبض على الملك الصاوي، وبذلك سقطت الأسرة السادسة والعشرون الفرعونية في مصر، وأصبحت مصر ولاية فارسية.

(2) الفرس في مصر:

كان "قمبيز" الملك الفارسي الأول الذي دخل مصر فاتحا، وكانت نظريته في حكمها تركز على الاستفادة من أخطاء من سبقوه من الغزاة الآشوريين، الذين فشلوا في إقامة ما يمكن ان يسمى جسورا للربط بينهم وبين الشعب المصري، كما لم يحاولوا الاقتراب من مشاعر المصريين بان يتخذوا الألقاب الفرعونية مثلا، أو يرتدوا الزى الملكي المصري، أو حتى يحاولوا الاهتمام بالديانة المصرية ومعابدها.¹⁹¹ وقد اختلفت الحال تمام باستيلاء الفرس على مصر، فقد أعلن ملوكهم أنفسهم فراغنة، واتخذوا الألقاب الفرعونية العديدة وارتدوا التاج المزوج توكيدا لسلطانهم على أرجاء مصر، بل ان "مانيتون" نسب إليهم الأسرة السابعة والعشرين الفرعونية بدءا بالملك قمبيز، وقد سجلت المصادر المصرية محاولات هذا الملك التوسع التدريجي في ممارسة المراسم المصرية، واعتناق العادات والتقاليد المصرية، وذلك إكسابا لحكمه صفة الشرعية، بالإضافة إلى نظام التاريخ الذي وضمه قمبيز لأحداث عهده في مصر لنفس الهدف، واعتمد هذا التأريخ على اعتبار فتح مصر قد حدث في وقت اسبق من الواقع أي منذ ان أصبح قمبيز ملكا على فارس، وهكذا وعلى نفس النوال أرخ للحوادث التي وقعت بعد فتح مصر، وهذا

191 - Hall, H.R., « The Presian Invadoin » C.A.H3. 2, 1975, P.310.

النظام كان مصري الأصل فلم يستنكره المصريون.¹⁹²

إلا ان "قممير" قد اهتم باقتراح العديد من الأعمال التي تشير إلى أتباعه سياسة وحشية همجية في مصر منها قسوته بل ووحشيته ضد الديانة المصرية، فمثل بجث الموتى كما فعل بجثة "امازيس" كما انه طعن العجل أبيس فادى إلى قتله، كما انه أمر بفتح القبور القديمة ليشاهد الموتى.¹⁹³

ويقول "استربون" في حديثه عن مدينة هليوبولس "والمدينة الآن مهجورة وهي تضم المعبد القديم المبني على الطراز المصري وهو يقوم دليلا على جنون قممير وانتهائه لحرمة المعابد وهو الذي اخذ يندس المعابد تارة بالنار وتارة بالحديد مخربا ومحرقا كما كان فعله في المسلات المقدسة فبعضها لا يزال قائما والبعض ملقى على الأرض وأكلت النيران معظمه".¹⁹⁴

أما "ديودور" فيذكر مثل ذلك عند حديثه عن طيبة "ولقد ظلت تلك المباني قائمة إلى عصور متأخرة جدا، أما الفضة والذهب والمصنوعات العاجية الثمينة والأحجار الكريمة فقد نهبها الفرس عندما احرق قممير المعابد المصرية، ويقال ان الفرس نقلوا حينئذ هذه الثروات إلى آسيا وجلبوا الصناع من مصر ليبنوا لهم قصورهم الشهيرة في برسبوليس وسوسا وميديا".¹⁹⁵

ويقول "بلوتارخ" كان الكلب قديما في مصر يحظى بأعظم

192 - Posener, G., La Permier Domination Perseen en Egypte, Le Caire, 1936, P. 33 NPT.

193 - Hééodotus, III : 16 ; 27-29 ; 37.

194 - وهيب كامل: استرابون في مصر ، 27.

195- وهيب كامل: ديودور الصقلي في مصر، 46

تمجيد، لكن قممير ذبح العجل أبيس ورماه فلم يبد منه أي حيوان ولم يأكل منه سوى الكلب، وبذلك فقد هذا الحيوان منزلته العالية.¹⁹⁶

كما يشير نص ديموطى إلى ان قممير قد خفض دخل العديد من المعابد إلى النصف حتى عهد البطالمة.¹⁹⁷

كما ان اليهود تفاخروا بعد ذلك في إحدى وثانقهم، بان معبدهم لم يمس بينما أجحفت كل معابد الإلهة المصرية بعد غزو قممير لمصر.¹⁹⁸ من الواضح هنا ان كل الاتهامات السابقة كانت انعكاسات لما سجله الكتاب الكلاسيك بصفة عامة و"هيردوت" بصفة خاصة، وقد اعتمدت كلها على روايات الكهنة وأفراد الشعب المصري أي انهما لم تعتمد على مصادر تاريخية موثوقة لذلك دخلت فيها الخرافات والأساطير، وعلينا هنا ان ندع الآثار نتحدث ربما تأتي لنا بعض الأسانيد التي تنفي هذه الاتهامات أو على الأقل بعضها.

فقد عشر في حفائر السرابيوم بمنف على العديد من اللوحات الأثرية التي ترجع إلى العهد الفارسي في مصر، منها لوحة مؤرخة باليوم العاشر من الشهر الثالث من فصل الصيف من السنة السادسة من عهد قممير (أي السنة الثانية له في مصر) وقد نقشت هذه اللوحة تخليدا لذكرى العجل أبيس الذي دفن في تلك السنة، وقد سجل على هذه اللوحة نسقان من النقوش، الأعلى منها بصور الإله أبيس وعلى رأسه قرص الشمس والحية المقدسة ويعلوه دعاء جنازي يقول

196- بلوتارخوس: ايزيس وأوزوريس: ترجمة حسن صبحي البكري، القاهرة

1958، فقرة 44.

197 - Olmstead , Hist. of The Pers. Emp., P. 91

198 - Cowley, A.E., Aramaic Papyri of the Firth Century B.C., Oxford, 1923, Pap. No. 30.

ويرى "بوزنير" ان هذا التابوت لابد ان يكون خاصا بالعمل الذي ذكر على اللوحة الجنازية السابقة حيث انه العجل الوحي الذي فن في عهد قمبيز.²⁰²

ومعنى ذلك كما هو واضح من المصدرين السابقين، ان احد عجول أبيس قد احتفل بدفنه في العام الثالث من حكم قمبيز في مصر، كما أم هذا الملك أهدي تابوتا للعجل أبيس وسجل إهداءه هذا غطاء التابوت، وهذا في الواقع يتنافى مع ما ذكره الكتاب الأقدمون من ان قمبيز قتل ثورا مقدسا عن عمد، وعلى ذلك يكون من الصعب التوفيق بين ما ذكره هيردوت وغيره من الكتاب الكلاسيك في هذا الصدد من جهة وبين ما ورد على اللوحات الجنازية التي وجدت لعجول أبيس في تلك الفترة من جهة أخرى.

وهناك أيضا ما يشير إلى اعتدال "قمبيز"، أو على الأقل ينفي عنه الهمجية التي الصقها به مؤرخو الإغريق، حيث انه "في السنة السادسة من حكم "قمبيز" خرج "اتياوهي" الفارسي حاكم فقط على رأس بعثة من عمال المناجم إلى صحراء وادي الحمامات لاستخراج الأحجار اللازمة لترميم المعابد، ما يشير إلى اهتمام "قمبيز" بإصلاح ما تلف من المعابد المصرية.²⁰³

كما تشير المصادر المصرية إلى ان قمبيز قد اتخذ لنفسه ألقاب الفراعنة التقليدية المتوارثة غير انه لم يعثر من الألقاب الخمسة سوى على ثلاثة فقط حتى الآن وهي: اللقب الحوري سماناوى (موحد

202 – Posener, Op. Cit., P. 35.

203– Couyat, J., & Montel, P., "Les Inscriptions Hieroglyphiques et Hieratiques du ouadi Hammamat » M.I.F.A.O 34, 1912, PP. 164 f

(أبيس اتوم ذو القرنين على رأسه لفته يوهب كل الحياة"، وفي نفس النسق العلوي صور قمبيز راكعا تعلقه بعض القابة "حورسماتوى" ملك الوجه القبلي والوجه البحري مسوتى رع الإله الطيب سيد الارضين.¹⁹⁹

ويشير الخط العام لمعنى نص هذه اللوحة²⁰⁰ إلى اهتمام الملك الفارسي "قمبيز" باله المصريين أبيس إلى حد انه أمر بان تقام نحوه كل الشعائر والطقوس المعتادة قبل دفنه شأنه في ذلك شأن أي ملك مصري، ورغم انه لا يوجد ما يؤكد ان قمبيز قد أمر بإقامة هذا الاحتفال بالفعل أو اشترك فيه بنفسه، فان احتمال قيامه بذلك وارد أيضا حتى ولو كان دافعه سياسيا كي يمتص عداوة المصريين.

كما وجد في حفائر سرايوم منف أيضا تابوت من الجرانيت للإله أبيس وعلى غطاء التابوت عمود من النقش يقول "حور: سماتوى، نسوبيتي (مسوتى رع)، سارع: (قمبيز) عاش للأبد قد عمل بمثابة أثره لأبيه أوزير أبيس تابوتا عظيما من الجرانيت مصنوعا بواسطة ملك الوجه القبلي والوجه البحري (مسوتى رع) ابن رع (قمبيز) معطى كل الحياة وكل الدوام وكل الأزهار وكل الصحة وكل السعادة متجليا بصفة ملك الوجه القبلي والوجه البحري إلى الأبد".²⁰¹

199- توجد هذه اللوحة حاليا بمتحف اللوفر برقم 354 ويبلغ ارتفاعها 66

سم بعرض 44 سم سمك 9 سم وهي من الحجر الجيري.

Posener, Opy Cit, PP. 30-31.

Ibid, P. 33

200- قام بوزنير بترجمة هذه اللوحة.

201 – Parker R.A., "Persian and Egyptian Chronology", A.J.SL., 58, 1941, PP. 286 f;

Posener, Op. Cit. P. 36.

”دارا“ الأول (محافظة الآن في متحف برلين) ان الملك قمييز كان له كاهن روح مما يشير إلى انه كان يعبد آنذاك، وربما كان في ذلك ما يرجح فكرة رضاء الشعب المصري عنه.²⁰⁶

وعلى الرغم مما ذكر سلفا، فانه من الصعب ان تؤكد مساحة قمييز وتبرئ ساحتها تماما من مظاهر القسوة والعنف اللذين ارتبطا باسمه في اغلب الكتابات، ولكن يمكن فقط ان نبتعد به عن المغالاة في القسوة وسفك الدماء أما ما بر منه من بطش في بداية عهده، فهو شيء يضطر إليه أي غاز في كل زمان ومكان حتى يثبت أقدامه ويضمن خضوع الشعب المهزوم ويأمن مقاومته، وما حدث من تدمير لبعض المنشآت الدينية المصرية في بداية الغزو لم يكن بالضرورة بأوامر خاصة من قمييز بدليل ما سجله نص ”وجاحررستنت“ من أوامر الملك بطرد المعتدين من رجال وإعادة ترميم تلك المنشآت، كما انه كان مضطرا إلى ان يتخذ موقفا وتشددا من امتيازات بعض المعابد خاصة تلك التي كانت تدبر الثورة ضده.

وأخيرا يمكن القول ان النصوص التي أهتمته بالقسوة بل بالجنون، قد اكتفت بجوهر الدعاية الوطنية التي شاءت بتعصيد من الإغريق في أعقاب انتصارهم على الفرس فاخذوا يؤججون بعناية فائقة نار كل ما يسيء إلى ذكرى خصومهم القدامى، ولا ينبغي ان ننسى هوية هؤلاء المؤرخين المناوئة للهوية الفارسية على طول الخط، فمن غير المستبعد ان يكون لذلك تأثير التحيز في كتاباتهم.

أما الملك ”دارا“ فقد كان تعامله مع مصر والمصريين يقوم على الفصاحة والفظنة واللين، كما انه كان رجلا من الطراز الأول،

206- سليم حسن: مصر القديمة، ج 12، ص 80-81.

الأرضين) و اللقب النسويقي: مسوي رع (وليد رع)، والاسم السارع: قمييز، والى وجاحررستنت يعود تدبير هذه الألقاب ذات المعاني السياسية والدينية، وربما كانت تمثل بالنسبة لوجاحر سنت المخل إلى التأثير على قمييز حتى أفنعه بان يعيد إلى معابد مدينة دخلها المقدس وإعادة إقامة طقوسها الدينية، وكذا تقديم القرابين للإله أوزير، وبلغ الموقف غايته عندما ذهب قمييز بنفسه إلى تلك المدينة الملكية التي كانت مقر ملك أسلافه من المصريين ليسجد أمام الإلهة ”نت“ ويقوم بنفسه بتقديم قربان عظيم إليها وذلك يتنافى تماما مع ما ذكره ”هيردوت“ أنفا ان قمييز عندما قدم إلى سايس قتم بهتك حرمة ضريح امازييس.²⁰⁴

يؤكد ”هيردوت“ بطريقة غير مباشرة احترام قمييز للديانة المصرية وذلك عندما يذكر انه اعتقد في نبوة وحى بوتو وآمن بها عندما حرضته الوفاة.²⁰⁵

يذكر سليم حسن نقلا عن ”جريفث وماير“ انه في عهد الملك ”دارا“ الأول كانت قد نشأت في مصر عبادة قمييز مؤسس الأسرة 27، فقد جاء في مخطوط يرجع عهدها إلى السنة 25 من عهد 204- من المصادر المصرية القديمة التي تنبئ بتقبل قمييز لديانة المصريين ومحاولته لان يينخرط في سلك فراعنتهم والتلقب بألقابهم، بل انه لم يستنكف كما ظهر بالكلمة والصورة، من ان ينحني أمام إلهة المصريين ويتقدم إليها بالقرابين شأنه في ذلك شأن أي ملك مصري، هذا المصدر هو تمثال وجا حرر سنت الموجود في الفاتيكان، وقام بوزنير بترجمة نصوصه إلا ان احدث ترجمة لهذه النصوص قامت بها مريام ليشتهام انظر : - Posoner, La premier Do- minition, PP. 1 f.

Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature, Vol. 3 ; the Lat Period California, 1980, PP. 36-40.

205 - Herodotus III : 64.

هناك لوحتان لأحد القادة المصريين يدعى "أحمس بن بايون حور" (محفوظتان بمتحف اللوفر) من عهد الملك "دارا" الأول، يشير نص الأول إلى مركز صاحبه كقائد للجند وإلى انه المشرف على تجهيز المراسم الواجبة لدفن العجل أبيس في السنة الرابعة من عهد "دارا" كما يشير النص إلى اجتهاد صاحبه في العمل على نشر قدسية إلهة بلاده وبث الخوف منهم في نفوس الأجانب، فيذكر "أحمس" بأنه أمر بمجيء حكام المن والمقطعات الشمالية والجنوبية من الفرس وغيرهم إلى منف لتقييم الهدايا إلى أبيس المتوفى.²¹⁰ وفي ذلك دلالة واضحة على مكانة "أحمس"، حيث انه لقب في اللوحة الثانية بأنه القائد الأعظم للجند مما يشير إلى ترقيته في السلك العسكري تحت رعاية الملك الفارسي، ونص هاتين اللوحتين يشير على الأقل إلى مدى الرعاية والاهتمام والاحترام الذي كان يبديه الفرس نحو العقيدة المصرية على خلاف ما أشيع من قسوتهم في حرق وتدمير أماكن العبادة في مصر.

هناك أكثر من ليل يشير إلى ان "دارا" الأول قد اتبع في حكمه لمصر مبدأ توكيد شرعيته كفرعون، من ذلك إقامته معبد هيبس الضخم الذي مازال في حالة جيدة حتى ومازالت ألقابه الملكية منقوشة ضمن نص على الجدار الخارجي الغربي لهذا المعبد، وقد فقدت بداية النص وضاع معها لقبه الحوري.²¹¹

وقد استغلت محاجر وادي الحمامات للحصول على الحجارة اللازمة لبناء المعبد وتشير نقوش حاكم فقط الفارسي المدعو "اتياواهي" وأخيه "ايراوارتا" على صخور الوادي إلى تمصر الكثير

210 – Posener, Op. Cit., PP. 41 f

211 – Ibid., P. 17, Note 7

فعمل مجدية على ان يكون واضحا وعمليا في فرعونيته لمص، والمرجح انه نجح في ذلك، فعندما وصل إلى مصر كان المصريون يقومون بالطقوس الجنازية للعجل أبيس الذي ولد في عهد "قمبيز"، وهنا أمر "دارا" بمنحه قدرها مائة تالنت من الذهب للكلاف المخصص لخدمة أبيس الجديد مما أدهش القوم لهذا الكرم والاهتمام بمقدساتهم حتى أنهم أعجبوا ب"دارا" وكفوا عن ثورتهم ضده وارتضوا حكمه، وقد شارك "دارا" في احتفالات دفن أبيس، ومازالت اللوحة الجنازية لهذا العجل أبيس في تلك المناسبة باقية، وهي تتشابه كثيرا مع نظيرتها السابقة من عهد قمبيز، حتى اللقب الحوري ترك خاليا هنا أيضا.²⁰⁷ وقد أمر "دارا" باستكمال خطة "امازيس" لإعادة جمع القوانين وتنظيمها،²⁰⁸ وكانت تلك المبادرة بمثابة المخدر الذي سكن من روع المصريين وامتص ثورتهم لفترة طويلة، وربما كان ذلك تعبيرا منه لوجهة نظره من ان خير وسيلة لحكم رعاياه في مصر هي الأخذ في حكمهم بتشريعاتهم، مما يشير إلى سماحته أيضا ما يذكره الكتاب القدامى من انه عندما أمر بإقامة تمثال له أمام تمثال الفرعون "سنوسرت" في منف، اعترض الكاهن الأعظم أمام مجمع الكهنة مشيرا إلى ان "دارا" لم يقيم بما يفوق أعمال سنوسرت، ولم يغضب الملك لذلك، بل سر من تلك الصراحة ووعد بأنه سوف يعمل على ان يكون ندا لسنوسرت إذا قدر له ان يعيش قدر ما عاش، وطلب إلى الكاهن ان يزن أعمال كل منها في نفس العمر مشيرا إلى ان ذاك يمثل أعظم مقارنة بين عظمتها.²⁰⁹

207 – Posener, Op. Cit., PP. 36 f

208 – Olmstead, At.; "Darius as Lawyer" A.J.S.L. L 1, 193; PP. 274 f.

209 – هيردوت 2 : 11 ، 110 ، ديودور 1 : 58

وقد ظلت السياسة الحكيمة التي اتبعها "دارا" في حكمه لمصر خير واق من تدمير المصريين حتى أواخر أيامه عندما اصطدم بالإغريق في حروب متصلة شجعت المصريين على ثورة شعبية جارفة هبت في مصر حوالي 468 ق.م، أما "أكزر كسيس" فلم يكن في مثل فصاحة أبيه وحكمته في معالجة أمور ولته، فلم يجفل بمشاعر المصريين بعد قمع ثورتهم، فوضع مصر تحت إدارة أخيه "أخمينس" وعنه شطريا عليها وأطلق يده فيها، وكانت سياسته تتسم بالعرف والقسوة، فصادر أملاك العديد من المعابد، وأصبحت معاملة الاهلين من قبل الفرس أكثر فظاظة ويذكر "هيردوت" ان مصر قد عادت -من قسوة شطربها "أخمينس"- أكثر خضوعا للفرس مما كانت عليه أيام أبيه دار.²¹⁵ وبعد ان كان ملوك الفرس يسترضون شعوب الحضارة القديمة الذين يحتلون أرضهم وذلك بالسماح لهم بالتخاذ حكمهم القدامى من الأسرات الملكية الوطنية بع تعهد هؤلاء بالولاء والخضوع للعاهل الفارسي، فان "أكزر كسيس" كسر هذا التقليد تماما فأصبح يعين الفرس والأجانب حكاما وشطاربة على أقطار المملكة فكان ذلك سمة بارزة من سمات عهده التي طبقت في مصر، وحتى النقش الذي سجل على تابوت أبيس في أواخر عهد الملك "دارا" وكان به فراغ متروك ليسجل فيه اسم خليفته، تناسى الكهنة المكلفون بدفن أبيس ان يسجلوا اسم أكزر كسيس في هذا الفراغ²¹⁶ انتقاما منه لرفضه الاشتراك أو حتى السماح بإقامة تلك الطقوس المقدسة المعتادة في تلك المناسبة.

ومن نصوص عهد أكزر كسيس يتضح انه اتخذ الألقاب الفرعونية على غرار سلفية "دارا" و"قمبيز"، بالرغم من انه لم يستمر
215 - Herodotus, VIII: 7.
216 - Olmstead, Hist of the Pers, Emp., P. 236.

من الأجانب واتخاذهم من إلهة مصر أربابا لهم، كما غيروا أسماءهم الفارسية إلى أخرى مصرية مثل "ايروارتا" الذي استبدل به الاسم المصري "جدحر"، كما ظهر في نقوشه وهو يتضرع لكل من الإله مين والإلهة ايزيس والإله آمون رع.²¹²

وقد اهتم "دارا" الأول بنواحي الإصلاح في كل مرافق مصر خاصة فيما يختص بالزراعة والتجارة مما كان له أثره الكبير في تنمية موارد البلاد، وشهدت مصر في عه استنزاع بعض الخاصيل لأول مرة في أراضيها مثل السمسم، كما أمر ولاته باستخدام الكتابة المسماية مع الكتابة المصرية في تدوين أوامرهم.²¹³ كما كان لشبكة الطرق التي أمر "دارا" بإقامتها للربط بين عاصمة الإمبراطورية "سوسا" وبين شتى أنحاء الشطربيات حتى النائية منها أثرها الواضح في تواجد السلطة المركزية في كل مكان وفي كل وقت سواء بالرسائل والانتقال السريع، وكان لنظام الحكم في الشطربيات الذي وضع أساسه "دارا" ما وفر له السيطرة على ناصية الأمور فق تفادى تجمع سلطة حكم الشطربية في ي رجل واحد فعين لكل منها شطريا وقاندا ووزيرا، كل مستقل عن الآخر وعليه ان يتقدم بتقاريره مباشرة إلى الإدارة المركزية فضلا عن قيام المفتشين من أعلى الدرجات بمفاجأة الشطربية بصحة قوات مسلحة بالفتيش وعقاب أي خارج على القانون فضلا عن موظفي الملك الخصوصيين الذين كانوا يمثلون عيون الملك وأذانه فهم دائمو التجوال في أرجاء المملكة يتجسسون على الحكام ثم ينقلون إلى الملك ما قد يخفى عنه.²¹⁴

212 - Posner, Op. Cit., PP. 117 f

213- جاردنر: مصر الفرعونية، ص 398

214 - Olmstead, Hist, of the Pers Emp.; PP. 141.

في مصر طويلا إلا ريثما اهد ثورة المصريين وأطلق يد أخيه في شؤون مصر.²¹⁷

ثانيا - ليبيا:

(أ) الأحوال الداخلية:

1 - الاجتماعية والاقتصادية:

ذكر هيردوت ان من إصلاحات "ديموناكس"²¹⁸ تقسيم أهالي قوريني إلى قبائل ثلاث والتي يفترض انها حلت محل القبائل الدورية الثلاث القيمة، تضم القبيلة الأولى المهاجرين من ثيرا والبرواويكي، وتضم الثانية المهاجرين من البلوبونيز وجزيرة كري، وتضم الثالثة المهاجرين من الجزر الأخرى.²¹⁹

يتضح من هذا التقسيم عدم ذكر القبائل الليبية، بمعنى أنهم لم يكن لهم حق المواطنة في قوريني، وكما أسلفنا، فان تغلغل الاستيطان الاستعماري الإغريقي في داخل ليبيا كان يثير على الدوام ردود أفعال عدائية لدى الليبيين الذين كانوا في سوادهم الأعظم من الأقوام الرحل ورعاة ماشية والأغنام، ولم تستسلم القبائل الليبية القديمة التي فع بها المستعمرون بعيدا ذحو الداخل لهذا المصير، ولم تقبل بانتزاع الإغريق الأفضل أراضيها، فقاومت بكل ما كان باستطاعتها إلى ان انتهى الأمر يارغام هؤلاء الوافدين على التزام العيش اخل حزام محدود على الشريط الساحلي، فهل يمكن ان نفترض إمكانية تفكير الإغريق في ان يدعوا جانبا من الليبيين الذين كانوا قد هزمهم

217 - Lichtherim, Op. Cit., P. 42.

218 - ديموناكس مشروع إغريقي جاء من مدينة مانيني الإغريقية.

219 - هيردوت 3: 161

في معركة ليوكس، في صفوفهم؟ والحقيقة انه لم بحث قط ان منح الإغريق حقوق المواطنة إلى فئة كاملة من الليبيين، وان كان المولون (أبناء الإغريق من سن زواج بليبيات) وحدهم قد سمح لهم بذلك، حيث تشير الوثائق النقشية (التي لا تكاد تخلو من قوائم الأسماء التي كانت متداولة في المدينة) إلى عدم وجود أسماء ذات أصل لبيبي إلا بعض استثناءات نادرة مثل اسم "الازير" و"باكال"، وحتى هذه يمكن تفسيرها بان أصحابها لبييون منحوا حقوق المواطنة بصفة شخصية، أو انها مجرد ألقاب مستعارة، معنى ذلك ان الليبيين لم يسمح لهم بممارسة حقوق المواطنة الكاملة في قوريني حيث ان المولدين وذرياتهم لا تمثل العنصر الليبي الخالص.²²⁰

وبناء على تقسيمات "ديموناكس" لم يكن العنصر الليبي ممثلا ضمن أي طبقة من الطبقات الثلاث وبالتالي لم يكن من السهل تحديد علاقات الليبيين بالوافدين الإغريق، وان كان هناك تفاوت في نوع علاقات الإغريق بالقبائل الليبية، وحوالي عام 440 ق.م نرى قورينائية وقد قسمت إلى ثلاث مدن إغريقية وإلى عد من القبائل الليبية، المدينة الأولى هي قوريني وكانت تسيطر على المناطق الساحلية من مدينة كرسة (غربي درنة) وحتى الإقليم التابع لمدينة برقة²²¹. أما تغلغل الإغريق في الداخل قلم يكن معروفا على وجه التحديد وان كان هناك حد معين قد توفقوا عنه في هذا الاتجاه، وربما تكون "مسة" الواقعة عند أقصى وادي الكوف هي ابعد مكان كان تابعا لقوريني من جهة الغرب، حيث عشر على أنار للإغريق في هذه

220 - شامو: الإغريق في برقة، ص 277-378

221 - هيردوت : 169-172

معرض حديثه عن موطن قبيلة الاوسخساي ثم عند حديثه عن حملة اريانندس والى مصر الفارسي ضد برقة، حيث يذكر هيردوت ان الحملة الفارسية تقدمت حتى يوسبيريدس.²²⁷

كانت هذه المدينة بمثابة جزيرة إغريقية وسط بحر من القبائل الليبية، فكانت قبيلة الاوسخساي تفصلها عن إقليم برقة شرقا كما كانت قبيلة النسامونيين تقطن إقليم الممتد جنوبا، وقبيلة الماكاي غربا، هذا بالإضافة إلى الظروف الطبيعية التي لم تساعد على قيام أي استيطان إغريقي ظلت هذه المدينة جاثمة حول بحيرة تريتون في القطاع الساحلي الممتد بين البحر وسلسلة المرتفعات شبه الصحراوية وبالتالي كانت هذه المدينة تعش في عزلة عن بقية المستوطنات.²²⁸ هذا بالنسبة للجنود الإغريقية، أما بالنسبة للقبائل الليبية فيمكن توزيعها حسب ما جاءت عند هيردوت على النحو التالي، قبيلة الارماخيداي كانت تعيش عن التخوم الملاصقة لمصر، أما قبيلة الجليجاماي فكانت تقطن المنطقة الممتدة من "بليوس" (سيدبراني) حتى درنة حيث يبدأ الإقليم التابع لمدينة قوريني، وتعيش قبيلة الاسبوستاي جنوب مدينة قوريني، كما سبق ان ذكرنا كانت قبيلة الاوسخساي تقطن المنطقة الممتدة بين إقليم برقة ومدينة يوسبيريدس، وعند خليج سرت كانت تعيش قبيلتنا النسامونيس والماكاي وكانوا من ألد أعداء إغريق قوريني حيث نرى هاتين القبيلتين تقومان في عام 414 ق.م بمحاصرة مدينة يوسبيريدس، ومن النقش الذي يفخر فيه خمسة من قادة قوريني العسكريين بأنهم هزموا هذه القبيلة مع جيرانها من قبيلة الماكاي، نستنتج ان هذه القبيلة لا بد وان كان لها نشاط تجاري، وان هذا الصراع مبعثه المنافسة

227- هيردوت 4: 204

228- نصحي: المرجع السابق، ص 110-123.

Goodchild, G., Benghazi the Story of the mcity, 1962, PP. 1-3

البلدة.²²² أما من جهة الشرق فقد وجد معبد اسكليبيوس بالقرب من مدينة البيضاء وهذا المعبد كان معروفا منذ القرن الرابع ق.م، حيث كان قائما بأعلى موقع يقطنه سكان إغريق في شرق قوريني، كما عثر في "نفارنس" (16 كم شرقي قوريني) على قرار تبين منه انه كان يعيش في هذه القرية إغريق يمارسون نشاطهم الزراعي، كما عثر في "الملودة" و"القبة" على آثار هلينية، أما في الداخل (الجنوب) فق تم العثور في بلدة "سلطنة" على رسومات منقورة في الصخور ذات طابع ليبي قديم.²²³ وهذا يشير إلى ان الاستيطان الإغريقي ل يمكن من التوسع والانتشار في هذه الناحية القريبة من الصحراء.

أما المدينة الثانية فهي "برقة" والتي تقع إلى الغرب من قوريني، ومن المخلفات الأثرية لهذه المدينة، بعض أمثلة العملة التي كانت ق سكتها وقد صور عليها نبات السيلفيوم،²²⁴ مما يدل على ان تجار المدينة في هذا النبات كان يحتل مكان الصدارة في اقتصادها، بيد انه إزاء خصوبة إقليم هذه المدينة لا بد كذلك من انها كانت تنتج حاصلات مختلفة لا شك في ان الحبوب كانت أهمها.²²⁵ وكما ذكر هيردوت فان "تاوخيرا" (العقوبة) كانت تقع في إقليم برقة وكانت تابعة لها.²²⁶

أما الثالث هذه المدن فهي "يوسبيريدس"، ويعتبر تاريخ هيردوت أول مصدر قيم يرد فيه ذكر هذه المدينة وكان ذلك في

222- شامو: الإغريق في برقة، ص 280.

223- Kalaffembach, G., Supplementum Epirgraphicum Gracum, IX, 1939, P. 359.

224- British Museum catalogue, Cyrenaica, P. C.L X VI.

225- إبراهيم نصحي: إنشاء قوريني وشقيقتها، ص 81.

226- هيردوت 4: 171

الاقتصادية بينها وبين العناصر الأجنبية التي استقرت على الشاطئ الليبي.²²⁹ أما في غرب ليبيا فق أسس القرطاجيون مراكز تجارية كان من أهمها لبد الكبرى واويا (طرابلس) وصبراتة.²³⁰

أما المناطق الجنوبية فكانت تسيطر عليها قبيلة الجرمانت الذين كانت لهم علاقات تجارية كبيرة مع القرطاجيين من ناحية ومع الشعوب الإفريقية من ناحية أخرى، وق استغل الجرمانت موارد المياه المحدودة التي كانت لديهم لزراعة أراضي الواحات وكانت حياتهم دوما صراعا ضد الصحراء ويقول هيردوت ان الجرمانت كانوا يكسون سطح الأرض الماخلة بطبقة من التربة ويبذرون عليها البذور.²³¹

ومازال القليل من الناس يمارسون هذه العادة بالقرب من البحيرات المتناثرة في الصحراء إذ ان تلك البحيرات التي توجد عادة بالقرب من العيون العذبة، كثيرا ما ترسب على سطحها طبقة من الملح يقوم الأهالي بتغطيتها بطبقة من التربة الغرينية ليسهل زرعها.

وقد اعتمد الليبيون على مياه الأمطار في الري، كذلك اعتم سكان ليبيا الجنوبية على مياه بعض المجاري المائية الأثمة، فضلا عن مياه العيون والآبار، وكانت مساحة الواحات والأراضي المزروعة اكبر بكثير مما هي عليه اليوم، ولق استخدم الجرمانت وسائل مختلفة لرفع المياه وري الحقول وحرث الأرض، لم تكن الوسائل تختلف

229- Klaffebach, Op. Cit., P. 77.

230 - Warmington, B.H., "the Semitic Migration to Libya and North Africa", Libya Antique, 6, 1986, P. 176.

231- هيردوت : 183

كثيرا عن الوسائل البائية التي يستعملها سكا فزان اليوم.²³²

عرف الجرمانت من الحيوانات المستأنسة الأبقار ذات القرون الطويلة والجلد السميك وهو طراز البقر الذي يعيش اليوم في السفانا الاستوائية الإفريقية، والحقيقة ان تلك الأبقار قد عاشت في فزان قبل ان يأتي الجرمانت الذين جدوا أيضا الحمير التي كانت تعتبر وسيلة النقل الرئيسية قبل ظهور الحصان بالصحراء، وكانت الخيول أهم ما اعني به الجرمانت فق كانت عدتهم للحرب وعماد تجارتهم، فكانوا يجرون عرباتهم بواحدة أو أكثر من هذه الخيول وينطلقون بها قاطعين المسافات الطويلة حاملين بضائعهم ومواد تجارتهم في رحلات كانت تستغرق شهورا بل سنين في بعض الأحيان، لقد عرف الجرمانت بطبيعة الحال الخراف والماعز ولاشك ان الرعاة كانوا يقومون برعي تلك الحيوانات مع الأبقار والخيول، وق اعتمد الجرمانت على الصيد للحصول على جزء من غذائهم، ويشير "لوشيان" إلى أنهم كانوا يقومون بصيد الغزلان والودان وهو نوع من الماعز الجبلي وتشير كثير من النقوش الصخرية إلى أنهم كانوا يقومون كذلك بصيد الزراف، وربما استعملوا لحم هذا الحيوان كغذاء، كما يستعمل سكان فزان اليوم لحم الإبل، وق دلت الحفريات ان جرمة القديمة كانت مركزا مهما من مراكز الصناعة إذ وجد بساقية جبريا شفاف عدد كبير من الفخار كما وجد عدد من الأفران، وقد وجدت نماذج من الفخار الحلي والذي كان تقليدا جيدا لفخار صور، كما أنهم قلدوا القوارير والزهريرات الإغريقية تقليدا جيدا، وقد برع الجرمانت في صناعة الحلي الذهبية فبلغوا فيها درجة كبيرة من الدقة، وصنع الجرمانت الحلي الفضية مثل الأساور وغيرها، هذا وقد بلغت

232 - محمد سليمان أيوب: مختصر تاريخ فزان، ص 68

جنوب البحر المتوسط حتى أطراف السفانا الإفريقية، ولا يعني هذا ان الاتصال قطع نهائيا بل استمرت الصلات بواسطة رجال القوافل المغامرين، وكان الحمار أقدم حيوان استعمل في الصحراء إذ تشير الوثائق المصرية إلى ان التجار الأسوانيين كانوا يستخدمون قوافل كبيرة تضم أكثر من ثلاثمائة حمار لعبور الصحراء.²³⁴ كما يشير هيردوت إلى ان الليبيين كانوا يستعملون نفس الحيوان في تنقلاتهم عبر الصحارى.²³⁵

ويشير الكاتب أثيني **Athenee** أيضا بان تاجرا قرطاجيا يدعى ماجدا كان يستأجر قوافل تحتوي على عدد كبير من الحمير لنقل تجارته من موانئ البحر المتوسط إلى أواسط إفريقيا وانه كان يستأجر هذه القوافل من الجرمانت.²³⁶

إلى جوار الحمير كانت الأبقار تستعمل كوسائل للنقل، فقد وجدت رسوم على الصخور تبين الكثير من الأبقار وقد ربطت على ظهورها السروج إلا انه ليس هناك ما يشير في الصحراء إلا مع ظهور الجرمانت، وقد امتطى الجرمانت سهوات الجياد، كما أنهم كانوا يستعملون هذه القوافل الصحراوية ويرجع ذلك لعدة عوامل منها توافر المياه الجوفية وقربها من سطح الأرض ومعرفة الجرمانت للاماكن التي توجد فيها تلك المياه، كما كان لموقع جزمة الجغرافي في وسط واحة خضراء تتصل بمسلك من الأرض الصخرية التي تربطها بمن البحر المتوسط من جهة وبلدان وسط إفريقيا من جهة أخرى، عامل مهم لسيادة جزمة على ما جاورها من المدن، كما كان

234- برسند: تاريخ مصر من أقدم العصور، ص 138

235- هيردوت 2: 32

236 - Bovill, E.W., The Golden Treade of the moors P. 17.

صناعة عقود الزينة درجة كبيرة من الدقة سواء ما صلع منها من الزجاج أو ما صنع من الأحجار الملونة كالفيروز الأخضر والعقيق الأحمر، أما الأواني المصنوعة من قشر بيض النعام فقد بلغت حد الكمال، ومع الأسف لم يتم العثور على إناء كامل من هذا النوع، وعثر أيضا على الكثير من الخواتم البرونزية المطعمة بفصوص من الأحجار الشمينية كالفيروز وغيرها، ورغم العثور على الكثير من المصنوعات الحديدية فإننا مازلنا نجهل الأماكن التي كانت بها مناجم الحديد الجرمانتية، والحقيقة ان خام الحديد موجود في جهات متعددة من فزان فتوجد في سرديلي قرب غات، كما توجد كذلك بوادي الشاطى، إلا ان الروايات التاريخية لا تشير إلى الأماكن التي كان الجرمانت يستخرجون منها حديدهم، ولو انه لا يستبعد ان يكونوا قد استخرجوه من كلا المكانين السابقين الواقعين على طرق القوافل للشمال والجنوب.²³³

والحقيقة ان ليبيا كانت مركزا لطرق التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب في قارة إفريقيا فالإتصال بين أجزاء القارة قديم قدم التاريخ، فقد عثر مقابر عصور ما قبل التاريخ بسواحل البحر المتوسط على الكثير من المخلفات الأثرية التي كانت تصنع من المواد التي لا توجد إلا في المناطق الاستوائية، كما ان الوثائق المصرية التي ترجع لعصر الأسرات المبكر تشير إلى قيام نشاط تجاري واتصالات ورحلات بين مصر وبلدان إفريقيا الاستوائية، ويبدو ان تلك الاتصالات كانت سهلة وميسرة خلال العصور المطيرة أو حتى بعدها بقليل، إلا انه بداية عصر الجفاف ففرت الاتصالات نتيجة لوجود الخزام الصحراوي الذي اخذ يمد رقعته من المنطقة الواقعة

233- محمد سليمان أيوب: المرجع السابق، ص 69

وكانوا يحملون الو مواني البحر المتوسط الحاصلات الإفريقية وأهمها الحيوانات المفترسة التي كان الكثير منها يصدر إلى حلبيات المصارعة بروما، ويشير Bovil ان عددا من هذه الحيوانات المفترسة كانت تعيش أيضا في بلاد الجرامنت.²³⁸

كان لحاصلات المناطق الحارة سوق رائجة في قرطاجة القديمة وفي لبدة وصيراته وكان أهم المنتجات الإفريقية في تلك الأسواق سن الفيل (العاج) والجلود والأبنوس والأخشاب ذات الرائحة الزكية والبحور، أما تجارة الرقيق فقد اثبتت البحوث الأثرية ان عدد الرقيق الذي وصل إلى مواني البحر المتوسط كان محدودا مما يدل على ان تلك التجارة لم تمارس إلا على نطاق ضيق خلال عصور مملكة جرمة، أما المعان فكان أهمها لدى الجرامنت الذهب، ومن المحتمل أنهم كانوا يحصلون عليه من مناجمه في بلاد النوبة أو نيجيريا، ثم الفضة التي كانت أهم مناجمها في شمال تمبكتو قرب المنطقة الصخرية التي سجل عليها الجرامنت صور عرباتهم الحربية، ولعل أهم المعادن التي اشتهر بها الجرامنت هو الكاربونكل أو الحجر القرطاجني فق أشار كثير من المؤرخين إلى ان الجرامنت كانوا يبيعون للقرطاجيين الذين احتكروا بيعه بدورهم لعالم البحر المتوسط، ولذا فقد سمي باسمهم، وكان هذا الحجر يعتبر من الأحجار الكريمة أو الثمينة في العالم القيم بل كان ينظر إليه على انه حجر مقدس، وقد عثر على نصوص وقطع كثيرة من هذا المعدن في المقابر الفرعونية، وكان الفراغنة يسمونه حجر واوات²³⁹ أو حجر قمح، وقد لت البحوث الأثرية الحديثة ان محاجر هذا المعن كانت توجد في منطقة ابغي زوما²⁴⁰ وهي عبارة عن تلال

238 - Vovil, Op Cit., P. 17 f

239 - B.A.R., IV, 373-389.

240 - Arkell, Wangnga, P. 18.

لوجود حكومة قوية بجرمة أثره في احترام القبائل الصحراوية للقوافل الجرامنية المارة بأراضيهم وقد بذل الجرامنت جهودهم لإبقاء الطرق مفتوحة للتجارة بين شواطئ البحر المتوسط وأواسط إفريقيا طوال عهود التاريخ التي ظلت فيها جرمة سيدة الصحراء، كما ان جلد الجرامنت وصبرهم كان من العوامل الفعالة لنجاح رحلاتهم الطويلة عبر الصحاري، وتعتبر مواني خليج سرت هي اقرب المواني لمنطقة السفانا السودانية بإفريقيا، كما ان الطرق المارة بفزان تعتبر أسهل المسالك لوسط إفريقيا لقرب الواحات بعضها من البعض الآخر، كل هذه العوامل ساعدت على ان تصبح فزان أفضل معبر بين شمال القارة وجنوبها، هذا بالإضافة إلى ان طريق فزان خال من البحيرات والمجاري المائية التي يكثر فيها العوض والحشرات الناقلة للأمراض المعية كما انه خال -أيضا- من الأعشاب التي تعيق سير القوافل والتي يمكن ان تكون مكامن خطر للصوص والحيوانات المفترسة، ولذلك فقد كان للطرق المارة بفزان ميزة على الطرق الأخرى سواء المارة منها بوادي النيل أو تلك الواقعة بين مواني المغرب وإفريقيا.²³⁷

علاوة على الطرق المعروفة بين مواني سواحل سرت الكبرى وبلدان وسط إفريقيا فقد كان هناك طريق بري اخلي وصفه هيردوت بأنه يوجد على مسافات مناسبة منه آبار وعيون تساعد على دوام سفر القوافل بين ضفاف النيل واخيط الأطلسي.

كان الجرامنت يحملون إلى إفريقيا مصنوعات بلدان البحر المتوسط وأهمها الأواني الفخارية والزجاجية والمنسوجات وربما كان الجرامنت هم أول من علم الشعوب السوداء بإفريقيا صناعة الحديد، كما أنهم كانوا يحملون إليهم الملح لندرته في منطقة السفانا الإفريقية،

237- محمد سليمان أيوب: المرجع السابق، ص 70-71

أمه فريتييمي إلى قبرص، كون ارسكلاوس جيشا في ساموس وزار معبد دلفي حيث تلقى نبوءة من وحيه، انتصر اركسيلاوس على خصومه وعاملهم بقسوة شديدة على عكس نصيحة النبوءة وعندما أدرك فحوى النبوءة وما قدرته له من مصير مشنوم لجأ إلى حمية الازير ملك برقة حيث قتل الاثنان معا، طوال بقاء اركسيلاوس في برقة كانت أمه فريتييمي تقوم بأعباء الملك وبعد مقتل اركسيلاوس فرت فريتييمي إلى مصر لتستنجد بواليتها الفارسي اريانندس معتمدة على صنيع اركسيلاوس لقمييز، حيث ان اركسيلاوس كان قد قدم فروض الولاء والطاعة لهذا الملك الفارسي وفرض على نفسه الجزية، وكان قمييز ق أقام اريانندس واليا على مصر ولكن دارا الأول اعدم هذا الوالي بوصفه ثائرا، أرسل اريانندس حملة برية وبحرية كان غرضها في الظاهر الانتقام لمقتل اركسيلاوس لكنه في الحقيقة كان يبغى إخضاع الليبيين، بعد حصار دام تسعة أشهر استولت الحملة على برقة ثم تقدمت حتى "يوسيريديس" (بنغازي) وعادت أدراجها فمرت في قوريني ثم حاولت العودة إليها ولكن دون جدوى فانسجت حتى وصلها أمر اريانندس بالعودة إلى مصر.

هذا ما ذكره هيردوت وهي وان كانت صحيحة في اغلبها، إلا ان هذا المؤرخ عونا على ان يثير خلافات حادة بسبب الطريقة التي يعالج بها ما يتناوله من إحداث فالرأي السائد حول الأحداث الرئيسية في عهد اركسيلاوس الثالث وتبعها وتوارى عنها التقريبية هي: انه فيما بين 530 و 525 ق.م فشل اركسيلاوس في صراعه مع ارسقراطية قوريني فذهب إلى ساموس حيث كون جيشا استعاد بع عرشه، وعندما فتح قمييز نصر في عام 525 ق.م بادر اركسيلاوس إلى تقديم فروض الولاء له، وبعد دعم اركسيلاوس مركزه في قوريني

متوسطة الارتفاع تمت شمالا من سلسلة جبال تبستي، وهي تقع للغرب من تزربو وللشرق من الواوات، وكان الجرامنت يقومون كذلك بممارسة التجارة التقليدية في الأبقار التي كانوا يربون قطعانا كبيرة منها وكذلك كانوا يقومون ببيع الخيول التي اشتهروا بها في أسواق برقة وطرابلس، ولقد جاءت هذه التجارة بالخير الكثير على الجرامنت حتى وصلوا وهم سكان الصحراء إلى درجة عالية من الرقي والحضارة والرفاهية.²⁴¹

2 - الحالة السياسية:

اختلفت الآراء حول الأحداث الرئيسية في عهد "اركسيلاوس" الثالث، سادس ملوك قوريني من أسرة باتوس، ومصدرنا الرئيسي عن هذا الملك هو "هيردوت" فيزودنا بوصف واضح وان كان مجملا لأحداث عهده، ويمكن تلخيص ما يتصل بموضوعنا من نصوص "هيردوت" فيما يلي:

بعد وصف سيكيثيا وحملة "دارا" الأول ضدها وتعيين "مجازوس" قائدا للقوات الفارسية في أوروبا، يشير هيردوت إلى نشاط مجازوس في الدردنيل قبل ان يبدأ قصة ليبيا بقوله: وهذا ما كان من أمر مجازوس. وحوالي هذا الوقت أرسلت حملة كبرى أخرى ضد ليبيا، في عهد باتوس الثالث عالج المشرع ديموناكس مشاكل قوريني بوضع دستور اخل تعديلات مهمة على نظم الحكم في قوريني، ظل هذا الدستور قائما في عهد باتوس الثالث، ولكن ابنه اركسيلاوس الثالث قرر إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه في عهد آبائه فشب نضاله عنيف انتهى برحيل اركسيلاوس إلى جزيرة ساموس والتجاء

241- محمد سليمان أيوب: المرجع السابق، ص 74.

حكومة استبدادية.²⁴⁴

والحقيقة ان الصراع بين اركسيلاوس وخصومة كان عنيفا دون ان يكون طويل الأمد ويؤيد ذلك ما تؤكده المصادر القيمة من نقوش وكتاب قدماء مثل "اجرتفون" و"اينباس" من ان ابرز وحدات جيوش قوريني في العصور الكلاسيكية كانت الفرسان والعربات ذات الأربعة جياد، ولا جدال في ان المورد الرئيسي لهذه الوحدات كانت الارستقراطية وهي خصم اركسيلاوس، ولا جدال أيضا في انه متى بدأ الصراع لم يكن في وسع أنصار اركسيلاوس ومعظم من عامة المدينة الصمود طويلا أمام الضربات القاصمة التي كانت تنزلها بهم هذه الوحدات، لذا فان الملك لم يجد في أنصاره سندا فعالا وبالتالي فان محاولته منيت بالفشل، ففر إلى جزيرة ساموس وهربت أمه إلى سلاميس بقبرص.²⁴⁵

وإذا صح ان اركسيلاوس قد والى الفرس قبل بداية الصراع وان هذا الصراع قد دام ثمانية أعوام كما ذهب إلى ذلك "ميتشل"، فلا بد إذن من ان يكون الفرس قد قدموا يد المساعدة لاركسيلاوس في أثناء الصراع، وإذا لم تكن هذه المساعدة كافية لانتصاره وانتهى الأمر بفراره، فلا بد ان يستتبع هذا أمران الأول التجاء اركسيلاوس إلى الفرس بدلا من ساموس لإعانتته على استرداد عرشه، والثاني إقبال الفرس عندئذ بكل ماليهم من قوة لمساعدة حليفهم على الأقل حفاظا

244- شامو: الإغريق في برقة، ص 191-192.

245 - Nosgy, I., « Arcesilaus III « Libya in History, 1968. PP. 75-76.

Rowe, A., "A History of Ancient cyrenaica, New Light on Egypto-Cyrenean Relations Two Ptoiemaic sitaues found in Tolmeita" A.S.A.E., 12, Cahier No. 12, 198, P. 26.

وفي ريفها، اخضع "برقة" حيث قتل هو والازير، وان حملة ارياندس وهي التي يعتبرها هيردوت معاصرة تقريبا لحملة "دارا" ضد سكيثيا سبقت زيارة هذا الأخير لمصر.²⁴²

استمر هذا الرأي مقبولا إلى ان اعترضت عليه مؤخرا "ميتشل" برأي مؤداه، ان اركسيلاوس الثالث قد ارتقى العرش قبيل عام 525 ق.م وهو العام الذي والى فيه الفرس، وكان من شان هذه المولاه ان ازداد الصراع حدة بين اركسيلاوس وخصومه وأم من 525 ق.م حتى حوالي 518/517 ق.م عندما فر اركسيلاوس إلى ساموس حيث كون لنفسه جيشا، وفي عام 517 ق.م عاد اركسيلاوس لكنه لم يستطع الاحتفاظ بمركزه في قوريني فاسند مهام الملك إلى أمه "فريتيمي" وراح ينشد السلامة في برقة حيث لقي بصرعه.²⁴³

إذن هناك ثلاث نقاط متصلة اتصالا وثيقا وهي أولا: الصراع بين اركسيلاوس وخصومه، ثانيا: فرار اركسيلاوس إلى ساموس: ثالثا: تقدم اركسيلاوس فروض الولاء والطاعة للفرس.

من نصوص هيردوت السابقة الذكر يتضح ان ارستقراطية قوريني هي التي فازت بنصيب الأسد من إصلاحات المشروع ديموناكس، ومن ثم كانت العقبة الكبرى دون استعادة اركسيلاوس حقوق آبائه وعندما أراد ان يسترجع تلك السلطات لم يكن أمامه سوى الاعتماد على فقراء المدينة المعادين بطبيعة وضعهم لأثريائها، من هنا وصفت محاولة اركسيلاوس لإيقاد الثورة وكأنها محاولة لإقامة

242- شامو: الإغريق في برقة، ص 197-198.

243- Mitchell, B.M., « Cyrene and Persia » J.H.S., 86. 1966. P. 103.

عام 530 - 525 ق.م.²⁴⁹ وان كان هناك من يقترح عام 527 ق.م. لما لهذا التاريخ من مزايا، منها ان تاريخ الملوك الباطين السابقين لن يتأثر، ومنها أيضا ان الصراع يكون قصير الأمد، ثالثا انه بذلك يعتبر مدة حكم اركسيلاوس قصيرة وهو ما توحى به نصوص هيردوت.²⁵⁰

اخذ اركسيلاوس موافقة حكومة ساموس الخلية إلى استعمال كل الأساليب الإقناع فقراء الجزيرة بالانخراط كمرتزقة في ذلك الجيش الذي اخذ يشكله هناك توطئة لاسترداد سلطته في قوريني، واعداء هؤلاء بنجلهم أراضي زراعية يتقاسمونها فيما بينهم²⁵¹ وهو هنا لم يعدهم بتوزيع أراضي الليبيين عليهم، إنما وعدهم بتملكهم ضيعات ومزارع أعدائه دعاء الارستقراطية الذين طردوه من عرشه، على أية حال فانه بمساعدة أولئك المرتزقة المجندين في جزيرة ساموس تمكن اركسيلاوس من الرجوع إلى قوريني بالقوة.

عقب عودة اركسيلاوس من ساموس واستعادته لعرشه وسلطته في قوريني، اخذ يطارد أعداءه وكان معظم هؤلاء قد هربوا من قوريني قبل مجيئه ولجأوا إلى مدينة برقة التي قام فيها نظام حكم ارستقراطي، أما من تمكن من القبض عليه منهم فانه أرسلهم إلى جزيرة قبرص كي يعدموا فيها، إلا ان هل مدينة "كينيدوس"²⁵² نقلوهم إلى جزيرة تيرا، وهذه الإشارة تبين لنا ان الفئمة المعادية للباطين كانت تنحدر على الخصوص من سلالة المعمرين الثيرانيين

249- شامو: الإغريق في برقة، ص 198

250 - Noshy, Op. Cit., P. 77.

251 - Rowe, Op. Cit., P. 26.

252- كينيدوس: مدينة دورية قديمة من مدن كاريا المطللة على بحر ايجة بأسيا الصغرى، وكانت مستعمرة اسبرطية.

على مركزهم في المنطقة، بيد انه لا يوج أي دليل على ان الفرس قدموا أية مساعدة لاركسيلاوس أثناء الصراع، ولم تقدم "ميتشل" حجة واحدة تفسر بها التجاء اركسيلاوس إلى ساموس بدلا من الفرس، وعلى ذلك لا يمكن قبول الرأي القائل بموالاتة اركسيلاوس للفرس قبل بداية الصراع مع الارستقراطية، وبان هذا الصراع دام ثمانية أعوام.²⁴⁶ وعليه يميل الباحث إلى ما ذهب إليه "شامو" من ان اركسيلاوس انضم إلى الفرس عندما تمكنت جيوش قمبيز في سنة 525 ف.م من دحر الجيش المصري وأثناء حصار قمبيز لمدينة "منف" بادر الليبيون (إغريق قوريني) إلى توجيه وفد قمبيز ارياحه لمواقف اركسيلاوس الذي سارع بمحض إرادته إلى الانضمام للفرس ويذكر هيردوت ان اركسيلاوس ارتضى دفع الجزية لقمبيز وجعل قوريني تابعة له، وهذا يعني انه أصبح سيد المدينة المطلق، أي بعد عودته من منفاه في جزيرة ساموس.²⁴⁷

ولكن متى ارتقى اركسيلاوس الثالث عرش قوريني؟

ترى "ميتشل" ان ارتقاء اركسيلاوس للعرش كان قبل عام 525 ق.م. بقليل²⁴⁸ إلا انها لم تأخذ في اعتبارها فراره إلى ساموس وعودته لاسترداد عرشه وكان ذلك قبل ان يغزو قمبيز مصر كما سبق ان ذكرنا، لذلك فان هذا اقتراح مقلوب وليس له من الآلة ما يؤيده.

أما "شامو" فقد اقترح ارتقاء اركسيلاوس فيما بين حوالي

246 - Noshy., Op. Cit. PP. 75-77.

247- شامو: الإغريق في برقة، ص 19-7.

248- Rowe, Op. Cit., PP. 26-27

Mitchell, Op. Cit., P. 103.

انزلها بهم اركسيلاوس.²⁵⁵ وأيضا عندما وصلت الحملة إلى برقة وحاصرتها وطالبت بتسليم قتلة اركسيلاوس، رفض البرقيون ذلك لأنهم كانوا جميعا شركاء فيما حدث.²⁵⁶

ومن العسير ان نتصور كيف كان اركسيلاوس يستطيع إنزال إساءات كثيرة بالبرقيين، أو كيف تأتي ان كل مواطني برقة كانوا شركاء في قتلة ورفضوا تسليم القتلة مع عملهم بما كان يجره ذلك عليهم من عداوة الفرس، من العسير ان نتصور هذين الأمرين إلا إذا كان اركسيلاوس لم يذهب إلى مدينة برقة لاجنا ومستجرا وإنما ذهب إليها غازيا وقام فعلا بإخضاعها وأمعن في إساءة معاملة أهلها.²⁵⁷ بالإضافة إلى ذلك يحدثنا هيردوت بأنه طوال إقامة اركسيلاوس في مدينة برقة تولت فريتييمي تصريف الأمور في قوريني وكانت ترأس مجلس الشورى هناك، ولا شك في ان فريتييمي ما كانت تتمتع بهذه المكانة لو لم يكن اركسيلاوس سيد الموقف في قوريني وعرشه وطيد الدعائم.

وعلى ذلك يتفق الدارس مع ما ذهب إليه كل من "شامو" و"نصحي" على ان الانتصارات التي أحرزها اركسيلاوس على خصومه في قوريني وفي ريفها شجعتة على ان يوجه اهتمامه بعد ذلك لإخضاع مدينة برقة، تلك المدينة التي كانت منذ انشائها معقلا للاوليغاركية، وكان استمرار استقلالها واحتفاظها بنظمها بعد انتصار اركسيلاوس على خصومه والتجاء بعضهم إلى هذه المدينة، يشكل تهديدا خطيرا على اركسيلاوس، ولا جدال في انه إذا لم تكن

255 - هيردوت 3: 167

256 - هيردوت 4: 200

257- Noshy, Op. Cit., PP. 67-68

Rowe, Op. Cit., P. 28.

الأول، وهي السلالة نفسها التي تكونت منها اركستراطية قوريني التي كانت تتحكم في راضي المدينة الزراعية وأطيافها، ويبرهن على ذلك رواية الفرن والقوارير التي تضمنتها نبوءة وحي دلفي حيث ان قصر "اجلوماخوس" لم يكن إلا قصرا رقيقا محصنا أقيم وسط ضيعة كبيرة من الضيعات التابعة للمدينة، وأثناء تعقب الملك للارستقراطيين ومطاردتهم فإنهم فروا إلى اقطاعاتهم وضيعاتهم، غير انه بعد ان استعاد اركسيلاوس سيطرته على المدينة نفسها، بادر إلى بسط سيطرته على الأرياف المحيطة بها، وبعد ان استقرت له الأمور في قوريني قام بمعاينة برقة وهذا أمر طبيعي حيث كانت هذه المدينة ملاذ أعدائه، فأخضعها عن طريق القسوة التي عامل بها سكانها.²⁵³

إلا ان "ميتشل" ترى رأيا آخر، فتذهب في تفسير نصوص هيردوت إلى القول بان اركسيلاوس لم يستطع الاحتفاظ بمركزه في قوريني فترك أمه تمارس سلطته هناك وذهب إلى برقة (المرج) ينشد السلامة والعافية.²⁵⁴

والحقيقة ان هذا التفسير لا يمكن قبوله، وبالتالي ما يذهب إليه هيردوت من ان اركسيلاوس ذهب إلى برقة خوفا من الموت الذي أنبئ به، حث ان برقة كانت مأوى خصومه الفارين من عقابه بعد عودته من ساموس، فلو فعل اركسيلاوس ذلك لكان مثل المستجير من الرمضاء بالنار، كما ان هيردوت نفسه يروى انه عندما أنفذ "اريانندس" رسولا إلى برقة مستعلما عن قتلة اركسيلاوس أجابه البرقيون، بان هذا من عمل المدينة كلها بسبب كثرة الإساءات التي

253- شامو: الإغريق في برقة، ص 19-195، 198

254- Mitchell, Op. Cit., P. 103.

التجارية، متعللا بان هداياها كانت قليلة.²⁵⁹

ولكن إذا كان هذا هو السبب الذي أذاعه "قمبيز" فلا بد ان تكون هناك أسباب أخرى، حيث انه كان ق ق ل من قيمة هدايا قوريني أيضا، فلماذا لا يكون من أهدافه غزو قوريني هي الأخرى حتى يثبت سيادته هناك لتكون فعلية بدلا من السيادة الاسمية التي حصل عليها بخضوع "اركسيلاوس" له ظاهريا وتقديم الجزية، وربما كان هناك سبب اقتصادي، حيث كانت قرطاجة تسيطر على التجارة بين المناطق الداخلية في ليبيا وبين بلاد البحر المتوسط، وربما كان في ذهن "قمبيز" سبب استراتيجي حيث انه بالاستيلاء على ليبيا وقرطاجة يكون قادرا على غزو بلاد الإغريق من الشرق والغرب عندما تحين ساعة المواجهة بينهما، والحقيقة انه ربما تكون كل هذه الأسباب مجتمعة وراء تفكير قمبيز في هذه الحملة، إلا ان حملة هذه انتهت إلى غير نتيجة، لان أعوانه من الفينيقيين أبوا ان يستعملوا أسطولهم ضد أبناء جلدتهم.²⁶⁰ وفي ذلك يذكر هيردوت ان الحملة قامت بالفعل بأمر قمبيز عن طريق البحر، ولكن بحارة الأسطول الفارسي الفينيقيين رفضوا الاشتراك في مهاجمة القرطاجيين لما تربطهم بهم من صلات دم ودين، ولان الفينيقيين هؤلاء كانوا يمثلون قسما كبيرا وفعالا في تلك الحملة، فق توقف استكمال خطة الغزو وقفلت السفن عائدة بعد امتناعهم وسلبيتهم.²⁶¹

أما المشروع الثاني فهو حملته إلى واحة سيوه، ويرى "جريمال" ان الهدف من هذه الحملة ربما يكون السعي وراء وحي

259- عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص 312.

260 - جاردنر: مصر الفراعنة، 397

261- هيردوت 3: 19

برقة قد أسهمت من قبل مساهمة فعلية في الأحداث التي أفضت إلى فرار اركسيلاوس إلى ساموس، فإنما بعد الأحداث الأخيرة لن تدخر وسعا في مساعدة خصومه على مناهضته، كل ذلك كان يمل على اركسيلاوس ضرورة إخضاع مدينة برقة وإقليمها الزراعي وهذا ما حدث بالفعل، حيث كلف اركسيلاوس حماة "الازير" بإدارة شؤونها نيابة عنه، ولا بد ان الازير قد اشتط وتهور مقترفا بعض التجاوزات والأخطاء في حق أولئك السكان، ولذا فانه عندما علمت تلك الجماعة من ارستقراطي قوريني والذين كانوا قد فروا من وجه ملكها إلى برقة، وأشياهم السياسيين من أهل مدينة برقة، بتواجد اركسيلاوس بها، قاموا بتدبير مكية له ولحميه الازير واغتالوهما معا.²⁵⁸

ونتيجة لذلك فرت "فريتيمي" إلى مصر مستحجرة — "باريانوس" الوالي الفارسي وهذا ما سوف نتعرض له في صفحات تاليه.

ثالثا - مصر وليبيا:

(أ) قمبيز:

سبق ان ذكرنا انه بمجرد دخول "قمبيز" مصر، وأثناء حصاره لمدينة "منف"، قدم "اركسيلاوس" الثالث ملك "قوريني" الولاء الكامل للملك الفارسي، وفعلت ذلك أيضا بعض القبائل الليبية خشية ان يوجه هذا الغازي حملة إليهم، لكن ما ان استقرت الأمور "لقمبيز" في مصر، حتى فكر في ثلاثة مشروعات فشلت جميعا، من بينها غزو "قوطاجة" "نونس" الفينيقية الأصل ذات الشهرة

258- هيردوت 4: 164

شامو: الإغريق في برقة، 198

آمون تثبيتاً له في زعامة مصر.²⁶² وان كان "هيردوت" يرى ان الهدف هو تحطيم معبد "مون" نتيجة تنبؤ كهنته بسوء المصير لقمييز وفتوحاته، فأراد ان يلحق هؤلاء الكهنة درساً قاسياً ويثبت للعالم كذب هذه النبوءة.²⁶³ وان كنا نرى ان هذه قهمة ضمن ما ساقه "هيردوت" ضد "قمييز" وفي نفس الوقت يعلى من شان "آمون" خاصة بع فشل هذه الحملة.

إلا انه يمكن القول، ربما كانت هناك عوامل أخرى محرّكة لهذه الحملة خاصة إذا افترضنا ان هذه الحملة مكتملة حملة قرطاجة (سالفة الذكر) وان الاثنتين هما حملة واحدة، وفي خروج الحملة من طيبة وليس من هيراقليوبولس رغم قرب الأخيرة من واحة سيوة، تأييداً لهذا الفرض، وان هذه الحملة كان لها بعد أكبر من غزو واحة سيوة في حد ذاته، وهو القضاء على الجيوب الإغريقية المنتشرة في منطقة الواحات حتى لا تكون شوكة في ظهر قمييز وجيشه وحتى لا تكون هذه المناطق مأوى للمعارضين والفارين من وجهه.

وعلى ذلك يمكن القول ان حملة قرطاجة وحملة سيوة كان جناحين لحملة واحدة، الجناح البحري يمثله الأسطول الذي كان يقوه الفينيقيون، والجناح البري يمثله جيش قمييز الذي خرج من طيبة، وكان هدف الحملة هو غزو ليبيا والشمال الإفريقي، وبجناح هذه الحملة يكون في مقدور الفرس الأطباق على الإغريق من الشرق ومن الغرب، إلا انه نظراً لفشل الجناح البري ممثلاً في جيش قمييز، اضطر الجناح البحري إلى العودة وعلى ذلك لم يكن عودة الأسطول تمرداً من جانب الفينيقيين ولكنه لعم وصول الجناح البري إليهم.

262- جرمال: تاريخ مصر القديمة، ص 476

263- هيردوت 3: 26

(ب) دارا الأول:

بعد نهاية اركسيلاوس الثالث الماسوية في برقة، انهارت مكانة الملكة "فريتيما" في قوريني ففرت إلى مصر واحتمت بواليتها الفارسي "اريانوس" وطالبته بالانتقام لمقتل ابنها على أساس انه اغتيل بسبب ولائه للفرس، وهنا وجه "اريانوس" إنذاراً إلى مدينة برقة يطالب أهلها بتسليمه قتل اركسيلاوس، إلا ان البرقيين رفضوا هذا الإنذار، وعندئذ قام اريانوس بتوجيه حملة برية وبحرية ض مدينة برقة، وانضمت فريتيما إلى جيش تلك الحملة.²⁶⁴

وقد اختلفت الآراء إزاء توقيت هذه الحملة ففريق يرى ان هذه الحملة وقعت في عام 514 أو 513 ق.م.²⁶⁵ وفريق آخر يرى ان هذه الحملة خرجت من مصر حوالي نهاية صيف 519 ق.م وعادت حوالي نفس الوقت من عام 518 ق.م.²⁶⁶ ولكل فريق من هؤلاء من الآلة ما يدع وجهة نظره، لذلك لابد من تمحيص تلك الأدلة لترجيح أي التاريخين أقرب إلى الصحة.

فالفرق الأول يفترض ان هيردوت يعتبر حملة "اريانوس" ضد ليبيا معاصرة لأعمال "مجازوس" في أعقاب حملة "دارا" ضد سكيثيا، ويؤيد ذلك فرض آخر مستمد من ان ليبيا لم تذكر في أول قائمة رسمية للبلاد الخاطئة للفرس، وهي القائمة التي أمر "دارا" بإثباتها في نقش "بمستان" قبل عام 518 ق.م، ولم تذكر أيضاً في القائمة المثبتة على حجر تأسيس "برسيوليس" حوالي عام 513 ق.م وهي القائمة التي ورد فيها ذكر بلاد تراقيا عبر البحار، بيد ان

264- شامو: الإغريق في برقة: ص 199

265 - Mitchell, Op. Cit., P. 103.

266 - Noshay, Op. Cit., P. 84.

الذي حاول فتح أثيوبيا ولم يقم أي فارسي به أي نشاط في هذا الاتجاه.²⁷¹ ومن ثم يتضح ان ذكر ليبيا في القائمة الهيروغليفية لا يستتبع حتما ان يكون ليبيا قد ضمت إلى الإمبراطورية الفارسية في ذلك الوقت أو ن تكون حملة اريانوس قد أرسلت ضد ليبيا قبيل نقش هذه القائمة، وهنا يتبادر إلى ذهن الباحث سؤال مؤداه، هل كان إدراج ليبيا بين البلاد الخاضعة للفرس نتيجة لحملة لريانوس؟ الحقيقة ان الباحثين جميعا يقبلون رواية "هيردوت" القائلة بان استيلاء قمبيز على مصر عام 525 ق.م قد افزع قوريني وبرقة مثلما افزع جيران مصر الليبيين، فسلم الجميع للفرس دون مقاومة وفرضوا على أنفسهم الجزية، أليس معنى ذلك ان كل هؤلاء أصبحوا رعايا الملك الفارسي منذ عام 525 ق.م؟ وليس هناك ما يدعو إلى الظن بان الوضع ق تغير بعد وفاة قمبيز، لاسيما ان انهمك اركسيلاوس في دعم مركزه كان يحتم عليه الاحتفاظ بصدقة الفرس والاستمرار في دفع الجزية، ولو ان اركسيلاوس كان ق توقف عن دفع الجزية وخرج على طاعة الفرس كما يعتقد "ميتشل"، نقول لو حدث ذلك اجترأت "فريتيمي" على الالتجاء إلى "اريانوس" تنشده مساعدته للانتقام لمقتل ابنها، وفضلا عن ذلك فان هيردوت بعد ان يحدثنا بان الهدف الحقيقي لحملة اريانوس كان إخضاع الليبيين، يمضي فيقول، ان القبائل الليبية كثيرة العدد متباينة النوع وانه كان اقلها من رعايا "دارا" فان أكثرها كان لا يعنيه من أمره شيئا.²⁷²

وعبارات هيردوت تدل بوضوح على انه في وقت حملة اريانوس لم يكن في عداد رعايا الفرس قوريني وبرقة فحسب بل أيضا

271- Olmstead, Hist. Persian Em, P.P 89.

272- هيردوت 4: 167

ليبيا تذكر لأول مرة في القائمة الهيروغليفية المنقوشة على الأنصاب التي أقيمت احتفالاً بإنشاء قناة "دارا" بين النيل والبحر الأحمر.²⁶⁷ هذه القائمة في رأي هؤلاء الباحثين من حوالي 513 ق.م ولكنها تغفل ذكر بلاد تراقيا عبر البحار، وقد استخلص كل من "كامرون" و"ميتشل" من ذلك، ان قائمتي برسبوليس وأنصاب القناة المصرية متعاصرتان تقريبا، وأنهما نقشتا في أعقاب حملتي سكيثيا وليبيا ولكن قبل ان تعرف نتائجها في كل أنحاء الإمبراطورية.²⁶⁸

وإذا سلمنا جلا بان هاتين القائمتين متعاصرتان تقريبا، فهل هذا الفرض يبرز النتيجة التي بنيت عليها؟ ان دراسة نص القائمة الهيروغليفية في رواية واناة تبعد هذا الزعم، حيث ان هذا النص لا يذكر ليبيا فحسب بل يذكر أيضا أثيوبيا²⁶⁹ وكلتا هما لم يرد لهما ذكر سواء في قائمة بهستان أو في قائمة برسبوليس.²⁷⁰

وتبعاً لهذا النمط في الاستنتاج لا بد ان تكون أثيوبيا أيضا ق فتحت مثل ليبيا وضمت إلى إمبراطورية الفارسية قبيل نقش القائمة الهيروغليفية، بيد ان ذلك لا يمكن ان يور بجلد احد، لان قمبيز هو

267 - Mitchell, Op. Cit., P. 100.

Posener, La Premiere domination des perseen en Egypte, PP. 482-486.

268- Camaron, G.G. "Darius, Egypt and the Lands Beyond the Sea", J.N.E.S., 2, 1943, P. 307

Mitchell, Op. Cit., P. 107.

269- Posener; Op. Cit, Nos 8-10. Olmstead, Op. Cit., P. 19.

270 - Olmstead "Darius and Behistan inscription", A.J.S.L. 60, 938, PP. 392 ff.

Kent., "Old Persian Texts, Darius Behistan inscription column V" J.N.E.S., 2, 1943, P. 105 ff

هذان الإقليمان يؤلفان جزءاً منها فأمر بديهي لا يحتاج إلى تفسير.

والحقيقة ان أصحاب الاتجاه الأول مازال ليهم سند آخر يدعم وجهة نظرهم وهو الزعم بان هيردوت يعتبر هذه الحملة معاصرة لأعمال مجازوس، بيد ان هذا ليس التفسير الوحيد لنص هيردوت الذي يتصل بتاريخ حملة اريانوس، فهناك تفسير آخر يقول بان هيردوت يعتبر هذه الحملة معاصرة لحملة دارا ضد سكيثيا، ويوج تفسير ثالث وهو ان الرابطة بين هاتين الحملتين ليست رابطة تعاصر وإنما رابطة موضوعية منشؤها التماثل في الهدف والنتيجة بين حملتين متقاربتين في الزمن كانتا تهدفان إلى تطويق بلاد الإغريق شمالاً وجنوباً ولكنهما منيتا بالفشل، وإذا كان هذا التفسير يبرز عدم اعتبار الحملتين متعاصرتين، فإننا مع ذلك نعتقد ان تقاربهما في الزمن أسهم في الإيحاء إلى هيردوت بالربط بينهما.²⁷⁶

والحقيقة أننا نخرج من نصوص هيردوت باستنتاجين: الأول ان أحداث عهد اركسيلاوس الثالث تابعت بسرعة مما يجعلنا نعتقد انما لم تستغرق زمناً طويلاً، والاستنتاج الآخر ان "دارا" اعم اريانوس عندما زار مصر، معنى ذلك ان تكون حملة اريانوس واستنجد "فريتيمي" به ومقتل اركسيلاوس قد سبقت هذه الزيارة والرأي السائد هو ان هذه الزيارة سابقة لحملة سكيثيا، والواقع فان الاستنتاجين يدعم احدهما الآخر، فلأول الذي يوحى بان عهد اركسيلاوس كان قصيراً يؤكد الربط بين زيارة دارا وإعدام اريانوس، والثاني الذي يوحى بان دارا عندما زار مصر اعدم اريانوس يؤكد قصره اركسيلاوس الثالث.

والربط بين إعدام اريانوس وزيارة دارا المصر يؤكد كذالك

276- Noshy, Op. Cit., P. 61

بعض القبائل الليبية، وإذا كانت بعض نصوص "هيردوت"²⁷³ تتم عن ان بعض القبائل الليبية في قوريناية لم تكن قد استسلمت للفرس، وعن ان حملة اريانوس كانت تستهدف إخضاع هذا القبائل، فان القرائن المستمدة من هذه النصوص لا تدع مجالاً للشك في ان هذه الحملة لم تحقق هذا الهدف ولم تفعل أكثر من الانتقام لمقتل اركسيلاوس الثالث والقيام بمظاهرة عسكرية، ومادام انه لا يمكن إثبات ان هذه الحملة قد ضمت أي إقليم أو شعب جديد إلى الإمبراطورية الفارسية بالإضافة إلى من كانوا رعاياها من قبل، فانه يوجد أي مبرر للزعم الشائع والقاتل بان إدراج ليبيا بين البلاد الخاضعة للفرس كان نتيجة لحملة اريانوس.

ولكن بم نفسر إذن إغفال كر ليبيا بين البلاد الخاضعة للفرس سواء في قائمة بمستان أو قائمة برسوليس وإثباتها في القائمة الهيروغليفية؟

الحقيقة ان هيردوت يمدنا بسبب هذا الإغفال حين يذكر قوريني وبرقة وليبيا بوصفها أجزاء من ولاية مصر²⁷⁴ وتؤكد "ميتشل" نفسها ان ليبيا لم تؤلف بذاتها ولاية على حدة ولم يكن هناك نظام عسكري خاص بها.²⁷⁵

وعلى ذلك فإذا كان هذا يفسر إغفال ذكر ليبيا في قائمتي بمستان وبرسوليس، فانه أيضاً يضيف حجة أخرى لتنفيذ النتيجة المستخلصة من ذكر ليبيا في القائمة الهيروغليفية، أما ذكر ليبيا وأثيوبيا في هذه القائمة المنقوشة على أنصبة أقيمت في ولاية مصر، وكان

273- هيردوت 4: 168، 203-204.

274- هيردوت 3: 61-92

275 - Mitchell, Op. Cit. P 107.

المسؤولة وأطماعه الجامحة، وكذلك تدمير المصريين تدميرا شديدا، معنى ذلك انه كان على "دارا" ان يقضي على اريانندس قبل ان يستفحل أمره، وان يسترضى المصريين قبل ان يفلت الزمام من يده.

وهذا يتضح انه لا سبيل إلى الشك في ان يكون اريانندس قد لقي حتفه عندما زار "دارا" مصر لفترة قصيرة في العقاب وفاة العجل أبيس يوم أغسطس 518 ق.م. وإذا كان "دارا" قد زار مصر في سبتمبر أو أكتوبر 518 ق.م. واعم اريانندس فلايد إذن من ان تكون حملة هذا الوالي ضد ليبيا قد سبقت هذا التاريخ، وإزاء الصلة الواضحة بين استدعاء هذه الحملة وزيارة "دارا" لمصر، والفترة التي تقترب من عام وهي التي قضتها الحملة في ليبيا، يبدو محتملا ان يكون اركسيلاوس الثالث قد قتل حوالي بداية 519 ق.م. وان تكون فريتيمي ناشدت اريانندس المساعدة عقي هذا التاريخ مباشرة وليس بعد عامين كما تذهب إلى ذلك ميتشل.²⁷⁸

وإذا قبلنا ما تذهب إليه "ميتشل" من ان حملة سيكتيا ترجع إلى عام 515 ق.م. أو حوالي 514 ق.م.²⁷⁹

وإذا قبلنا ما تذهب إليه "ميتشل" من ان حملة سيكتيا ترجع إلى عام 515 ق.م. أو حوالي 514 ق.م.²⁸⁰ فان التاريخ الذي نرجحه لحملة اريانندس لا يكون بعيدا عن التاريخ حملة سيكتيا وتبعاً لذلك فان إعادة فحص الأدلة وهي التي أفضت إلى التواريخ التي توصلنا إليها تؤيد التفسير بان هيردوت لا يربط بين هاتين الحملتين على

البواعث على هذه الزيارة ومما تجر ولاحظته ان نقش بهستان يذكر مصر في عداد الولايات التي ثارت على دارا في خلال العام الأول من عهده، إلا انه يوجد أي ذكر لإخماد هذه الثورة في هذا النقش سواء في أعمدته الأربعة التي نقشت قبل عام 518 ق.م. أو في عموده الخامس الذي نقش عقب حملة سيكتيا، وفي الوقت الذي يذكر فيه "بولينوس" ان مصر ثارت على الفرس وطردت اريانندس وان دارا هو الذي اخمد هذه الثورة بما أظهره من سخاء نحو إلههم أبيس، نلاحظ ان هيردوت لا يذكر شيئا عن هذه الثورة ويذكر ان "دارا" اعدم اريانندس لأنه اغتصب لنفسه سلطة الملك أي انه لم تكن هناك ثورة على الإطلاق.²⁷⁷

مما تقدم يمكننا القول انه عقب وفاة قمبيز نشبت في مصر ثورة أسرع "اريانندس" بإخمادها حين كان "دارا" منهمكا في إخماد الثورات العديدة التي وقعت في الولايات الشرقية، وان نشوة النصر وسط هذه الظروف جعلت اريانندس يسرف في سوء معاملة المصريين إلى حد أثار نقمتهم، وان تدور بخلد آمال عراض يمكن استنتاجها من إقامته دارا لسك نقود من الفضة الخالصة على غرار نقود الملك "دارا" من الذهب الخالص، وأيضا أقدمه على إرسال حملة إلى ليبيا دون استئذان الإمبراطور، وقيام اريانندس باستدعاء الحملة قبل ان تحقق أغراضها دليل على ان تصرفه في هذا الصدد كان من تلقاء نفسه ودون ترخيص من الإمبراطور، وعلى ان الإمبراطور غضب من هذا التصرف وكان في طريقه إلى مصر، ولا جدال في ان تكون زيارة "دارا" لمصر قد أملت اعتبارات قوية مثل تصرفات "اريانندس" غير

277- هيردوت 4: 167

Kent, V., Old Persian Texts: Darius « Baehistan Inscription, Column V » . J.N.E.S. 2, 1943. PP. 105 ff

278 - Michell, Op. Cit., P. 103.

279 - Ibid , P. 101.

280 - Noshay, Op. Cit., PP. 64-66.

السكان فقد تم استرقاقهم، بعد ذلك اتجه الجيش الفارسي غرباً حتى مدينة "يوسبيريدس" (بنغازي) ثم قفل راجعاً نحو مصر حيث اخترق مدينة قوريني التي فتحت له سكانها بواباتها بزعم ان نبوءة إلهية أمرتهم بذلك، وعسكرت قوات ذلك الجيش خارج أسوارها عند التل المسمى تل زيوس وتزود بالمؤن واستأنف سيرته نحو مصر، وقد تعرض هذا الجيش أثناء عودته لهجمات الليبيين مما جعل يتكبد خسائر جسيمة.²⁸³



أساس المعاصر وإنما على أساس التماثل في الهدف والنتيجة والتقارب في الزمن.²⁸¹ على أية حال فان والي مصر "اريانوس" بعد ان طلبت منه فريتييمي الانتقام لمقتل ابنها اركسيلاوس الثالث، وجه إنذاراً إلى مدينة برقة يطلب من أهلها تسليم قنلة اركسيلاوس غير ان هؤلاء البرقيين رفضوا الاستجابة لذلك الإنذار وأعلنوا أنهم جميعاً يتحملون مسؤولية قتله، وعندئذ قام الوالي بتوجيه حملة برية وبحرية ضد مدينة برقة طوال تسعة أشهر لكنه فشل في احتلالها بالحرب فلدجأ إلى الحيلة والخديعة حيث أمر بان يخفر في الليل خندق عريض أمام بوابة المدينة ثم غطوه بسقيفة من حطب ضعيف ثم ستروها بالتراب حتى سارت مموهة تماماً، فلما طلع النهار دعا قائد الحملة البرقيين للتفاوض، فخرجوا بذلك بعد ان أوشكت مواردهم على النفاذ وتم التوقيع من الطرفين على معاهدة سلام واقسموا على احترام بنودها مادامت تلك الأرض ثابتة على حالها، وتضمنت بنو المعاهدة إلزام أهل برقة بأداء الجزية إلى ملك فارس في مقابل إلا تقوم جيوشه بغزوهم مرة أخرى، فلما تم الاتفاق واطمأن البرقيون فتحووا بوابات المدينة، وخرجوا منها وسمحوا لأعدائهم بالدخول، وفي أثناء ذلك كانت مجموعة من هؤلاء قد هدمت الخندق المستور واقترحت المدينة دفعة واحدة بعد ان نقضوا الجسر حتى لا يكونا بهجومهم ق نقضوا العهد ولذا فقد انتقض العهد حين قوض الجسر.²⁸²

وقد بادرت "فريتييمي" فنكلت بكل مغتالي ابنها ومن توأماً معهم من أهل المدينة، وأذاقت هؤلاء جميعاً مر العذاب، أما بقية

281 - Rowe, Op. Cit., P. 29.

شامو: الإغريق في برقة، ص 199

دريون-فاندييه: مصر، ص 655

282- هيردوت 4: 201

283- شامو: الإغريق في برقة، ص 200. Rowe, Op. Cit., P. 29.

الفصل الرابع

الليبيون وتحرير مصر من الاحتلال الفارسي

(أ) الثورات المصرية ضد الحكم الفارسي حتى
الاستقلال

1- ثورة عام 486 ق.م.

2- ثورة ايناروس واميرتايوس 460 ق.م.

3- الثورة الكبرى والاستقلال 410 - 404 ق.م.

(ب) الأصول الليبية لأسرات العصر المتأخر

تبين لنا من الفصول السابقة ان التهديدات الخارجية لكل من مصر وليبيا، كانت من العوامل الرئيسية لتوثيق الروابط والعلاقات بين البلدين. حيث كانت هذه العلاقات في أوج أزهارها إبان تلك الفترة التي كانت فيها مصر مهددة بالخطر الآشوري. بينما كان الليبيون يقاومون خطر غزو خارجي لسواحلها من جانب عناصر قادمة من بلاد اليونان (الإغريق) وبحر ايجه إلا انه بعد ان تبدل خطر الآشوريين بالخطر الفارسي، بينما استقر الإغريق على السواحل الليبية، أصبحت العلاقات غير واضحة، وربما يرجع ذلك إلى عوامل منها، انه بينما كان الليبيون طرفا مباشرا في المرحلة السابقة ولذا توافرت المصادر سواء من جانب المصريين تارة أو الآشوريين (ضمنيا) والإغريق تارة أخرى، أما الفترة التي نحن بصدددها، فكان الصراع يدور بين الجانب الفارسي والجانب المصري فقط (وان أردنا الدقة نقول بين الفرس والإغريق على الأرض المصرية). وهنا لم يكن الجانب الليبي طرفا مباشرا في الأحداث، ولذلك غاب العنصر الليبي بعض الشيء عن المصادر التي تناولت هذه الفترة، والواقع قد يكون هناك ثمة علاقات بين الليبيين ومصر تمتل في محاولة الليبيين مدي المساعدة المصريين في صراعهم مع الفرس ومن المحتمل ان مدوني الحوليات التاريخية لم يهتموا بتسجيل هذه العلاقات، وهذا شيء لا نستطيع ان نجزم به يقينا، وان كانت شواهد الأحوال تشير إلى ذلك، وسيحاول الدارس ان يبحث عن هذه العلاقات الغائبة.

ومنذ البداية يجب ان نضع في اعتبارنا ملاحظتين هما مكان نشأة الثورات المصرية وقادة هذه الثورات.

(أ) الثورات المصرية ضد الحكم الفارسي حتى

الاستقلال:

1- ثورة عام 486 ق.م:

كان وقع الغزو الفارسي على المصريين عنيفا، لكن سرعان ما جاءت إصلاحات "دارا" الأول فارضت البعض وأخرت المواجهة، حتى خيل لهذا البعض ان حسن السياسة في التسليم بالأمر الواقع، وأنهم قادمون عن طريق المدارة والملاينة ان ينفذوا مصر ما يمكن إنقاذه (وجاحر رسنت) وهذا في الواقع أسلوب مقبول خاصة إذا كان العدو على قوة كبيرة، وفي نفس الوقت لم يكن هناك قائد وطني قوي يستطيع إدارة ثورة مسلحة، بمعنى تفضيل استخدام العقل الموجود على استخدام القوة المفقود، وهذا هو أسلوب جميع أصحاب الثورات الناجحة، التفكير ثم التخطيط وأعداد القوى ثم التنفيذ، وما ذلك فان "وجاحر رسنت" أمير "سايس" بريء مما نسب إليه من تمم خاصة خيانة بلاده نتيجة استخدام أسلوب المهادنة والملاينة، وكذلك كان دور القائد المصري "أحمس بن بايون حور" فقد ذكر في نص على إحدى اوحته المستخرجتين من السرابيوم، كيف أجبر ولاية الفرس على الحضور إلى "منف" ليقدموا الطاعة والقرايين لأبيس.²⁸⁴

سارت الأمور على هذا المنوال حتى تصافرت عدة عوامل خارجية لتدفع بالثورة المصرية إلى الجاهرة. أما العوامل الخارجية فجاءت من فارس نفسها ممثلة في ضعف العرش الفارسي وانشغاله بحرب المدن الأيونية الثائرة، وأصبح الأمر وقت لتقوم الحرب بين فارس واليونان بعد ان قدمت أثينا العون لهذه المدن الثائرة، وهكذا كانت موقعة "ماراثون" في عام 90 ق.م والتي انتهت بهزيمة مروعة

284- Spiegelbery, Op, Cit., P. 142.

للفرس، بمثابة الضوء الأخضر أمام المصريين للمجاهرة بالثورة، حيث ان هذه الحرب (الفارسية اليونانية) قد شغلت الملك الفارسي (دارا) بقية حياته مما أدى إلى تقاونه في أمور مصر بعض الشيء.

أما العوامل الداخلية فتمثل في ان "السياسة التي اتبعها" "دارا" لم يكن الهدف منها التردد للمصريين بقدر ما كانت تهدف أساسا إلى انتزاع أكبر إيراد ممكن من تلك الولاية، فضلا عن تسخير العمال المصريين في قطع أحجار وادي الحمامات لصالح الفرس وأيضا تسخير الفلاحين في حفر أو إعادة حفر القناة التي كانت تربط بين النيل والبحر الأحمر، وإلى جانب فداحة الضرائب الباهظة، كان لا بد من إمداد وتموين الحاميات الفارسية التي كانت تمتد من بلدة "ماري" شمالا (على مقربة من موقع الإسكندرية حاليا) وحتى اليفانتين والجنديل الأول جنوبا، بالغالل اللازمة وخاصة القمح، وفوق هذا كله ترحيل العمال المهرة إلى مدينة "سوسا" الفارسية، ويذكر "ديودور" ان المدن الفارسية برسبوليس وسوسا واكتبانا قد زادت من توسعاتها المعمارية على حساب الخبرة والثروة المصر.²⁸⁵

وفي هذا الصدد يذكر "هيردوت" ان غزوة سارديس كانت قد أثارت لأقصى درجة غضب "دارا" على الأثينيين، غير ان معركة "ماراثون" زادت حنقه وتحمسه إلى محاربة الإغريق، فبادر وأرسل الأوامر إلى المدن التي في قبضته لحشد جيش كثيف وأعداد كبيرة من الخيل والزاد وسفن الحرب والشحن أكثر مما أمر به قبل ذلك، وعندما بلغت الحرب والشحن أكثر مما أمر به قبل ذلك، وعندما

285- ديودور 1: 46

جاردنر: مصر الفراعنة، ص 401

Possener, G., La Premier Dominstion Perseen Egypte, Le Caire, 193, P. 41

خلال شهر من تاريخها (أي الرسالة) قامت الثورة المصرية وعمت البلاد.

وتبرز هنا مسألة مهمة اختلفت حولها آراء المؤرخين وهي، من كان قائد هذه الثورة؟ وما أصله؟ وقد زاد من هذا الاختلاف والتضارب صمت الآثار والمصادر المصرية وغموض ما ظهر منها حتى الآن، ف شخصية قائد هذه الثورة ما تزال غامضة، وقجد ذكرت مختلف المراجع وبعض المصادر ان "خباباش" هو هذا القائد الذي حرر مصر واسترد الملكية واتخذ الألقاب الفرعونية وحكم مصر فترة قصيرة، واهم الآثار التي حوت نصوصها اسم "خباباش" هي:

(2) تابوت العجل أبيس.²⁸⁸

(3) بردية لبي.²⁸⁹

(4) مقالع من الجلد وانية العجل منقوش عليه احد

288 - استخرج هذا التابوت من سرايوم "منف" وكان الملك خباباش قد أهدها إلى العجل المقدس ونقش عليه تاريخه وألقابه كما يلي " السنة الثانية الشهر الثالث من فصل الفيضان لعهد جلاله ملك الوجه القبلي والوجه البحري خباباش محبوب أوزير أبيس.

Gunn, B, the insonlbed sarcophagus in the Serapeum ASAE 26, 1926 P. 86.

289 - عثر على هذه البرية في مدينة طيبة وهي محفوظة الآن في متحف توليدو بالولايات المتحدة، وهي تمثل عقد زواج تم على أي بعض كهنة طيبة في السنة الأولى الشهر الثالث من فصل الفيضان لعهد الفرعون خباباش.

Gauthier, M,H, L.R., IV. P.195

Maustafa El Amir, A Family Archive from thebes, past 2 Cairo, 1959, P. 95

Sapalinger, A, "The Reign of King Chabbash: An Interpretation" " Z.A.S. 105, 1978, P. 143.

بلغت الأوامر كل الجهات تحركت لها كل آسيا واستمر على ذلك ثلاث سنوات، ولكن بينما كانوا يجمعون الرجال ويجهزون تلك اللوازم بلغهم في السنة الرابعة ان المصريين الذين أخضعهم قميبيز ق خرجوا على الفرس، فاشتد غضب دارا وعزم على ان يغزو هذين الشعين، ولما أعلن "دارا" خلافة "اكرزكسيس" له ورأى ان كل الاستعدادات قد تمت عزم على المسير، ولكنه توفي في السنة التي تلت ثورة المصريين عليه، وكان حكم ستا وثلاثين سنة كاملة، ولم يشف غليله من معاقبة المصريين وإخماد ثورتهم ولا من الانتقام من الأثينيين.²⁸⁶

وتشير المصادر المصرية إلى تلك الثورة إشارة غير مباشرة، ففي رسالة من "خنوم أم أخت" احد كبار المسؤولين في "اليغانين" يطلب من شطرب مصر "فرنندات" ان يرسل من يؤمن وصول الغلال على سفينة الشحن إلى أفراد الحامية ويقول "دع الشطرب يأمر ارتاباتوس (قائد حامية اليغانين الفارسي) ان يقيم حارسا على الغلال في السفينة وإلا يفرغ على الشاطئ إلا ما يمكن ان تبخر به المركب، وان لم تتخذ الاحتياطات فسوف يأتي الثوار ليلا وينهبون الغلال ثم يضربون خيامهم في المواجهة ويصبحون أكثر جرأة حتى أنهم يطهرون أنفسهم وسط النهار.²⁸⁷

يتضح من تلك الوثيقة ان الثوار كانوا يهاجمون مراكز الإمداد ومستودعات التموين الخاصة بجن الحاميات الفارسية في أنحاء البلاد، كما انها تتم عن ضائقة اقتصادية وان أعمال السلب والنهب هذه كانت سابقة على الثورة العامة حيث تذكر نفس الرسالة انه 286 - Herodotus, VII, PP. 1-4. 287- Olmstead, A.T., History of the Persian Empire, 5th ed., Chicago, 1966, P. 277.

ألقاب الملك اخل الخرطوش“ خباباش محبوب رع²⁹⁰.”

(5) لوحة الوالي²⁹¹.

قادت هذه الآثار إلى ثلاثة اتجاهات مختلفة حول مركز “خباباش” التاريخي، وسوف يحاول الدارس مناقشة هذه الاتجاهات كلا على حدة.

أما الاتجاه الأول فيرى أصحابه ان حكم “خباباش” كان في بداية القرن الخامس ق.م، وانه قاد ثورة المصريين ضد الفرس في العام الخامس والثلاثين من عهد “دارا” الأول مستندين في ذلك على عدة شواهد منها، تأكيد احترام البطالمة لذكرى “خباباش” حيث سعى بطلميوس الأول لفحص تمثاله ثم أمر بإعادة الأوقاف القديمة التي

290- Petrie, F.W., Palace of Apries, London, 1909, P. 26
Michaelidis, “Quelques objets inedits d’epoque Perse” A.S.A.E 43, 1943, PP. 97-99

291- اكتسفت لوحة الوالي سنة 1870م كانت مستخدمة ضمن أحجار الأساس في جامع شيخون بالقاهرة وهي مؤرخة بالعام السابع اليوم الأول من فصل الفيضان من عهد الإسكندر الرابع (وهذا التاريخ يعادل 9 نوفمبر أو ديسمبر 310 ق.م) وهي تمثل مرسوما صدر بواسطة بطلميوس لاجوس والي مصر آنذاك قبل ان يصبح الملك بطلميوس سوتير مؤسس دولة البطالمة في مصر، وقد اصدر مرسومه هذا لإعادة الحقوق التي كان قد سلبها الملك الفارسي من معبد بوتو وهذا النص يتعلق أساس بالأفضال الدينية والانجازات العسكرية لبطلميوس في بداية عهده كوال على مصر كي يضيف الأهمية على منصبه في حكم بوتو وذكر ان الملك البلدة كانت مخصصة للإله بوتو بواسطة «خباباش».

Parker and Dubberstein, Baylonian Chronology, Providence, 1956, P. 20.

Ritner, R.K. “Khababash and satrapstela, Z.A.S., 107, 1980, PP. 135.

Spalinyer, Z.A.S., P. 147.

كان قد منحها“ خباباش “لمعبد“ بوتو “ثانيا :إغفال المؤرخ“ مانيتون” اسم“ خباباش “عند تسجيله لقائمة الملوك المصريين طبقا لأوامر “بطليموس” الثاني، وقد فسر أصحاب هذا الاتجاه هذا التجاهل بان قدم عهد هذا الفرعون كان سببا في نسيان“ مانيتون” له، ودلوا على ذلك بان هذا المؤرخ اقتصر على ذكر الملك“ باكن رن اف” عند تسجيله أسماء ملوك الأسرة الرابعة والعشرين في قائمته، مع ان الآثار قد أكدت ان هناك ملوكا آخرين من نفس الأسرة لم يذكرهم مثل“ تف-نخت” و”نكاو” الأول ثالثا :ورود اسم“ اكرزركسيس” واضطهاده لـ“ بوتو “مع لقب الفرعون“ خباباش” في نص لوحة الوالي يرجح أنهما كانا متعاصرين²⁹².

أما الاتجاه الثاني فيرى أصحابه ان حكم “خباباش” كان في العامين السابقين لغزو الإسكندر الأكبر لمصر.²⁹³

يرى أصحاب الاتجاه الثالث، انه يمكن وضع حكم “خباباش” في العامين اللذين يفصلان بين “ارتكزر كسيس” الثالث “اوخوس” (358/359 ق.م – 337/338 ق.م) و“دارا” الثالث (335/336 ق.م – 332 ق.م).²⁹⁴

بالنسبة للاتجاه الأول فان الشواهد التي اعتمد عليها يعترضها عدة صعوبات منها ان تجاهل “مانيتون” لـ “خباباش” لم

292 - Griffith, F., Catalogue of the Demotic Papyri 3, Vol Manchester, 1909.

293 - Bradford Welles, C., “The Role of the Egyptian under the first Ptolemies, American studies in papyrology, 7. 1970, PP. 509-510.

294 - Olmsstead, Op. Cit, PP. 91-93; Gauthier, L.R. IV. PP. 195-196.

يبقى أمامنا الاتجاه الثالث وهو ما يميل إليه الدارس، والذي يرى ان "خباباش" يمكن وضعه في العامين اللذين يفصلان بين "ارتكزر كسيس" الثالث (اوخوس) و"دارا" الثالث، وذلك استنادا إلى عدة شواهد منها، ان "خباباش" جاء بعد "ارتكزر كسيس" ويتضح ذلك من لوحة الوالي (من ثم تحدثوا لجلالته المستنقعات التي تسمى ارض اجو كانت فيما مضى تخص إلهة "ب" و"دب" ولكن العدو خرشيش (ارتكزر كسيس) منعها ولم يقدم منها أوقافا لآلهة "ب" و"دب".³⁰⁰

ثانيا: ان "خباباش" أصر قراره بعد ان قام باستكشاف مصاب الدلتا التي يظن ان الآسيويين (الفرس) قد يهاجمون مصر عن طريقها وتشير إلى ذلك لوحة الوالي عندما حث كهنة "بوتو" الملك "خباباش" على طرد "ارتكزر كسيس" من مصر "أي ملكنا وسيدنا حور بن ايزيس وابن أوزير حاكم الحاكم ملك مصر العليا والسفلى المنتقم لأبيه سيد "ب" والمقدم على الإلهة الذين اتوا إلى الوجود بعد ذلك، ذلك الذي ليس بعده ملك، رد العدو ارتكزر كسيس حتى من مقره مع ابنه الأكبر، انه معروف في مدينة نيت وسائس منذ ذلك اليوم وما بعده بجوار أم الإله.³⁰¹

معنى ذلك ان كهنة بوتو وعدوا "خباباش" انه إذا طرد الفرس فسيكون معروفا في سائس ربما كحاكم شرعي، وهذا يعني ان عدم شرعية حكمه، وبالتالي وعد "خباباش" يتابع نصيحة الكهنة وسوف يعمل على طرد الفرس، ومن الواضح أيضا ان بطليموس أراد ان يفعل مثلما فعل "خباباش" كي يعترف الكهنة بشرعية حكمه،

300- جاردنر: مصر الفراعنة، ص 412. Spalinger, Z.A.S. 150.
301 - Ibid , PP. 151-152.

يكن نسيانا لقدم عهده وقصر مدة حكمه كما يرى هؤلاء إلا انه ربما كان تجاهلا مقصودا، فحتى لو افترضنا جدلا ان هذا الفرعون حكم في بداية القرن الخامس الم يذكر "مانيتون" فراعنة أقدم منه أم يحكموا إلا فترات قصيرة؟ منهم على سبيل المثال "متشوفس" من الأسرة السادسة وقد حكم سنة واحدة.²⁹⁵ وحتى لو افترضنا قم عهد "خباباش" الم يكن ذكر بطليموس الأول له كافيا لان يتذكره مانيتون وهو الذي كتب عمله هذا في عهد بطليموس الثاني؟، وما كتبه مانيتون يل على انه أنهى الأسرة الثلاثين بالملك "نختنبو" الثاني وهو بذلك تجاهل "خباباش" عما ليعكس رغبات سيده وحاميه بطليموس الثاني ويحقق رغبة البطالة في الارتباط بالأسرة السمنودية.²⁹⁶

أما ذكر اسم "ارتكزر كسيس" واضطهاده لـ "بوتو" مع لقب الفرعون "خباباش" في نص لوحة الوالي، فهذا أمر مردودية عليه، حيث ان هذه اللوحة لم تكن معاصرة لأي منهما (ارتكزر كسيس أو خباباش) حيث تُوّرخ بالعالم السابع اليوم الأول من فصل الفيضان من عهد الإسكندر الرابع (حوالي 310 ق.م).²⁹⁷

كما ان هناك من فسر اسم "خرشيش" بأنه "ارتكزر كسيس" الثالث وليس "ارتكزر كسيس".²⁹⁸ أما الاتجاه الثاني الذي يرى وضع "خباباش" في العامين السابقين لغزو الإسكندر الأكبر لمصر مباشرة، لا يؤيده الترتيب الزمني وإشارات لوحة الوالي.²⁹⁹

295- جاردنر: مصر الفراعنة، ص 46

296 - Spalinger, Z.A.S. P. 143.

297 - Olmstead, Op. Cit, PP. 491-493.

298 - Spiegelberg, Der Papyrus Libbey, 5 and Nole 3, Spalinger, Z.A.S. P. 150.

299 - Splegeibery, Op, Cit P. 142.

آخرين وهما العامان اللذان احتفظ فيهما "نختنبو" الثاني بقدر من السلطة بعد هزيمته وفراره إلى الجنوب، فإذا أضفنا هذه السنوات السبع لتاريخ 336 ق.م المذكور يعو بنا ذلك إلى عام 343 ق.م وهو تاريخ هزيمة "نختنبو" الثاني أمام "ارتكزر كسيس"، والمعروف انه عام 338 ق.م. اغتيل "ارتكزر كسيس" وأعلن "ارسيس" ملكا له، فارتبكت أوضاع الإمبراطورية الفارسية خاصة بعد انتصار فيليب المقدوني في معركة "خيرونا" ليوحد من حوله كافة القوى اليونانية، ومن المحتمل ان "خباباش" استعمل هذه الفرصة وقام بثورته وأعلن نفسه ملكا على مصر.³⁰⁴

وكما حدث جدل حول وضع "خباباش" التاريخي، حث اختلاف أيضا حول أصله وهويته، وأورد "كينتز" آراء العديد من علماء المصريين في ذلك الصدد منها ان "بيرش" يرى ان "خباباش" كان شطريا فارسيا قام بالثورة ض مليكه واستقل بحكم مصر، بينما يرى "ستروف" انه كان شطريا آسيويا صغيرا نصف مستقل، أما "ريفيو" فيرى انه كان عربي المنبت، في حين يشير "ماكس مولر" انه كان قائدا عسكريا أجنبيا يحتمل ان يكون من أصل سامي.³⁰⁵

أما "جريمال" فيعتقد انه كان من أصل كوشي.³⁰⁶ وان كان "جاردنر" لم يحدد هويته فيرى انه كان واحدا من آخر (ان لم يكن آخر) الحكام غير الفارسيين وغير اليونانيين استطاع ان ينتحل

304 - جريمال: تاريخ مصر القديمة، 488-489

Kienitz, F.K Die Politische Geschichte A'gyptens

305 - Vom 7. bis Zum 4. Jahrhundert vor der zetzwiende, Berlin; 1953, P. 188.

306- جريمال: تاريخ مصر القديمة، ص 88

معنى ذلك ان كلا من "خباباش" و"بطليموس" لم يكونا حاكمين شرعيين فأراد إضفاء الشرعية على حكمها وذلك برد أوقاف معبد "بوتو" التي منعها الملك الفارسي فعل ذلك بطليموس مثلما فعل "خباباش" من قبل.

ثالثا: ان بردية ليبي تم توقيعها من نفس مسجل العقود وهو "بادى حر رع" ابن "با-خع-سو" والذي وقع وثيقة أخرى من عه الإسكندر الأكبر عام 324 ق.م.³⁰²

معنى ذلك انه كانت تسوية "خرشيش" بارتكزر كسيس صحيحة وهذا ما نرجحه، فانه هو وابنه "ارسيس" (ملك المستقبل) كانا على قيد الحياة عندما كان "خباباش" فرعوناً لمصر.³⁰³

وعلى ذلك يمكن تفسير الموقف على النحو التالي، انه عندما أيقن "نختنبو" الثاني عدم جدوى مقاومته الملك الفارسي "ارتكزر كسيس" الثالث، فر هاربا صوب الجنوب بعيدا عن متناول القائد المنتصر، ومن المتفق عليه بين جمهور المتخصصين انه لجأ عند احد أمراء النوبة السفلى الذين عاصروا "نستاسن" من ملوك نباتا، ومن المحتمل ان هذا الأمير نصب نفسه مستولا عن مصالح الملك "نختنبو" الثاني، وبعد وفاة هذا الملك أعلن هذا الأمير نفسه فرعوناً على أساس انه أصبح وريث "نختنبو" الثاني، ويروى التقليد البطلمي انه تزعم نشاطا معاديا للفرس في الدلتا وان هذه المقاومة استمرت حتى شتاء 335/336 ق.م، وكان قد أمضى خمس سنوات يحث المصريين على الثورة، فإذا أضفنا إلى هذه السنوات الخمس عامين

302- جاردنر: مصر الفراعنة، ص 413

Moustafa, Op. Cit, P 95

303 - Olmstead, Hist, of the Pres, Emp., PP. 89-491

ويقترح "ماسيرو" ويتفق معه "سفيرون" و"سبالنجر" ان "خباباش" من أصل ليبي مثله في ذلك مثل القائد "ايناروس" الذي أعلن نفسه ملكا على مصر فيما بعد، ويحدد "سبالنجر" انه من قبائل "الماشواش" نظرا لان اسمه ينتهي بالمقطع "شا" على غرار الأسماء الليبية، كما تتوسط اسمه "باء" مشددة كغيرها من أسماء الماشواش.³¹⁰ ويذكر سليم حسن نقلا عن رواية قديمة، ان المصريين أنفسهم لم يقوموا بتلك الثورة وإنما هم الليبيون الذين كانوا يقطنون غربي الدلتا، فقد انتزعوا الوجه القبلي من الفرس ثم زحفوا شمالا إلى العاصمة منف ولكنها قاومتهم حتى وصلت النجدة الفارسية عن طريق وادي الحمامات الذي كان يمثل الجسر البري الذي يربط بين عاصمة الملك الفارسية وبين مصر.³¹¹ وعلى ذلك يرى الدارس ان يكون "خباباش" أميرا ليبييا يحكم إقليما في النوبة السفلى أعلن نفسه مستولا عن مصالح "نختنبو" الثاني، وبموت هذا الأخير أعلن "خباباش" نفسه فرعوناً لمصر بع حوالي سبع سنوات من مقاومة الفرس، أي حوالي عام 338 ق.م.

معنى ذلك ان "خباباش" لم يكن هو قائد الثورة في تلك المرحلة، ولكنه في نفس الوقت يؤكد ان أميراً من أصل ليبي قاد ثورة مصرية ض الفرس، مما وجهه نظر الدارس في وجود الترابط والتلاحم بين الشعب المصري والشعب الليبي ض الاحتلال الأجنبي.

من هنا يمكن القول ان قائد هذه الثورة غير معروف حتى الآن، ان الثابت يقينا هو قيام الثورة المصرية في ذلك الوقت والتي

لقب فرعون³⁰⁷ وان ذهب البعض انه مصري معتمدين في ذلك على الآثار التي حوت نصوصها اسم "خباباش"،³⁰⁸ إلا ان هذا الرأي يمكن تنفيذه حيث انه من أهم الآثار التي اعتمد عليها هذا الرأي هي لوحة الوايي، والحقيقة ان هذا المصدر يجوي الشيء الكثير إلي يوضح أصل "خباباش" غير المصري، فمنذ البداية فان اسمه غريب، وكيف يكون مصرية وهو يجهل العادات التي كانت تمارس في لنا مصر خاصة في معبد "بوتو"؟ كما انه لم يعرف مداخل مصر الشمالية واخذ يسأل الموظفين عن ذلك، كما انه كان يجهل ما فعله الملك الفارسي بمعبد بوتو، وما فعله إلهة "ب" و"دب" ضد هذا العدو، كما يتضح من نفس المصدر ان خباباش لم يكن معروفا في مدينة "نيت" (سايس)، علاوة على كل ما تقدم يمكن القول ان نص لوحة الوايي كان يتعلق أساسا بالأفضال الدينية والانجازات العسكرية لـ "بطليموس" الأول في بداية عهده كوال على مصر كي يصفى الأهمية على منصبه في حكم "بوتو" ارض الربة "واجه" التي خصصها "خباباش" الإلهة تلك المدينة.³⁰⁹

إذن كانت رحلة "بطليموس" لمدينة "بوتو" جزءا من دهائه السياسي، وسياسته الدينية ولم تكن أبدا لإحياء ذكرى "خباباش"، وذكر هذا الفرعون كان فقط لرغبة "بطليموس" في تجديد أوقاف معبد "بوتو" وتأكيدها، والحقيقة انها كانت وسيلة البطالمة الوحيدة لتأكيد سيادتهم على هذه البلاد في المراحل الأولى من حكمهم.

307- جاردنر: مصر الفرعنة، ص 13.

308 - محمود زميتير: مصر بين الفرس والإغريق، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1989، ص 10.

309- Ritner, Op. Cit, P. 135.

310 - Kietz, Op, Cit, P 188.

Spalinyer, Op. Cit, P. 12.

311- سليم حسن: مصر القديمة، جـ 13، القاهرة، 1959، ص 101.

اندلعت في جميع الأقاليم المصرية، وحين بلغت الثورة ذروتها لم تستطع الحاميات الفارسية الصمود أمامها، وعندما علم "دارا" الأول بذلك، وكان قد أوشك على الانتهاء من تجهيز جيوشه استعدادا لغزو بلا الإغريق وتوجيه ضربة انتقامية لهزيمة "ماراثون"، حتى صمم على سحق المصريين واليونانيين معا إلا انه مات قبل ان يحقق ما انتواه، وكان "أكزر كسيس" ابنه وخليفته هو الذي تمكن من القضاء على الثورة واستعاد السيطرة الفارسية على مصر مرة أخرى وعين أخاه "أخمينس" واليا على مصر وكان ذلك حوالي 84 ق.م، وقد ألغى هذا الوالي ضياع معابد المدن النائرة ونهب منها ما كان قد غفل عنه "قمبيز" من قبل، كما أعيد العمل في محاجر وادي الحمامات حيث كانت بعثات قطع الأحجار تقوم من منف إلى تلك الحجر ثم تنقل الأحجار إلى فارس عن طريق البحر الأحمر لاستخدامها في تشييد المباني المهمة هناك.³¹²

على أية حال ظلت قبضة الفرس قوية على مصر طيلة أيام حكم "أكزر كسيس" الذي مات حوالي 465 ق.م وخلفه ابنه "ارتكزر كسيس" الثاني.

2- ثورة "ايناروس" وأمير تايوس حوالي 460 ق.م:

كانت الحروب التي أخذت تتصاعد بين الإغريق والفرس سببا في الكساد الاقتصادي والتجاري الذي أصاب موانئ مصر وأسواقها الخارجية في الوقت نفسه كان على مصر بسبب تبعيتها للفرس ان تقدم رجالها وعتادها للجيش الفارسي، وبسبب الهزائم المتوالية على جيوش الفرس في عهد "أكزر كسيس" والتي كان

312- سليم حسن: مصر القديمة، ج 13، ص 110

آخرها معركة سلاميس، اغتيل هذا الملك على يد قائد حرسه "ارتابانوس" عام 465 ق.م. مما شجع على اندلاع الفتن والثورات في أنحاء الولايات الفارسية ومنها مصر، وكانت الثورة المصرية فرصة سانحة للإغريق يزعمون بها الفرس.

كان قائد الثورة في هذه المرحلة هو "ارت ان حرارو" الذي يعتقد انه كان ابنا لـ "بسماتيك" الثالث آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرون، وكان أميرا على ساكني الأقاليم الغربية شمال الدلتا والذين كانوا يتركون حول حصن "ماري" (مريوط) وضواحي الإسكندرية فيما بعد، وتختلط أصولهم بالدماء الليبية، وربما تفسير هذا تسمية هيردوت له بملك الليبيين.³¹³

أخذ هذا الزعيم يجمع حوله القوى الوطنية المعثرة في الدلتا، وعندما أخذت نيران الثورة تمتد إلى كل مكان انضم إليه أمير آخر كان يدعى لمن أردى سو (أمير تايوس) والذي لا يستبعد انه كان هو الآخر من نسل ملوك سايس وقد حث أول صدام بالفرس عن "بابريمس" وهو مكان لم يمكن تحديده تماما ويقع ناحية الغرب على أية حال، وقد هزمت القوة التي تحركت تحت إمرة الوالي "أخمينس" الذي قتل في المعركة،³¹⁴ وبذلك استطاع "ايناروس" و"أمير تايوس" ان يبسطا نفوذهما على كافة مناطق الدلتا، مما دفع جند الحامية الفارسية إلى الهرب تجاه منف، ولم يتعقبهم "ايناروس" في البداية وترث حتى يؤمن ظهره خوفا من أي مفاجآت فارسية، وتدعيما لموقفه اتجه إلى عقد المحادثات مع "بير كلينز" حاكم أثينا و"اركسيلاوس" الرابع

313 - Herodotus, III, 15 ; VII 7.

Himstead, Hist, of the Pers Emp, P. 303.

فاندييه : مصر، ص 657، جرمال: تاريخ مصر القديمة، ص 78

314- جاردنر: مصر الفرعونية، ص 403

ملك برقة.³¹⁵

وحاصر الثوار مدينة منف، واجبر الفرس على ترك جزء من العاصمة للمحاصرين، لكنهم أقاموا المتاريس في جزء محصن من المدينة، وقاوموا هجمات الجيوش المصرية والإغريقية، ولم يثار الفرس لأنفسهم إلا بعد ثمانية عشر شهرا، فاضطر الإغريق إلى اللجوء إلى جزيرة "بروسو بيتيس" فاحرق الفرس سفنهم واستطاع قلة من الإغريق ان يهربوا إلى بلادهم مجتازين الأراضي الليبية، أما "ايناروس" فقد اسر واخذ إلى سوسا حيث أمر الملك الفارسي بإعدامه.³¹⁶

كانت هذه المرحلة تمثل تطورا للثورة وتصعيدا لها خارج النطاق الإقليمي للمرة الأولى.³¹⁷ والحقيقة انه لم تكن هذه هي المرة الأولى التي استعان فيها المصريون بالإغريق ضد الاحتلال الأجنبي، حيث استعان بهم "بسماتيك" الأول ضد الآشوريين، وتحالف معهم "أحمس" الثاني (امازيس)، ولا ننسى ان هزيمة الفرس في ماراثون أمام الإغريق كانت من أهم عوامل قيام الثورة المصرية الأولى ضد الفرس، ويمكن القول أيضا ان مساعدة الإغريق لمصر ضد الفرس، لم تكن من اجل استقلال مصر في حد ذاته، ولكن كان وراء ذلك أسباب سياسية واقتصادية أيضا فنحن نعلم عن الصراع المستمر بين الفرس والإغريق ومحاربة كل منهما القضاء على الآخر فكانت الثورات المصرية فرصة للإغريق لضرب الفرس وإنزال الهزائم بهم، كما ان

315 - Mallet, D., « Les Rapports des Grecs avec L'Égypte de la Conquête de Cambyse à celle d'Alexandre », Mémoires, 48, 1929, PP. 77. f

316- Mallet, Op. Cit, P. 33; Olmstead, Op. Cit. P. 308

Hill, G.F., Sources of Greek History 525-31 B.C. Oxford 1962. No. 132-142.

317- Mallet, Op. Cit.; P.77.

المصالح الاقتصادية كانت المحك الأول الذي دفع الإغريق إلى مساندة الثورات المصرية، حيث كانوا يطمعون في إنشاء محطات تجارية لهم على الشواطئ المصرية، بالإضافة إلى الحصول على الغلال المصرية، فاستعانة المصريين بالإغريق كانت أمرا طبيعيا معرفتهم بان هؤلاء الإغريق هم ألد أعداء للفرس.

أما مسألة تحالف "ايناروس" مع "اركسيلاوس" الرابع ملك برقة، فان من يعتقدون بوجود هذا التحالف يعتمدون على حجتين، الأولى تتمثل في مقطع من مقاطع البوثية الرابعة للشاعر "بنداروس" حيث يذكر ان الساحرة ميديا أبلغت "ايوفيموس" بان احد أحفاده سيتلقى نبوءة من أبوللو تأمره باصطحاب العديد من الرفاق في مركب يبصر به نحو معبد آمون في بلاد النيل، ويعتقد أصحاب هذا الرأي بان في ذلك دلالة على حملة قورينة قد توجهت إلى مصر، أما الحجة الثانية فهي، ان ما بقي من الجنود الإغريق بعد هزيمتهم أمام الفرس رجعوا إلى بلادهم عن طريق برقة.³¹⁸

إلا ان الحجتين لا تكفيان للتدليل على ان "اركسيلاوس" الرابع قد تحالف مع حركة "ايناروس"، حيث ان "بنداروس" كان يقصد من المقطع المذكور، تأسيس مدينة قوريني ولكن يبدو ان ذكر بلا النيل هو ما أثار هذا الجدل، إلا انه يمكن القول ان المفاهيم الجغرافية أيام بنداروس كانت ما تزال غامضة وغير محددة، وكان بنداروس يرى في قورينائية قبل كل شيء بلدا يعبد فيه الإله آمون الذي يقوم معبده في واحة "سيوة" الواقعة عند النخوم الفاصلة بين مصر وهذا الإقليم.

318- محمود زمير: المرجع السابق، ص 107

Mallet, Op. Cit., PP. 77 ff

والذي كان يهد عرشه.³¹⁹

إذن لم تلعب قوريني بالنسبة لتلك الحملة الإغريقية ضد القوات الفارسية في مصر سوى دور المستضيف المغيث لشراذم الجيش الإغريقي المتقهقر من مصر وتسهيل أمر عودته إلى بلاده، وإذا كان موقع قوريني الجغرافي قد هيا لها ان تقوم بهذا الدور إلا انه لا يعني انها ق أسهمت بالفعل في تلك الحرب.

وكان لهذا التمرد المصري ضد الفرس نتائج لا يستهان بها بالنسبة لقوريني وليبيا عموما، حيث ان النصر الذي أحرزته القوات الفارسية في "بروسوبيتيس" وان كان قد مكن الفرس من استرجاع سيطرتهم على معظم الأراضي المصرية إلا انه لم يضع نهاية للمقاومة المصرية ضدهم ولذا لم يكن في وسع حاكم مصر الفارسي التفكير في إرسال حملات ضد ليبيا على شاكلة الحملتين اللتين أرسلهما كل من "اريانس" و"ارسابيس" من مصر ضد ليبيا. وهكذا ظلت ليبيا تحيا في أمان خلف الموانع الصحراوية التي ليس من السهل اجتيازها ولم تعد منذ ذلك الوقت تخشى صولات الجيوش الفارسية في مصر.

وهكذا بعد سنوات من الكفاح خسر المصريين هذه الجولة، ومن ثم عادت مصر ترزح من جديد تحت نير الحكم الفارسي، ورغم ذلك لم تلفظ الثورة المصرية أنفاسها الأخيرة بل تسلم راية الكفاح أمير "سايس" (أمير تايوس) الأول رفيق ايناروس، واستطاع ان يحتفظ باستقلاله بعيدا عن الفرس، ومن جزيرة "البو"³²⁰ الصغيرة التي اتخذها

319 - Robinson, E.S.G., British Museum Catalogue of Greek Coins of Cyrenaica, 1927, P. 28.

320- هي الجزيرة التي أقام فيها الحاكم الأعمى (ربما يكون باك ان رن أف) غريم شباكا، ولم يستطع أي فرد ان يجد هذه الجزيرة قبل أمير تايوس وحجمها

أما فيما يتعلق بعبور الجنود الإغريق للأراضي الليبية واتخاذهم مدينة "قوريني" نقطة يركبون البحر من عندما وهم في طريقهم إلى بلاهم، فانه أمر لا يترتب عليه الافتراض باشتراك اركسيلاوس الرابع بقواته في الحملة المذكورة ضد التواجد الفارسي في مصر، فالواقع انه بعد إحراق الفرس لسفن الحملة الإغريقية لم هناك مفر أمام الجنود الباقين سوى التوجه برا عبر الصحراء إلى اقرب مدينة إغريقية، وكانت بالطبع "قوريني"، ولا شك ان رجوع أولئك الجنود برا كان مغامرة محفوفة بالمخاطر والصعاب، فهم ق اضطروا إلى عبور فيافي صحراء مراقبا (البطنان) التي يقطنها الليبيون المعادون لإغريق قوريني. لذا لا بد وأنهم قد هاجموا شراذم الجنود الإغريق المتقهقرون وعاثوا فيهم تقتيلا، ولعل هذا ما تمناه القائد الفارسي "ميجابيز". وربما أراد أيضا ان يظهر ضعف الإغريق أمام الليبيين فيشجعهم على الثورة كما فعل الإغريق وشجعوا المصريين على الثورة، ومن المحتمل أيضا ان القائد الفارسي أراد ان يرهب ملك قوريني حتى لا يتبادر إلى ذهنه التفكير في شق عصا الطاعة على الفرس، وربما كل هذه الأهداف مجتمعة أرادها القائد الفارسي المنتصر.

وعلى ذلك يمكن القول ان اشتراك اركسيلاوس الرابع في الحملة التي وجهها الإغريق ضد الفرس في مصر لا أساس له من الصحة، بل على العكس من ذلك فانه لا بد وان يكون سياسة الحذر والحياد التي صار عليها الملوك الباطيون باستمرار ق اوحث لاركسيلاوس بعدم إقحام نفسه في هذه المغامرة الحربية التي دارت رحاها على ارض مصر، خاصة وانه كان مشغولا آتند بتعقيدات ومصاعب الموقف الداخلي وعدم الاستقرار السياسي في قوريني

قاعدة له استطاع ان يقحم بقواه أراضي مستنقعات الدلتا في الركن الغربي وظل هناك يجري استعداداته حتى عام حتى عام 449 ق.م على الأقل.³²¹ وقد استدعى بدوره الإغريق من جديد لمعاونته وتحركت ستون سفينة من سفنهم فعلا غير ان موت القائد الأثيني "سيمون" في قبرص كان سببا في عودة هذه النجدة ثم سرعان ما أعلنت الهنة بين الفرس واليونان بعد معاهدة "كالياس" حوالي 448-449 ق.م.³²²

وتناست أثينا حليفها مصر، وبدأت فراس من جانبها تجرب سياسة المصالحة مع المصريين فاستدعت قائدها "ميجابيز" وعينت مصريين كولاة وحكام على الأقاليم المختلفة، ثم عينت "تاميراس" و"بوزيريس" ابني قاندي الثورة وقلدهما المنصبين اللذين كانا يشغلهما والدمها على رأس الحكومة في إقليمهما، وقد سجل "هيردوت" ذلك

عشرة استاد في جميع الجهات وليس بعيد ان تكون هذه الجزيرة (البو) في منطقة بحيرة المنزلة.

هيردوت 2: 140 وأيضاً حاشية رقم (2).

321- سليم حسن: مصر القيمة، ج 12، ص 123.

322- سميت معاهدة كالياس بهذا الاسم نسبة إلى السياسي الأثيني الكبير كالياس، وقد عقدها ملك الفرس مع أهل أثينا بعد تصاعدا الأخطار من الاضطرابات بلاده الداخلية وتهديد الأسطول الأثيني وخوفا من تصاعد الثورة المصرية بمساعدة الأثينيين حتى انه كان من أهم بنو هذه المعاهدة، إقرار أثينا بالتخلي عن الوقوف إلى جانب مصر وتعهدا بعدم إمدادها بأي نوع من المساعدة على أي وجه من الوجوه، وبمقتضى هذه المعاهدة انسحبت القوات الأثينية من قبرص وشرق البحر المتوسط وأدى ذلك بالطبع إلى إضعاف الثورة المصرية وإجهادها وان ظلت باقية لم تنطفئ جذوتها.

Bury, J.B., History of Greece to the Death of Alexander the Great 3rd . ed., London, 1951, P. 360.

Olmstead, Op. Cit., P. 309.

Herodotus, V., 42..

قائلا: "من عادات الفرس ان يحترموا ابنك الملوك وان يروا إليهم ملكهم أيضا الذي خسره آباؤهم بالثورات وهناك شواهد كثيرة تؤكد تلك العادة ولكنى اكتفى بما جرى لتاميراس ابن ايناروس ملك ليبيا الذي ردوا إليه الملك الذي كان لأبيه وبوزيريس ابن أمير تايوس الذي أعيد إليه ملك أبيه مع انه لم يكن هناك ملك قد أساء إلى الفرس أكثر من ايناروس وأمير تايوس.³²³

وعلى ذلك توقفت الثورة إلى حين وساد البلاد فيما عدا غرب الدلتا سلام من نوع غريب ماع فيه الموقف بين فارس والثوار وفتحت البلاد أبوابها للأجانب وقام هيردوت في تلك الوقت (حوالي 450 ق.م) بجولة في مصر وأشاد بمجدها مع ان هذا المجد لم يكن غير ظل باهت لأعجاز قديمة.

3- الثورة الكبرى والاستقلال 410-404 ق.م:

منذ قيام الحرب البيلوبونيسية بين أثينا واسبرطة 341 ق.م بعد ان هادنت كل منهما دولة الفرس، فقدت مصر أمل التعاون العسكري من قبل الإغريق إليها ض الفرس وانتظر قائدها الفرصة المناسبة لتصعيد ثورتهم ض الاحتلال الأجنبي.

في هذه الأثناء اغتيل «ارتكزر كسيس» وخلفه على عرش فارس «دارا» الثاني في عام 423 ق.م.³²⁴ وفي عهد هذا الملك انتشرت الدسائس والفتن الداخلية ولكنه استطاع ان يقضي عليها مرة بالدهاء والملاينة ومرة أخرى بالبطش والتنكيل، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع الصمود طويلا أمام الثورة المصرية، لقد كان

323- Herodotus, III, 15

324- حاردنر: مصر الفراعنة، ص 504

قوة بسماتيك هذا واتساع أراضيه مما يرجح ان يكون هو «آمون ارديسو».

من العرض السابق لمراحل الثورة المصرية والتي انتهت بتحقيق الاستقلال. حاول الدارس إبراز الدور الليبي في هذه الثورة استنادا على ملاحظتين الأول اندلاع الثورة المصرية في مراحلها المختلفة من شمال غرب الدلتا وهذا يوحي ان لم يكن يؤكد قيام العناصر الليبية بدور ما وان كانت لا تظهره الحوليات التاريخية إلا ان لسان حال الأحداث يوحي بذلك بالإضافة إلى ان ليبيا (واقصد الجزء الشرقي منها والغربي لمصر) كانت ملاذ الثوار في هذه الفترة، أما الملاحظة الثانية فهي ان قادة هذه الثورة في جميع مراحلها كانوا ينتمون إلى أصول ليبية مثل «أمير تايوس» الأول والثاني.

و من ناحية أخرى يمكن القول ان إغفال المصادر لابرز الدور الليبي في تلك الفترة ربما يرجع (كما سبق ان ذكرنا) إلى ان الليبيين لم يكونوا طرفا مباشرا في هذا الصراع بالإضافة إلى انشغال بعض القبائل الليبية بأموورها الداخلية حيث انه حوالي عام 440 ق.م (وهذا التاريخ يعاصر الثورة المصرية) كانت أسرة باتوس قد انتهى أمرها وخلت منطقة برقة في مرحلة من عدم الاستقرار ويبدو ان القبائل الليبية انتهزت الفرصة فعمدت إلى إثارة المتاعب للمدن اليونانية وفي نفس الوقت تقريبا كانت قوريني نتيجة للصراع الحزبي بين الارستقراطيين والديمقراطيين، قد تعرضت لهجوم تيروس المغامر الاسبرطي، وتحالفت بعض عناصر المدينة مع الليبيين الذين اعدوا كميناً لقواته في منطقة «توخيره» وقتلوا منهم الكثيرين ولكن الليبيين لم يتمكنوا مع أهل قوريني من الصمود أمام هجوم قوى شنه تيروس

سيد الناصري: الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم، ص 365-367

هذا الرجل على خلاف أسلافه خاصة في حكم مصر فلم يكن يؤمن بالتسامح الديني مثلهم، وإنما حاول ان يفرض عقيدة التي تقوم على عبادة النار في شتى إقليم مملكته ولكن مصر لم تنس حضارتها ولم يستطع «دارا» ان يطرد من معتقداتها فكرة الحياة بعد الموت وأخيرا تخرجت الأمور وأصبحت الثورة على الأبواب، وفي حوالي 410 ق.م اندلعت الثورة في مصر ويبدو ان شمالها كان أكثر نشاطا ومثابرة من جنوبها حتى كللت الثورة بالنجاح في تحرير مصر وطر الفرس من البلاد وقيام الأسرة الثامنة والعشرين.³²⁵

أما قائد هذه الثورة فهو «أمير تايوس» (آمون ارديسو) الثاني الذي يرجح انه كان ابن «بوزيريس» ابن «أمير تايوس» الأول أو ربما كان أخاه طبقا لما تشير إليه بعض القرائن حيث يذكر «ديودور» فرار احد قادة المرتزقة الإغريق «ويدعى «تاموس» ولجؤته إلى مصر، فقتله الملك المصري «بسماتيك» وفي ذلك الوقت لم يكن يحكم مصر سوى «آمون ارديسو» الثاني³²⁶ فهل اخطأ «ديودور» في الاسم أم ان «بسماتيك» و«آمون ارديسو» اسمان لشخص واحد؟ لكن إذا عنا إلى الوراء قليلا حتى عام 445 ق.م، نجد ان احد قادة الثورة ويدعى «بسماتيك» قام بشحن كمية ضخمة من الغلال المصرية تفر بثلاثين أو أربعين ألف مكيال³²⁷ إلى أثينا، وبالطبع كانت تارك الشحنة ثمنا لنجدة عسكرية أرسلتها أثينا أو وعدت بها أثناء ثورة الدلتا.³²⁸ ومن الواضح ان ضخامة شحنة الغلال تلك تنبئ عن مدى

325 - Mallet, Op. Cit., PP. 79. f.

326 - Diodorus, XIV, 35.

327 - المكيال يسع 13 لترا أي يساوي 13 كيلو جراما، دريتون: مصر، ص 609.

328 - محمد عبد القادر: إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، القاهرة،

1984، ص 80.

على المدينة.³²⁹

معنى ذلك كما هو واضح انه في الفترة التي حاول فيها المصريون التخلص من الاستعمار الفارسي كان الليبيون يقومون بمثل نفس الدور للتخلص من الاستعمار الإغريقي وهذا في حد ذاته تعاون بين الشعبين حيث ان كلا منهما كان حماية لظهر الآخر.

ومما يشير إلى احتمال التعاون بين المصريين والقبائل الليبية في تلك الفترة ان هذه القبائل كانت مستقلة عن السيادة الفارسية، فمن المعروف ان الفرس كانوا يعتبرون ليبيا جزءا من الولاية الفارسية السادسة التي كانت تشمل طبقا لـ «هيردوت» البلاد التي تعيش فيها القبائل الليبية المجاورة لمصر، كما كانت تشمل قوريني وبرقة.³³⁰ واعتبار ليبيا إقليما ملحقا بمستعمرة الفرس في مصر، جعلهم لا يفرضون رقابة صارمة عليها نظرا لبعدها عنهم، ويبدو انه لم يكن يقيم في ليبيا أي ممثل مباشر لعاهل الفرس وإنما كان يشرف عليها الوالي الفارسي من مقره في منف، وكان هذا الأشراف صوريا وقد هيا هذا الوضع المناخ لقادة الثورة المصرية من ترتيب أمورهم في هدوء بعيدا عن أعين الفرس مما مكنتهم من تحقيق النصر في النهاية، من هذه المرحلة حتى غزو «الإسكندر» الأكبر في عام 332 ق.م نجد ان الهدف الوحيد لسياسة مصر الخارجية هو الدفاع عن استقلالها ضد إمبراطورية ظلت تشبث بفكرة انها ليست سوى إقليم متمرد، وقد كانت هذه السياسة ناجحة فيما عدا عشر سنوات قرب النهاية.

وفي ليبيا استمرت برقة نمبا للصراعات الداخلية حتى تغير الوضع مجيء «الإسكندر» الأكبر حيث بادرت قوريني بالاعتراف
329- مصطفى عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا، بنغازي 1966، ص 61-62.
330- شامو: الإغريق في برقة، ص 318

بالتبعية له عندما سمعت انه قد وصل إلى «بارانيوم» (مرسى مطروح) وهو في طريقه إلى واحة «سيوة»، وبعد وفاة الإسكندر في عام 323 ق.م أصبح «بطليموس بن لاجوس» واليا على مصر ومالبت ان انتهز فرصة الصراع الداخلي في قوريني حتى أقدم على احتلالها في عام 322 ق.م.³³¹

(ب) الأصول الليبية لأسرات العصر المتأخر:

(24، 26، 28، - 30):

ان دراسة أصول أسرت العصر المتأخر تعد من القضايا التاريخية الشائكة، حيث لا توجد آثار أو نصوص كافية تفصح عن أصول هذه المسألة، رغم ما درج عليه كثير من المؤرخين وعلماء الآثار بإضفاء الأصل الليبي على هذه الأسر، استنادا إلى الأصول الليبية للأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين.

ويرى «مورية» ان «تف نخت» مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين كان حفيدا للملك «وسر كون» الثالث، وانه كان يقيم في هيراقليوبولس مسقط رأسه والتي حاول انتزاعها بعد استيلائه على هليوبولس ومنف واتخاذها سايس عاصمة له.³³²

إلا ان «مورية» لم يذكر المصدر الذي استند إليه ليقرر هذه الصلة، ويبدو انه التبس عليه الأمر فيما يتعلق بالموطن الأول ومسقط رأس «تف نخت» والتي يرى انها «هيراقليوبولس» متأثرا في ذلك

331- إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالة، ج 1، ج 2، القاهرة،

سنة 1960، ص 56

332 - Moret, A., Histories Ancienne, Histoires de L'orient ; Tome II, Paris, 1936. P. 672 Note 20.

بالرأي الذي يوحده «تف نخت» بقائد هذه المدينة المدعو «سمتاوى تاف نخت»، حيث ذهب بعض المؤرخين إلى ان الملك الكوشي «بي» عهد إلى «تاف نخت» بمركز قائد قوات «نن-نسو» معتمين في ذلك على إشارة نقوش الكتل الحجرية الموجودة بمعهد «موت» بالكرنك» والتي تصور رحلة نيلية وصلت إلى طيبة حيث سجلت على جانب إحدى سفنها سفينة سايس العظيمة، وعلى سفينة أخرى سفينة «بي»، ووجود شخصية على مقدمة هذه السفينة مثلت ويعلوها نقش يقول «... الأمير الوراثي، الأمير قائد ميناء نن-نسو العظيم سما تاوى تاياف نخت...»³³³.

إلا ان هناك من يرى ان «سمتاوى تف نخت» هو نفس الشخصية التي عاصرت «بسماتيك» الأول، وقد عينه هذا الأخير في منصب (قائد ميناء نن-نسو العظيم) وكلفه بقيادة رحلة ابنته «نيتو كريس» إلى طيبة لتصبح عابدة إلهية، وان هذا النقش يطابق ذلك الذي جاء على لوحة «نيتو كريس» المكرسة لتلك المناسبة.³³⁴

ومن الألقاب التي حملها «تف نخت» مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين، لقب «الرئيس العظيم للماشواش، وهو اللقب الذي حمله «شاشانق» الأول ليفصح عن انتمائه لهؤلاء الماشواش بشكل أساسي، كما حمل «تف نخت» أيضا لقب «الرئيس العظيم لأرض الربو» (الليبو).³³⁵

333 - Besson, M., and Gauriy, the Temple of Mut in Asher, 1899, P. 370.

Gauthier, H, L.D.R., III, P. 409 Note 1. P.M. II, PP. 257-258.

برستد: تاريخ مصر من أقدم المصور، ص 368

334 - Kitchen, K.A., The Thired Intermediate, PP. 236-239.

335 - Yoyotte, J., "Les principautes du Delta an temps de

ويرى «كتشن» ان هذا اللقب الأخير كان لقباً ادعائياً من جانب «تف نخت» والذي كان يساير طبيعة الصراع مع قبائل الليبو المستقرة على النجوم الغربية للدلتا، والذين كانوا يحملون أيضا لقب الرئيس العظيم للماشواش.³³⁶

معنى ذلك في الحقيقة انه دار جدل بين الباحثين حول تحديد اسم القبيلة التي تنتمي إليها الأسرة الرابعة والعشرين وسواء كان اسم القبيلة الليبو أو الماشواش، فالذي يعنينا هنا، هو انتماء جذور هذه الأسرة للأراضي الليبية.

وإذا كنا نعلم ان الأسرة الخامسة والعشرين كوشية الأصل، فهل هناك علاقة بين الأسرة الرابعة والعشرين والأسرة السادسة والعشرين؟

الحقيقة ان هناك من يرى وجود علاقة وطيدة بين الأسرتين، وكان «نافيل» أول من نادى بهذا الرأي عندما قدم قراءة جديدة لخرطوش «تف نخت» التي سجل فيها اسم العرش «شيسس رع» وخرج من وراء ذلك بان «تف نخت» هو أصل الأسرتين الصاويتين.³³⁷

وتبعه بعد ذلك كل من «بتري» و«جوتيبه» حيث ركز الأول عند تناوله لدراسة الأسرة الرابعة والعشرين ان يؤخرها حين الانتهاء من دراسة الأسرة الخامسة والعشرين أولاً، ثم يقوم بدراسة الأسرتين الصاويتين بشكل متصل، وقد ركز بتري في هذه الدراسة

L'Anarchie Libyenne", M.I.F.A.O., 66; 1961, P. 153-154.

336 -Kitchen, Op. Cit., P. 362.

337 - Naville, E., "Additions et correction aux Trois inscriptions de La reine Hatshepsou", R.T., 19, 1897, P. 215, Notes 1

على التسلسل الزمني المتصل بين ملوك الأسرة الرابعة والعشرين حتى وصل إلى «بسماتيك» الأول وبدأ به الأسرة السادسة والعشرين.³³⁸

وسار في هذا الاتجاه أيضا صالح، اعتبر الأمراء الثلاثة طليعة الأسرة السادسة والعشرين في قائمة «مانيتون» أمراء للأسرة الرابعة والعشرين.³³⁹

ويعتمد هؤلاء جميعا ان الأسرة الرابعة والعشرين تتكون من «تف نخت» و«باك ان رن أف» و«ستيفنيتس» (تف نخت) الثاني و«نخبسوس» (نخاوبا) و«نخاو» الأول، ويؤيد ذلك أيضا وجود علاقة قوية بين «نخاوبا» و«باك ان رن أف» (بوخوريس) حيث ان الأول ابن الثاني، ويرجح ذلك ان «نخاوبا» أشير إليه في موضعين، الأول في آخر قائمة الرعامسة ثم ذلك وضع في مكانه الصحيح،³⁴⁰ حوالي نهاية الأسرة التاسعة عشرة في فقرة لـ «يوسيبوس».³⁴¹

معنى ذلك ان «باك ان رن أف» سبق «نخاوبا» حتى في الوضع الخاطئ مما يبين ارتباط هذين الملكين ووجود أمير صا «نخاوبا» ابن «باك ان رن أف» بلا ريب.³⁴²

وعلى ذلك يميل الباحث إلى ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون

338 - Petrie, W.F., A History of Egypt, III, London, 1905, PP. 313-324

Gauthier, H., L.R., III, PP. 407-416.

339- عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص 290-300.

340- Helck, W., Untersuchungen zu Manthoun den agyptischen Konigslisten, Berlin, 1956, P. 148.

341 - Moret, A., De Bocchort Rege, Paris, 1903, P. 33.

342- دريوتون-فاندييه: مصر، ص 627

من ان الأسرة السادسة والعشرين ليست إلا امتدادا طبيعيا وتاريخيا للأسرة الرابعة والعشرين بحكم صلة القرابة ونفس العاصمة التي حكمت منها الأستراتان الصاويتان وهي سايس.

وإذا كنا قد رجحنا الأصول الليبية للأسرة الرابعة والعشرين، فمعنى ذلك ان الأسرة السادسة والعشرين بدورها تنتمي لجذور ليبية.

سبق ان ذكرنا في الفصل السابق دور الليبيين في تحرير مصر من الاستعمار الفارسي، وخلصنا إلى ان معظم قادة الثورة في مراحلها المختلفة يرجعون لأصول ليبية، من ذلك ان قائد الثورة في مرحلتها الثالثة يدعى «ارتن جرارو» وقد اشتهر هيردوت «ايناروس»، وهذا الرجل كما يرى «جرمال» كان ينحدر من الأسرة الملكية الليبية وهو ابن بسماتيك الثالث، وانه كان ملكا على ساكني الأقاليم الغربية شمال الدلتا الذين كانوا يتركزون حول حصن «ماري» (مريوط) وضواحي الإسكندرية فيما بعد، وتختلط أصولهم بالداء الليبية، وهذا ربما تسمية هيردوت لهذا الزعيم بملك الليبيين.³⁴³

ثم ذكرنا في الفصل السابق أيضا ان «أمير تايوس» الثاني (آمون ارديسو) الثاني، هو حفيد «أمير تايوس» الأول بمعنى انه يعو بجذوره للأسرة الصاوية السادسة والعشرين وأيد ذلك قصة «ديودور» التي خرجنا منها بان محور مصر أثناء ثورته كان يدعى «بسماتيك» قبل ان ينجح في تحريرها، ومن ثم قام بتأسيس أسرة فرعونية جديدة هي الأسرة الثامنة والعشرين ثم اتخذ لقبه الفرعوني

343- Olmslead, A.T., History of the Persin Empire, P. 303.

هيردوت 3: 15.

«آمون ارديسو» الثاني. 344

بعد ذلك تعاقبت على عرش مصر أسرتان هما الأسرة التاسعة والعشرين والأسرة الثلاثون وإذا عنا للوراء قليلا نجأخن مصر قد فقدت وحدتها السياسية خلال عصر الانتقال الثالث وانقسمت إلى إمارات صغيرة مستقلة يحكمها أمراء لبيون يعرف الواحد منهم باسم زعيم الـ«ما» أي زعيم المشواش، وكان من بين هذه الأقاليم «منس» مسقط رأس مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين، و«سينتيوس» (سمنود) التي أسس حاكمها الأسرة الثلاثين، ظل أمراء الـ«ما» يحكمون إماراتهم أما مستقلين وأما خاضعين لأمير منهم أصبح لقوته ملكا بع وصوله لعرش مصر، وهكذا إذا سنحت الفرصة لأي منهم لا يتردد في محاولة الوصول للحكم، وهذا ما فعله أمراء الـ«ما» في «مندس» و«سنتيوس» والحقيقة لا يعرف الكثير عن ارتقاء «نفرتيس» الأول خلفا لأمير «تايوس» عندما تولى السلطة في خريف 399 ق.م، كما نجهل المناصب التي شغلها من قبل وربما كان من القادة العسكريين، وكون «مندس» مسقط رأسه يعتبر ان أجداده من اللبيين.³⁴⁵ وربما جرت مراسيم تتوجه في منف أو سايس لأسباب سياسية محضة كما حدث بالنسبة لـ«نخت نب ف» الأول في زمن لاحق.³⁴⁶ وقد اعتلى هذا الأخير عرش مصر تأييد الكهنة خاصة كهنة «سايس» الذين كان لهم نفوذ قوى وعملوا على تدعيم ملكه، مقابل ان يجزل لهم العطاء، فأحال ضريبة العشر المفروضة على منتجات وصادرات وواردات نقراطيس إلى معبد الإلهة «نت» بـ

344- جرمال: تاريخ مصر القديمة، ص 478-79.

345- جرمال: تاريخ مصر القديمة، ص 479-80.

346 - Traunecker, C. « Essdal sur L'histoire de La xxixe dynastie B.I.F.A.O., 79 P. 20.

«سايس». 347

من كل ما تقدم يمكن القول ان أسرات العصر المتأخر يجري في عروقها الماء اللببية.



347- صبري طه: سمنود دراسة تاريخية أثرية - في العصور الفرعونية والعصر البطلمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأدب بينها جامعة الرقازيق، 1992، ص 35-39.

الفصل الخامس

التأثيرات الحضارية المتبادلة

بين مصر وليبيا

أولاً: الحياة الفكرية

(أ) المعتقدات الدينية

1. الإلهة

2. المقبرة

3. الشواهد وموائد القرابين

(ب) الفنون

ثانياً: الحياة الاجتماعية

(أ) المعتقدات الدينية

1- الإلهة

لقد شغلت مسألة الأصل الليبي لعدد من الإلهة مصر القديمة بالباحثين طويلا، ودار حولها جدل كبير ما بين مؤيد ومعارض في بعض التفصيلات، وعلّة ذلك تكمن في ان تكوين وادي النيل السكاني يعود في بعضه إلى المهاجرين الليبيين بعد جفاف الصحراء وعلى أساس ذلك يتحدث «ونرايت» عن مجموعة من أقدم معبودات مصر وأشهرها، ليس باعتبارها معبودات نهرية نيلية، بل باعتبارها أربابا جاءت أصلا من الصحراء مع الإنسان الصحراوي الذي اضطر تدريجيا إلى اللجوء لصفاف النيل الذي تحدت معاملة شينا فشيئا في الوقت الذي بدأت الصحراء تجف مع تغير المناخ، ولما كانت نشأة هذه المعبودات الأولى مرتبطة بالمطر الذي ياي من السماء فهي إذن إلهة سماوية أصلا غير نهرية، والى جانب السماء كانت هناك التلال غربي وادي النيل التي جاء منها الإله «حا» وكذلك المعبود «أش» وقد دامت هذه الإلهة السماوية حتى نهاية التاريخ القديم، ومن اعتقها وأهمها المعبودان «ست» و«من» وهما اللذان تعيدنا نماذجهما الأولية إلى أقدم عصر يمكننا عنه ان نرى أية تفصيلات عن نمط حياة السكان البدائية، ومن مظاهر عبادة «ست» في شكل خنزير أو فرس نهر في حضاري «مرمة» و«المعادي» من عصر ما قبل الأسرات، من هنا نجد أصول رب العاصفة «ست» معرفة عندما نرى اعتق بصيص من الحياة في الصحراء التي تحد مستنقع النيل، أما المعبود السماوي الآخر رب الخصب «من» فان وضعه يشبه وضع «ست» إذ تطورت صورته معبودا كاملا حوالي منتصف الألف الرابع ق.م وتعو عبادة

ويرى «باتس» ضرورة وجود علاقة بين ديانة المصريين وديانة الليبيين اقرب من العلاقة التي وجدت بين ديانة الليبيين والساميين مثلا حيث توجد عناصر متنوعة في الديانة المصرية ذات أصل ليبي.³⁵⁰

كما سبق يرى بعض الباحثين ان بعض إلهة مصر القديمة تعود بجذورها إلى أصول ليبية³⁵¹ حيث ان العلاقة الأولى بين الليبيين والإله «أوزير» يمكن ان نتحسسها في تمثيل هذا المعبود لفكرة الخصب والنماء، فهو الذي اخل الزراعة حتى أصبح رمزا لكل ما ينمو، فعلم قومه الزراعة حين استقروا بمصر وكانوا قبل ذلك رحلا، لذا نراه يمثل ووجهه ويداه باللون الأخضر، فليس عجيبا إذن ان نرى «أوزير» يوصف بأنه «صانع الحبوب» فهو اله الحبوب الذي اوجد الشعير والشوفان والقمح والذرة.³⁵²

ويضرب «باتس» أمثلة عديدة على ان روح الحبوب كانت تسمى العجوز في كثير من المجتمعات البدائية، وهو يؤمن بان «أوزير» نشأ اسمه من اللغة الليبية القديمة باعتباره إله ليبيا في الأصل، ويشير إلى الجذر «وس ر» في لهجة الشمال الإفريقي والتي تعني القديم أو العتيق أو العجوز وهذه الصفة قبل غيرها تربطه بالغرب وتصله بالليبيين أصلا ونشأة، إذ من المعروف ان الإنسان ق استقر على ضفاف النيل بعد ان كان قد تحول من طور الصيد والرعي إلى طور الزراعة في مناطق الصحراء، والتي كانت بحكم تعرضها لتساقط

350 - Bates, O., The Eastern Libyans, P. 207.

351 - Griffith, J.G., The Origins of Osiris and His Cuht, Brill, Leiden, 1980, PP. 88-89.

352- نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج 4، الحضارة المصرية، ص 178.

إلى فجر التاريخ المصري (مرمده والفيوم تقعان في الجانب المغربي من مصر على تخوم الصحراء)، والمعروف انه في عصر الأسرة الثانية والعشرين كان الإله ست معبودا بالغ الأهمية في واحات الصحراء الغربية، من هنا نرى «وينرايت» يقول: ان دين السماء في مصر ليس بالغ القدم فحسب بل نراه مرتبطا ارتباطا خاصا بالغرب بليبيا، بالصحراء.³⁴⁸

ويتبع «وينرايت» بكثير من التفصيل وعدد وافر من المراجع الأثرية جعله الشعائر المتبعة عند قدماء المصريين وطقوس القرابين والاحتفالات الدينية وثياب الفراعين والكهنة ويرجعها كلها إلى الصحراء قبل ان تتحول إلى ارض جرداء ويضطر أهلها إلى النزوح لمصادر الماء، إلى النيل، معنى ذلك ان بعضا من المصريين جاءوا أساسا مما يعرف اليوم باسم ليبيا أو الصحراء الليبية، حملوا معهم أهنتهم الصحراوية واستوطنوا وادي النيل، ربما كان هذا هو تعليل ما نلاحظه من العلاقة الخاصة بين مصر وليبيا. وهو السبب في أننا ترى بروز هذه الآلهة وسيطرتها كلما ازداد نفوذ الليبيين المهاجرين الجدد مثلما حث في الأسرة الثانية والعشرين وأسرار العصر المتأخر.

وهكذا يقول: «وينرايت» ان ديانة إنزال المطر ديانة عتيقة جدا وواسعة الانتشار في العالم كله، فالخصب يأتي من السماء التي تحصب الأرض بالمطر، ومن المعروف ان عددا كبيرا من إلهة مصر كانت إلهة سماوية يمكن تتبع بعضها أو بعض نماذجها إلى العصور القديمة قبل ان يهبط المصريون إلى وادي النيل.³⁴⁹

348 - Wainwright, G.A., The Sky Religion in Egypt Cambridge, 1938, PP. 9-14.

349- Wainwright, Op. Cit., P. 85

المطر آنذاك (العصر المطير) أكثر ملاءمة لهذا التحول الحضاري في حياته الإنسان الأول³⁵³ ويرجع «بتري» أصل «أوزير» إلى الليبيين حيث يقول: «ان عبادة أوزير الوافدة على مصر من ليبيا قد غيرت كثيرا من الطقوس ومفاهيم المعبودات الأخرى، فتحوّلت هذه حتى في شكلها الحيواني إلى بشر برؤوس حيوانية والتي كانت الأصل قبل ذلك.³⁵⁴

ومن بيم ألقاب هذا الإله العديدة بصفته راعي الأموات لقب «سيد الامنتيت» وامنتيت هو الغرب ويرمز العالم الأموات، والواقع ان أوزير اعتبر اله الغرب وسيد عالم ما بعد الحياة في مصر القديمة، ولارتباط هذا الإله بالغرب علاقة بالليل ووحشة الظلمة ورغبة الإنسان في النوم وهذه حالة مؤقتة تمثل الموت³⁵⁵ ورغم ان رمز الإله أوزير في أيديوس عبارة عن صندوق يفترض انه يحتوي على رأس أوزير محفوظا بهذه المدينة وكان هناك ثعبان وریشان مرتبطة بالصندوق تمثل الإله³⁵⁶ والريشان والأفعى من مميزات الليبيين والأخيرة من معبوداتهم القديمة، نقول رغم هذا كله ليس من السهل اليوم القول بان أوزير هذا معبود ليبي الأصل على التأكيد.

وكما عبد «أوزير» و«حورس» من قبل الليبيين في الأجزاء الشرقية من ليبيا، فقد عبدت كذلك «ايزيس» أم «حورس» وزوجة «أوزير»، وحول عبادة «ايزيس» في ليبيا لا تفيدنا الآثار المصرية كثيرا، وإنما نجد ضالتنا في الأساطير اليونانية وكتابات هيردوت³⁵⁷ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الادنى القديم، ج 4، ص 127-128.

تشرني: الديانة القديمة، ترجمة احمد قدرى، 1987، ص 239

358- سليم حسن: مصر القديمة، ج 1، ص 23.

359- نجيب ميخائيل: المرجع السابق، ص 117

المطر آنذاك (العصر المطير) أكثر ملاءمة لهذا التحول الحضاري في حياته الإنسان الأول³⁵³ ويرجع «بتري» أصل «أوزير» إلى الليبيين حيث يقول: «ان عبادة أوزير الوافدة على مصر من ليبيا قد غيرت كثيرا من الطقوس ومفاهيم المعبودات الأخرى، فتحوّلت هذه حتى في شكلها الحيواني إلى بشر برؤوس حيوانية والتي كانت الأصل قبل ذلك.³⁵⁴

ومن بيم ألقاب هذا الإله العديدة بصفته راعي الأموات لقب «سيد الامنتيت» وامنتيت هو الغرب ويرمز العالم الأموات، والواقع ان أوزير اعتبر اله الغرب وسيد عالم ما بعد الحياة في مصر القديمة، ولارتباط هذا الإله بالغرب علاقة بالليل ووحشة الظلمة ورغبة الإنسان في النوم وهذه حالة مؤقتة تمثل الموت³⁵⁵ ورغم ان رمز الإله أوزير في أيديوس عبارة عن صندوق يفترض انه يحتوي على رأس أوزير محفوظا بهذه المدينة وكان هناك ثعبان وریشان مرتبطة بالصندوق تمثل الإله³⁵⁶ والريشان والأفعى من مميزات الليبيين والأخيرة من معبوداتهم القديمة، نقول رغم هذا كله ليس من السهل اليوم القول بان أوزير هذا معبود ليبي الأصل على التأكيد.

353 - وقارن Bates, Op. Cit, P 89

354- Petrie, W.M.F Naqada and Ballas, London, 1896, P. 59.

Petrie, W.M.F., Religios Life in Ancient Egypt, Boston, 11914.
355 - Borie De Rachewihtz, Imti ei Lusghi dell'Antico Egitto, PP. 17-18.

Bsn , Bonacell, L'afrika Nella Concezione Geografica Deyli Antichi, P. 39.

نقلا عن بازامه: قوريني وبرقة - نشأة المدينتين في التاريخ، بنغازي، 1973م،

ص 217-218.

356- نجيب ميخائيل: مصر والشرق الادنى القديم، ج 4، ص 180

بخنزير كل عام، كما يقال كذلك ان خنزيرا يضحى به لاوزير في نفس اليوم الذي يظن انه قتل فيه، وكان المصريون يكرهون الخنازير ولكن يضحون منها كل عام مرة للقمر «ايزيس» ثم يأكلون لحومها بهذه المناسبة فقط، لان المصريين كانوا يعتبرون الخنزير حيوانا دنسا لا يجوز أكله إلا في هذه المناسبة الدينية وحدها³⁶³ وقد عثر على تمثال من المرمر لهذه المعبودة المصرية الليبية بين حفائر قوريني ارجع عهده إلى زمن البطالمة، وقد استدل العلماء الأثريون من المكان الذي عثر عليه فيه ومن التماثيل الأخرى التي وجدت معه في نفس المكان على ان عبادة ايزيس استمرت تمارس طقوسها من قبل سكان قوريني أو من قبل بعضهم إلى زمن متأخر من العصر البيزنطي، كما عثر في فزان على نقش غائر في صخور احد الأودية على رسم للبقرة التي يعلو رأسها وبين قرنيها قرص الشمس وبنفس الكيفية التي كانت تمثل بها ايزيس على الآثار المصرية، فاستدل من ذلك على ان عبادة ايزيس كانت منتشرة حتى آخر حدود فزان وربما إلى الغرب منها.³⁶⁴

وكانت هناك علاقة بين ايزيس والقمر. وبحسنا هيردوت ان الليبيين كانوا لا يقدمون القرابين لغير الشمس «حور» والقمر «ايزيس»، ويصف لنا طريقة تقديمهم القرابين فيقول أنهم كانوا يبدؤون بقطع جزء من أذن القربان، ثم يرمون بها إلى الخلف من فوق الكتف، وبع ذلك يفصمون رقبتة فصما.³⁶⁵

والإله «ست» هو الآخر من المعبودات التي عبدت في مصر وليبيا، والحقيقة انه لا يمكن تحديد صلة الليبيين بهذا المعبود

والآثار اليونانية التي كشف عنها في قوريني» وصور بائية تم العثور عليها في الصحراء الليبية إلى الغرب من إقليم «برقة» حيث نعرف منها جميعا ان عبادة ايزيس كانت منتشرة بين الليبيين منذ عصور ما قبل التاريخ.

من الثابت ان شخصية ايزيس قد اقتربت بالبقرة وإنما قدست في هذا الحيوان، وانه قس من اجلها، وقد رسمت على الآثار المصرية في هيئة بقرة بقرنين يتوسطهما قرص الشمس، وقد وجدت صورة تمثل البقرة بهذا الوصف في «مايا ديب» بجبال طرابلس، كما مثلت ايزيس أيضا في صورة امرأة واقفة أو جالسة على عرش برأس بقرة، كما مثلت وهي ترضع طفلها «حورس» ويقس فيها وفاء الزوجة وحنان الأمومة.³⁶⁰

وبجدنا «هيردوت» عن عبادة «ايزيس» في ليبيا فيقول: ان الليبيين الذين كانوا غذاؤهم اللحوم وشراهم الألبان، كانوا لا يمسون لحم البقرة لذات السبب الذي من اجله يمتنع تناوله المصريون، ولا يستثنى نساء برقة ولا نساء قوريني من ذلك، بل يصرح أنهم كن يفعلن ذلك تقديسا لايزيس المصرية التي يقمن تنسكا لها أيضا بإحياء الحفلات الخاصة بها³⁶¹ ويعتبر الخنزير الممثل للإله «ست» عدو ايزيس وغريمها، فيذكر هيردوت ان الليبيين كانوا يمتنعون عن تربية هذا الحيوان، ويخص نساء برقة أنهم كن يمتنعن عن تذوق لحمه³⁶² ويذكر «بلوتارخ» ان المصريين كانوا يضحون لـ«ست»

360 - El Mosallamy, Libya Antique, 2, P, 53.

محمد سليمان ايوب: ليبيا في التاريخ، بنغازي، 1968، ص 172.

361- هيردوت : : 186.

362- نفسه.

363- نجيب ميخائيل: المرجع السابق، ص 119.

364- بازامة: المرجع السابق، ص، 223.

365- هيردوت : 188

إلا من النصوص الفرعونية وحدها حتى الآن، فرغم انه أول معبود وطني شاعت عبادته في مصر فانه ارتبط في النصوص دائما بليبيا وإقليم الصحراء والبلاد الأجنبية، وفي اغلب الأحيان كان ست يعتبر إلها للصحراء، وتمت شهرته الصفة وهو في الشرق والغرب والجنوب ليبي، وكان يعرف في العهد النوبي باسم سيد ليبيا كما ظل يعرف بلقب حامي الأراضي الحمراء أي الصحراء، كما عبد في واحة الخارجة وكان احمر اللون احمر العينين، والمصريون يمتنون اللون الأحمر لأنه في نظرهم يعني الشر.³⁶⁶

ويذكر «بتري» ان «ست» ينتمي إلى الليبيين إذ اعتبر ذا شعر احمر وجلد ابيض أي التحنو أو ذوي البشرة النقية، ومن هنا يمكن ان نتصور ان ايزيس وأوزوريس وست ثلاثة أرباب لقبائل مختلفة من الليبيين³⁶⁷ ويؤكد «بتري» رأيه هذا مرة ثانية مضيفا أربابا أخرى إلى القائمة حين يقسم الآلهة إلى أربعة أقسام، على هيئة حيوان، على هيئة بشرية، إلهة كونية «سماوية»، إلهة مجردة، وإلى المجموعة الثانية ينتمي آمون وموت وخوفو ونيت، وكلهم يصورون على هيئة بشرية إلى جانب أوزوريس، وروابط هذه المجموعة كلها تنتمي إلى الغرب «ليبيا» باعتبار أوزوريس ذا صلة بالمعبود الليبي «ددن» كما انه رب النبت واله الغلال، وبالنظر إلى شخصية «خوفو» و«آمون» التنبؤية، فهذه الفكرة جاءت من الغرب، كما ان آمون هو اله الواحات، أما «نيت» قلاريب إلها ربة ليبية³⁶⁸.

366- نجيب ميخائيل : مصر والشرق الاذن القديم، جـ 4 ، ص 117-119.
367 - Mercer, S.A.B The Religion of Ancient Egypt, London, 1949, PP. 49-51.

Petrie, W.F., Religion and Conscience in Ancient Egypt, London, 1898, P. 57.

368 - Ibid, PP 77-78

370- فاندييه: مصر ، ص 155-158.

Habaachi, L, Sais and Its Monument, A.S.A.E., 2*, 1943, P. 370

Note 3.

بينها وبين «نت»، ولعل هذا هو الذي وصم ذلك الاحتفال أيضا بطابع العنف في تمثيل حركات القتال بين الفتيات في احتفالهن بعيد أمهن «نت» الأنثى المحاربة.³⁷¹

ويذكر «مرسير» ان «نت» إلهة ليبية النشأة³⁷² وقد ناقش «باتش» بتفصيل كبير كل ما يتعلق بهذه الربة الليبية الأصل التي غزت مصر منذ أقدم العصور.³⁷³

ويرى بعض المؤرخين ان عبادتها ترجع إلى العهد الذي كانت الأسرة في المجتمع امومية لوقت لهن الحق في ورتة الملك، كما كان للمرأة في الشرائع الدنيوية³⁷⁴ وقد اقترنت «نت» (أي تنسب الأبناء فيها للأمهات) ولعل هذا ما أراده سليم حسن بقوله كانت الإلهات في ذلك بالليبيين طوال فترات التاريخ الفرعوني، وحمل الليبيون رمز هذه المعبودة كوشم على الذراع والسيقان في اغلب رسوماتهم على الآثار المصرية القديمة.³⁷⁵

وقد اتخذ الجرامنت الآلهة «نت» رمزا للحياة، وكنوا عنها بالكف السحرية، فصنعوا لها الشواهد على شكل الكف ولونوها باللون الأحمر رمز الحياة وأشاروا إليها بالشواهد القرنية الشبيهة بقمي الجبل، ومثلت بالقمر الذي كان يهدي المسافرين ليلا

371 - ايوب: جرمه-من تاريخ الحضارة الليبية، ص 186-188

علي فهمي خشيم: إلهة مصر العربية، طرابلس، 1992 ص 274.

Graves, R, The Greek Myths Penguin Books. 1958 P 39.

372 - Mercer, Op. Cit, P196.

373 - Bates, Op. Cit PP. 203-207.

374- سليم حسن: مصر القديمة، جـ 1، ص 190.

375 - El-Mosallamy, Libya Antique, 2, P. 53.

بالصحراء، ورمز لها بالعلامة «عنخ» رمز الحياة،³⁷⁶ والحقيقة ان «نت» قد مثلت على إناء الملك «باك ان رن أف» (بوخريس) من الأسرة الرابعة والعشرين، وهي ممسكة علامة الحياة «عنخ» في يدها اليسرى المرفوعة لأعلى وتتجه إلى ظهر الملك لتمنحه الحياة ولتجدي شبابه وحكمه أمام الآلهة «حور» و«انويس» و«جوتي» «في معبدها بسايس».³⁷⁷

أما الإله «أش» فيقول عنه «مرسير» انه يبدو معبودا ليبيًا، وقد وجد منذ عصر الأسرة الثانية على أختام «خع سخموى» «وبرايت سن» برأس الإله «ست» مما يبين صلة الاثنين بعضهما ببعض، وهو اله الصحراء الغربية، ويسمى غالبا «سيد ليبيًا»، وفي عصر الأسرة السادسة والعشرين صور بثلاثة رؤوس ترمز لربات مصرية ثلاث هي رأس اللبوة والعقاب والصل مع لقب يذل على ذلك هو «أش كثير الوجوه»³⁷⁸ ويذكر «باتس» ان إله ليبيا باسم «أش» ذكر منذ الأسرة الرابعة في نقوش الملك «سا حورع» ويمكن الحكم من الشكل الذي يبدو به هذا المعبود في تلك النقوش انه كان ذا شهرة في ليبيا الشرقية في عصر الدولة القديمة.³⁷⁹

ومن الآلهة التي عبدت في مصر وليبيا الإله «آمون» حيث تل دراسة بعض النقوش مثل رسوم الكباش الليبية التي تحمل فوق

376- أيوب: ليبيا في التاريخ، ص 169.

أيوب: مختصر تاريخ فزان، ص 62.

377 - Stevenson Smith, The Art and Architecture of Anceint Egypt, Maryland U.S.A, 1965. Fig 76.

378 - Mercer, Op. Cit., PP. 188-189.

تشرني: الديانة المصرية القديمة، ص 234.

379 - Bates, Op. Cit., P. 184.

هذا المعبد مكانة خاصة في القرن الخامس ق.م في من الإغريق بما قدمه لهم من النبوءات عن انتصارهم على أعدائهم الفرس، ويسمى الإغريق هذا المعبد بمعبد «زيوس آمون» وقد أُلّف «بنداروس» قصيدة في قدسية «آمون» ليبيا وأرسلها للآمونيين وتبدأ القصيدة بـ «أيا آمون، يا سيد الالوب» وقد وزعت القصيدة على لوحة مثلثة والتي أهداها «بطليموس» إلى معبد الإله في سيوه ومن الملاحظ ان الشاعر أرسل القصيدة إلى معبد سيوه وليس لمعبد زيوس في قوريني، وهذا يوضح ان «بنداروس» قدس آمون ووضعها في نفس مستوى «زيوس» على جبال الالوب، أما قول «تيودروس» القوريني «يا لها آمون» فانه يؤكد ان هذا الإله أصبح المعبود الرئيسي في المنطقة.³⁸²

والحقيقة ان تباغ آمون كانوا من أقوى القبائل الليبية ولذلك انتشرت عبادته في قطاع عريض من الصحراء الغربية كان يمتد من النوبة جنوبا إلى الساحل شمال إفريقي، وبذلك سيطروا على طرق القوافل الذي يسير من «درافور» إلى مختلف الواحات وهذا يعني أنهم لعبوا دورا مهما في نقل التجارة من الجنوب إلى شمال عبر الواحات الغربية عندما تأثرت مصر كمرکز تجاري أثناء الاحتلال الفارسي.³⁸³

ولم تنتشر عبادة الإله آمون بميئته المصرية التي كانت تعتبره لها للإخصاب، بل اكتسب خصائص جديدة، فصار عالما بالغيب يستشيره التجار ورجال القوافل عما يعن لهم من الأمور، وصار هاديا للضالين بالصحراء يرشدهم إلى ينابيع المياه والآبار، وأصبح حاميا

382 - Ghazal, A.H., "New Light on The distinction Between Ammon of Libya and Zeus of Cyrene", Liby Antique 2, 1984, P. 174.

383 - Bates, Op. Cit, PP. 101-102.

رؤوسها رموزا بيساوية الشكل، والتي في بعض الأحيان يوجد أمامها رجل يتميز بوجود خصلة من شعر جانبية في رأسه مما يوحي بإمكانية وجو شبه بين تلك الكباش والكباش المصري في العصر الفرعوني الممثل للإله آمون في العقيدة المصرية القديمة، هذا بالإضافة إلى الرسوم الليبية المشابهة لحد كبير للرسوم الخاصة بالالهين «أوزير» و«بس» مما يدعم وجود اتصال حضاري في الفكر الديني بين مصر وليبيا.³⁸⁰

وقد صار الإله آمون أعظم الآلهة في مصر في عصر الإمبراطورية وتوطيد مركزه بعد انتصاره على الهرطقة الاتونية وأقيم له معبد كبير في واحة سيوه، ومن هذه الواحة انتشرت العقيدة الآمونية بالصحراء خاصة بعد ان تمكن «رمسيس» الثالث من التحكم في الواحات، حتى وصلت عبادة آمون تدريجا إلى إقليم طرابلس، وفي العصر الفينيقي كان اللاله آمون نفوذ لاشك فيه عبادة الإله «بعل آمون»، ولا يعتقد «Legia» أن آمون سيوه يقدم لنا رباطا بيم آمون طيبة وبعل آمون إنما يعتقد ان البربر الليبيين كانوا واقعين تحت التأثير المصري في وقت يسبق قيام هذا الدين في سيوه ولا بد ان عبادة بعل آمون الفينيقي أصبحت متقدمة على عبادة الكباش المحلية والذي يتماثل وآمون المصري.³⁸¹

باستيلاء الفرس على معبد آمون الكبير بالكرنك، أصبح لمعبد آمون في سيوه مركز مرموق بين عباد هذا الإله، وقد اكتسب

380 - رشيد الناضوري : المغرب الكبير - العصور القديمة، الاسكندرية 1966، ص 139.

رشيد الناضوري: التطور التاريخي في الفكر الديني، بيروت، 1969، ص 41-42.

381 - جيهان يزنج: "البربر في إفريقيا الصغرى"، تاريخ إفريقيا العام، ص 441.

Leglay, M., Saturne africain, Histoire, Bibliotheque de L'Ecole Française d'archeologie de Rome, Pars, 19i66, PP. 428-341.

أما اللوحة الأولى «الإلهات الصغيرات» فهي ليست من الحجم الكبير حيث لا تزيد على 37×27 سم ولا يزيد موضوعها على أربع فتيات رشيقات في مقتل العمر، رسمت رؤوسهن على هيئة رأس طائر رأينا فيه شبهها كبيرا بطائر «أبيس»، وقد أرسل شعر الرأس في تسريحات عادية مما كان شائعا عند نساء قدماء المصريين وتنتهي التسريحة بما يشبه الأفعى المنتصبة، أو لعلها خصلة شعر أعدت لتكوين كذلك، وقد رسمن في حالة حركة وكأنهن يقدمن من ناحية شيئا ما في تناسق بيع، واحدة إلى الأمام واثنتان خلفها عن اليمين وعن اليسار والرابعة خلفهن في الوسط وجميعهن يقدمن في خطواتهن اليمنى ويؤخرن اليسرى، أما الأيدي فق رسمت اثنتان الأمامية والتي خلفها من الجانب الأيسر وقد رفعنا الساعد الأيسر بحيث كون الإبط زاوية قائمة تقريبا ثم أرسلنا اليد اليمنى في استقامة ولكن بانفراجة عن الجسد، أما التي في الخلف فقد عكست الوضع فرفعت اليد اليمنى وأرسلت اليسرى دون ان تعدل في الوضع والأبعاد وشذت عنهما التي في الوسط فقد رفعت كلتا يديها بحيث كون عضداها خطأ مستقيما مع الكتفين تقريبا ورفعت ذراعيها إلى أعلى كالأخريات وقد استخدم الرسام أربعة ألوان فخص كل واحدة منهن بلون، الأمامية بلون بني غامق والتي خلفها عن اليمين باللون الأبيض، والتي خلفها على اليسار باللون الأصفر، والأخيرة باللون الأحمر (لم تظهر الألوان نظرا لتصوير اللوحة).

ويعلق «لوت» على هذه اللوحة قائلًا: ان جبارين كانت تنوي ان تحتفظ لنا بمفاجأة ضخمة وبالفعل ابرز «كلود» (احد أفراد فريق البحث) وهو ينظف احد الجدران ظهرت للعيان صورة أربع نساء صغيرات برؤوس الطير أشبه ما تكون بالرسوم التي نشاهدها في

لسكان الواحات من بطش الإمبراطوريات التي تضخمت وأصبحت تمهد الجوامع الصغيرة من الإمارات والممالك بالصحراء الكبرى³⁸⁴ فكان الإله آمون بما له من قوة سحرية يثير الزوابع والرياح ويهلك الجيوش الجرارة كما فعل بجيش «قمبيز» الذي أرسله للاستيلاء على سيوه فهلك في الطريق، يقول هيردوت: ان النسمونيين وهم جيران الجرامنت وبنو عمومتهم كانوا يعظمون الإله آمون ف يستبعد ان تكون عبادة هذا الإله انتقلت إلى الجرامنت من النسمونيين، ما لم يكن الجرامنت أنفسهم من عباده الأول، وان التحليل اللغوي للاسم «جرامنت» يدل على ان جزءا من هذا الاسم يحوي اسم الإله أمان أو آمون.³⁸⁵

من الآلهة التي عبدت في ليبيا أيضا الإله «تخوت»، فقد عثر «هنري لوت» في مدينة جبارين³⁸⁶ على لوحتين، لوحة «الإلهات الصغيرات» ولوحة «القربان»، هما اللوحتان اللتان كونتا لغزا محيرا له حاول تفسيره وقدم في ذلك بعض الآراء، نرى قبل التعرض لها ان نصف اللوحيتين.

384 - Fakihry, A, History of Bagrayn P. 27.
Bates, Op. Cit, PP. 190 ff.

385- ايوب : جرمه، ص 181، ليبيا في التاريخ، ص 169-170.

386- جبارين هي احدى مناطق تاسيلي الغنية بلوحات من عصور ما قبل التاريخ في الصحراء وهي تعني في لغة الطوارق، العمالقة، وجبارين هذه عبارة عن مرتفعات من الصخور الرملية تنهض بشكل عادي من هضبة تاسيلي اثرت فيها عوامل التعرية فتاكت قواعدها مكونة مخابئ وكهوف اعمق مما في أي منطقة أخرى، وقد امتلأت جدران هذه التجاويف بالعديد من الرسوم والنقوش حتى اسمائها، «لوت» جبارين ذلت الخمسة آلاف لوحة.

لوت: لوحات تاسيلي - ترجمة زكي حسن، طرابلس، 1968، ص، 67-7.

الثلاثون الشهر هي أصابع الأيدي الظاهرة، أيام النسئ هي الأيدي المرفوعة وهكذا يرى صاحب هذا الرأي ان مضمون اللوحة يضيف سنا جديدا للتشابه بين اللوحة والمعبود المصري «تحت»³⁸⁸.

أما اللوحة الثانية فهي أكبر حجما وأكثر تعقيدا إذ ان مساحتها 105×58 سم وتحتوي على ستة أشخاص (ثلاثة ذكور وثلاث إناث وقارب وثلثة أكواب رموز احدها على شكل العكازة المعقوفة الرأس والآخرين كأنهما أغصان شجر أو مقدمة جريدة نخل بعسفها وأخيرا بعض الأشكال المركبة من خط أفقي طويل فوقه ما يشبه الكوبين والمسلة والصحن أو قرنين وتحت خطان أفقيان يمتدان ما بين المسلة وآخر الخط وأسفلهما خط عمودي وشكل يشبه الهلال المفتوح إلى أسفل أول الأشخاص (على يسار الرائي) يقف في تعاضم ويبدو انه يمسك بقضيب أو رمح (أطول من؟) لم يبق سوى الجانب الأعلى منه في الرسم، أما يده اليسرى فهي في وضع يوحي بأنه يحمل بها شيئا غير موجود بالرسم أو انه يعتمد عليها في التوكؤ على شيء وفي أعلى الرسم نقطة مستديرة صغيرة لا مغذي واضحا لها، وأمامه ومن الجانب الأيسر له شكل قارب بسيط يلاحظ ان مقدمته ومؤخرته قد انتهيا بانحناءات وزوائد بت وكأنها القاعدة التي تحمل أعلام ورموز المقاطعات وبالفعل فقد رسمت في أسفل القاعدة خطوط أربعة شديدة الميل في المقدمة وخطوط أربعة تحتها خط خامس ناقص الطرفين عنها مائلة هي الأخرى ولكن برجة اقل، حتى لتبدو لتقاربها ودقتها وكان كلا من المجموعتين علم أو راية، بعد القارب صورة لإحدى الإناث غير تامة (تلف نصفها الأسفل وذهبت ألوانه) وأمامها

388- بازامه: تاريخ ليبيا ، ج 1 في عصور ما قبل التاريخ، - 3200

ق.م، بنغازي ، 1973، ص 195 وما بعدها.

بعض المعابد المصرية، كانت أشكالا مصرية صميمة حتى أننا أخذنا نتوقع ان تطالعنا النصوص الهيروغليفية المفسرة للمنظر ولكن عيث حاولنا، فبالرغم من عمليات المسح العديدة لم يظهر أي شيء، ولكن ترى هل يكون من الممكن ان يكون الفراعنة قد اغلوا بغاراتهم حتى تاسيلي؟... لو ان أشكالا أخرى من نفس النوع عثر عليها بالصحراء لبدلنا ان الجواب عن هذا السؤال بالإيجاب، أما في الوقت الحاضر فلا يبدو الأمر هكذا، فالأمهات الصغيرات برؤوس الطير تعود إلى العصر التاريخي ربما للأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، ومن المحتمل إذن إعادتها إلى سنة 1200 ق.م ونحن نعلم انه في ذلك العصر كان الليبيون الذين يسكنون فزان وهي منطقة قريبة من تاسيلي في صراع مستمر مع مصر يحاولون احتلالها فهل قام المصريون بمطاردة هؤلاء حتى ملجئهم بتاسيلي؟ ليس هذا بالمستحيل، حتى ولو ان توغلمهم إلى مناطق بعيدة كهذه في أر العدو بينما خطوطهم الخلفية تبدو مكشوفة يبدو أمرا غريبا، وعلى كل فان حملة من هذا النوع لم ير ذكرها في أي تاريخ مصري، راسموهم من الأسرى أو من التجار المصريين الذين وجدوا بتاسيلي، وأما ان لبيبين أقاموا بمصر إراديا أو كأسرى وهم الذين حملوا لوطنهم من مصر هذا الأسلوب في الرسم، على كل فان الحروب المتواصلة بين الليبيين والمصريين تكفي وحدها لتبرير تغلغل الفن المصري في الصحراء.³⁸⁷

إلا ان هناك من يرى تفسيراً آخر لهذه اللوحة حيث خلص إلى الشبه الواضح بين اللوحة والإله تحت وذلك للشبه في رسم الرأس وربط بين الإلهات الصغيرات بالتقويم المصري، فالفصول الثلاثة هي الأيدي المرسله والأشهر الأربعة لكل فصل هي الإلهات الأربع، والأيام

387- لوت: لوحات تاسيلي، ص 72.

اللوحتين تشيران بوضوح إلى وجود صلة قوية بين شعب جبارين الصحراوي وبين مصر في الفترة التي رسمت فيها اللوحتان على الأقل، ولكن متى حدث ذلك وكيف؟ وهنا يجب ان نستعيد التاريخ الذي اقترحه «لوت» وهو عصر الرعامسة «على أساس حداثة هذا التاريخ حيث ان الحياة لم تكن مزدهرة في مناطق تاسيلي وكاكوس آنذاك بفعل عامل الجفاف الذي اشتدت وطأته فهجرت الصحراء من غالبية من كان يعمرها من الناس، كما ان النصوص التي وصلتنا من عه الرعامسة ليس فيها ما يوحي ولو استنتاجا بان المصريين قد طاروا الليبيين إلى ابعد من حدود مصر بكثير، كما انه لم يثبت تاريخا حتى الآن ان الليبيين الذين حاربوا مصر كانوا من منطقة فزان، وعلى ذلك يمكن إرجاع تاريخ اللوحتين إلى قبل عام 3200 ق.م، فإذا صح هذا أو قبل كان هذان الأثران دليلا ماديا على صلة أقدم من عهد أولى الأسرات بين سكان الصحراء أصحاب حضارتي تاسيلي واكاكوس وبين سكان وادي النيل في عصور ما قبل التاريخ.

ويستوعى الانتباه في هذه اللوحة وجود صورة قارب، وعلينا هنا ان نقارن هذا القارب بصورة القوارب التي وجدت ممثلة على اثريين مصريين الأول يد سكنين من العاج وج في جبل العرق، والأثر الثاني في مقبرة هيراكنوبولس، وموقع الأثرين بالقرب من نهاية طريق للقوافل يصل النيل بالبحر الأحمر، وصورة القوارب تختلف تمام الاختلاف عن القوارب المصرية المرسومة على الأواني الفخارية، حيث يمتاز القارب الأجنبي بمقدمة طويلة ومؤخرة عالية وهما صفتان لا تتوافران في القارب المصري المصنوع من عيدان البردي، ولا يمكن القول ان هذا القارب متطور عن قوارب البري المصرية والأرجح ان يقال انه منقول عن قوارب بلاد النهرين حيث توجد قوارب شبيهة

اثنان فرجل، والأشخاص الأربعة في حركة من يخل مكانا أو يقيم على إنسان، وهذا الإنسان هو آخر الأشخاص يبدو كالجاثم على ركبتيه أو كمن يهيم بالقيام.

ومن حيث الملابس فان الأول يرتدي نقبة أمامية بسيطة من نوع ما نشاهده على بعض آثار مصر فيما قبل الأسرات والدولة القديمة، أما النساء الثلاث فيبدو من الرسم أنهن يرتدين ثيابا تشبه (التنورة) وتستمر ما بين الحصر والكعبين أو فوق الكعب بقليل، وأما الشخص الذي يتقدمهن (ويبدو انه مرافق لهن) فيرتدي جراب العورة الذي اشتهرت به قدماء الليبيين على الآثار المصرية، وجميع الأشخاص لهم جسد بشري ورأس طائر تماما كما في اللوحة السابقة.

ويذكر «لوت» تعليقا على اللوحة انها منظر قربان واضح فيها التأثير المصري لاسيما من عصر الأسرة الثامنة عشرة اكتشف في العراء على جدران صخرة بالصفة اليسرى من الوادي في موضع لم يكن ملجأ، وما كان من الممكن تعيين الألوان غير الواضحة إلا بعد مسح الجدار بماء واسفنجة، وفي هذا الطراز يلاحظ تأثير الفن المصري ولكن بأسلوب أكثر تحورا من ذلك المتبع بالمعابد المصرية وكل الأشكال رجالا ونساء لهم رؤوس طير وقد سرح شعرهم بالطريقة المصرية ويلاحظ أيضا بعض الأكواب الشبيهة بتلك التي لعصر ما قبل الأسرات.³⁸⁹

وهناك من يرى ان هذه اللوحة ربما تكون نصا هيروغليفا قيما، وربما يكون هنا نشأة الكتابة المصرية القديمة³⁹⁰ والحقيقة ان

389- لوت : المرجع السابق، ص 212.

390- بازامه: تاريخ ليبيا ، ص 200 وما بعدها

بمذه على بعض أواني سومر من الألف الثالثة ق.م. 391

علينا إذن ان نقارن هذا القارب الأجنبي الذي وجد على الآثار المصرية بالقارب الموجود في لوحة القربان الليبية، والسؤال المطروح أيهما الأصل والأساس الذي اثر في الآخر الموجود على الآثار المصرية أم الموجود في لوحة جبارين أم الموجود في العراق؟

أما وجهة النظر التي ترى ان لوحة القربان ربما كانت نصا هيروغليفيا قديما، فرغم ما في هذا الاعتقاد من غرابة فانه يستحق التفكير والتأمل، فالكتابة المصرية كانت تفسر على كونها أشكالا سحرية وتعاويد لا يعلمها إلا أصحابها، وشيء قريب من هذا يمكن ان يقال عن موضوعات النقوش الصخرية، فهذا الكم الهائل من هذه النقوش والرسوم الصخرية في الصحراء، وهذا الجهد الخارق للعادة في تنفيذها يخرج بما عن التفسيرات التي قيلت بشأنها، فقد قيل عنها انها الأغراض سحرية كانت تضمن لأصحابها بعد طقوس معينة رحلات صيد مأمونة أو صيدا وفيرا، كما فسر بعضها على انها حفلات شعائرية لأصحابها، والحقيقة ان هذا التراث الهائل من النقوش والرسومات الصخرية ربما كان بمثابة الإرهاسات الأولى نحو ميلاد كتابة صحراوية أم، وان هذه العملية توقفت في احد مراحلها ربما لأنه لم يتوافر لها من العوامل والظروف ما يساعدها على التطور لتصبح من بعد كتابة مقروءة، ولتوضيح ذلك نذكر ان الكتابات القديمة المكتوبة التي ظهرت في ارض العراق أو في وادي النيل كانت في مراحلها الأولى عبارة عن صور لحيوانات أو طيور أو أشياء مأخوذة من بيئتها المحلية، وان هذه الصور التي كونت بعد ذلك

391- إبراهيم رزقانة : الجغرافية التاريخية ، القاهرة ، 1966 ، ص 473 ،

شكل 163.

المقاطع والحروف ثم الكلمات والأفعال التي أصبحت علامات متفقا عليها ومألوفة لدى الجميع ومن ثم باتت مكتوبة ومقروءة، ومما ساعد على استمرار مراحل التطور ان كلا من الكتابتين وجدتا في بيئتهما من العوامل المساعدة التي يسرت لها هذا التطور وات إليه، ففي العراق القيم وجدت بوفرة مادة الطين فكانت ألواح الطين (الرقيم) الذي كان من السهل الضغط عليها بأي أداة صلبة، واخترع الخط المسماري، وتطورت أشكاله، أما في مصر، فاستطاع المصريون ان يستخلصوا من نبات البردي صناعة الورق، وكان يلزم للكتابة عليه مداد فكونوه من السنج، أما القلم فكان عود من بوص مما ينمو بكثرة على شواطئ النهر أو البحيرات، فلو افترضنا ان مجتمعات النقوش والرسوم وجدت من عناصر البيئة ما يسر لها ان تكون أدوات ووسائل للتعبير بلا من الصخور، ولو لم تتغير الظروف البيئية التي أجبرتها على تغيير بيئتها الأصلية والهجرة، يفترض أننا كنا قد امتلكنها الآن كتابة أم تحكي لنا ضمن موضوعاتها فصلا عظيما من حياة إنسان الشمال الإفريقي، والحقيقة ان الأبحاث التي نتوقع ان تجري في المستقبل هي التي ستعطي الأدلة الحاسمة التي سيستفيد منها العلماء الذين سيتناولون هذه الموضوعات بالبحث والدراسة. 392

من العرض السابق يمكن ان يخلص الدارس إلى القول انه إذا نظرنا في مضمون معتقدات الشعوب قديما وجدناها مما يغلفها من طقوس ومظاهر عبادات، فإننا نلاحظ ان الظواهر الكونية كالشمس والقمر والماء والهواء والأرض وقوة الإخصاب وعيون ومجري المياه العذبة كانت تقديس، ويقام لها العبادات المباشرة أو عن طريق رموز تتخبر لها تحل فيها، وذلك لأنها قوى تحيط بالإنسان، وهي التي تكفل

392- حسن الشريف: المرجع السابق، ص 10.

وجوده وتضمن له الحياة، وإلى جانب ذلك قدست بعض الظواهر الأخرى أو الحيوانات البرية كالتماسيح والأسود وأفراس النهر، فكانت تعبد أيضا كقوى يخشى بأسها، ولقد خرجت مظاهر التقديس لدى الشعوب القديمة من منبع واحد يتجسد في معنى واحد هو رغبة الإنسان في التقرب من القوى المحيطة به والمهيمنة على حياته مدفوعا بالخشية والرغبة، وهذا بالفعل ما نلاحظه لظاهرة الدين لدى المجتمعات في ليبيا والشمال الإفريقي حيث عرفت كل هذه العبادات، وتأتي الفروق بعد ذلك في ترتيب الإله حسب مكانة كل ظاهرة في بيئتها أو تفضيل ظاهرة على أخرى في الأولوية والمكانة، وبالنظر إلى الظروف المكانية والبيئية وعوامل أخرى، كفرض احتكاك مجتمع ما بالمجتمعات الأخرى غلفت العبادات بطقوس خاصة أحاطت بها وشعائر معينة ارتبطت بها، وهنا يجب إلا نعزل ليبيا عن الواقع البيئي، كما يجب ان نأخذ في الاعتبار ذلك الحادث البيئي الكبير والمتمثل في حلول عصر الجفاف واضطرار الجماعات البشرية التي كانت تعيش في الصحراء إلى الهجرة إلى مصادر المياه الأثمة، وهي بالطبع قد حملت معها معتقداتها وبتوال الحقب وطول بعدها عن أصولها حدث ان انحرفت هذه العبادات أو دخلت عليها إضافات مستحدثة، ولكن عند الدراسة والتحليل يمكن ان نتبين الأصول الأولى، وعلى ضوء هذا السياق من المقبول به ان نجد أشكالاً ورموزاً معينة لعبادات متشابهة في أكثر من مكان من الشمال الإفريقي، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نطالع في أكثر من مكان في شمال إفريقيا حيواناً غالباً ثديياً يحمل فوق رأسه بين قرنيه قرصاً مستديراً يؤخذ في العادة على انه رمز لقرص الشمس، كما أننا نجد حيوانات مثل البقرة والكبش والصقر مقدسة لدى أكثر من مجتمع، ولنا ان نتحفظ بشأن تلك الآراء التي يجتهد بها

وبشكل فوري أحكام نهائية عندما تطالع مثل هذه الأمور وتفسرها على انها جاءت نتيجة لاتساع النفوذ السياسي لمجتمع على غيره من المجتمعات، وانه لذلك فرض معتقداته حيشما وصل نفوذه.³⁹³

وعلى ذلك لا يكون من المستغرب ان نجد لدى المجتمعات الليبية صورة لإله في هيئة كبش يحمل القرص المقدس وان يكون الكبش أيضا رمزا لأكثر من اله في مصر، فهو رمز للإله آمون، وكان رمزا أيضا للإله خنوم، وكان إلهاً للإقليم العشرين من صعيد مصر، ولقد كان للبربر اله كبش للماء، وان كلمة آمون أو أمان تعني الماء، وكما ذكرنا في العرض السابق وردت إفادات عن اله ليبي باسم «حور» وكان يميز عن الإله المصري بحور احمر-العينين.

2- المقبرة:

علينا أيضا ان ننظر إلى شكل آخر ضمن المعتقدات الدينية ويرتبط بها، وهو نظام المقبرة وطقوس الدفن، وحينما يتم الاهتمام بالمقبرة وبذل العناية للحفاظ عليها وتجهيزها بالمنقولات والأثاث الجنائزي، فهي كلها أمور ارتبطت في الحضارات القديمة بفكرة الخلود أو الحياة بعد الموت، والحقيقة ان قليلا فقط من مجتمعات العالم القيم هي التي أمنت بهذه العقيدة منها الشعوب الليبية، لذا اهتم الليبيون بمقابرهم وأثاثهم الجنائزي، وقد أمكن تمييز أربعة أشكال للمقبرة تشير بوضوح إلى تطور بناء المقبرة من الحفرة حتى المقبرة الهرمية.

أما النوع الأول وهو المقبرة الدائرية فهي عبارة عن حفرة دائرية صغيرة ضحلة العمق، يوضع فيها المتوفي على هيئة الجنين ثم
393- حسن الشريف: العلاقات الحضارية والتأثيرات المتبادلة بين أقطار الشمال الإفريقي، بحث غير منشور ص 6.

المعقول ان يكون الرسم لمقبرة فردية، تم دفن المتوفى وتزويده بالزاد الذي يعينه على رحلة العالم الآخر، وأما الشخصان الخارجيان فهما من أسرته ربما كانا يؤديان بعض الشعائر على روحه، وربما كان لبعده «لوت» عن نظام المقبرة المصرية وطقوس الدفن لدى المصريين القدماء خاصة في عصور ما قبل الأسرات، ان فاته الربط بين هذا الرسم وبين ما كانت عليه عادات المصريين وهي عادات وجدت أيضا لدى مجتمعات النوبة، كما تشهد عليها وتؤكددها مقابر وادي الحياة «الآجال» في فزان بجنوب ليبيا.

ربما يقول قائل لان هذا الرسم يخالف عادات ما قبل التاريخ إذ كان يتم دفن المتوفى في تلك العصور في وضع القرفصاء أو الهيمية المشناة، ولكن يمكننا تفسير ذلك على انه يمكن افتراض ان الفنان أراد ذلك، ولكن في حالات كثيرة كان حرص الفنان ان يؤكد على فكرة ما يجعله يخالف قواعد الرسم، والواقع انه لا يجب ان نتوقع منه المحافظة أو حتى درايته بقواعد المنظور، ولقد دأب الفنان المصري في جميع العصور مثلا على مخالفة هذه القاعدة رغم معرفته بها، حينما كان يظهر الكتفين لدى الشخص وهو يريد تصويره من وضع جانبي.

ومع ذلك فقد وجمت حالات أخرى ضمن مقابر جبل زنككرا في وادي الحياة «الآجال» وضع فيها المتوفى راقدا على ظهره وأطرافه إلى الأعلى فوق الهيكل العظمي، وهو ما يجعلنا نعتقد ان هذا الوضع كان مألوفا لدى مجتمعات الجنوب.³⁹⁸

ويمكن ان نضيف إلى مضمون الرسم انه كانت لدى

398- نفس المرجع السابق ، 8.

يهال عليه التراب، وتحدد المقبرة دائرة من الأحجار، وهذا النوع هو الذي استعمله الجرامنت منذ أقدم العصور، وكانت هذه المقابر تحتوي على القليل من الآثار التي لم تتعد بعض قطع الفخار البدائي، وبعض أدوات الزينة من قشر بيض النعام أو العظم وبعض عقود الزينة المصنوعة من الحجر³⁹⁴ وأمثلة هذه المقابر وجدت في «نحج» و«قصر الواتوات»، وكثير من هذا النوع يظهر في الأودية كأنه من المقابر المدرجة مثل الموجودة في جبل زنككرا، ولكن أكثر هذه الأنواع كما لا تلك التي اكتشفت في سنية بني هويدي والتي تبرز مهارة الصانع الجرامنتي، وهذا النوع كان سائدا في شمال إفريقيا.³⁹⁵

من أمثلة هذا النوع ما وجد في وادي الحياة «الآجال»، وقد نشر (هنري لوت) لوحة من منطقة «غات» وهي عبارة عن دائرة غير منتظمة الشكل بجوارها شخصان، أما في داخلها فيرقد شخص على ظهره كما يبدو، ويمتلى باقي الفراغ حول الشخص بعدد من الأواني والأطباق التي رصت بعناية وقد وصف «لوت» الشكل بأنه مسكن قمى تجلس امرأة وطفل على جلد حيوان أمام الخطوط العامة للمسكن وقد استلقى رجل على ظهره حوله أشياء متنوعة³⁹⁶ إلا ان هناك من يرى ان هذا الشكل بعيد عن كونه مسكنا³⁹⁷ فهو ان كان كذلك فأين بقية أماكن الأسرة الخاصة لهذا الشخص؟، ولكن من

394- أيوب: مختصر تاريخ فزان، ص 58.

395 - El-Rashdy, E.,n « Garamantian Burial Customs : Their Relation to Those of Other Peoples of North Africa Libya Antique, 2 ; 1984, P. 77

396- هنري لوت: لوحات تسيلي، ترجمة زكي حسن، طرابلس، 1968.

397- حسن الشريف: العلاقات الحضارية والتأثيرات المتبادلة بين اقطار الشمال الإفريقي، بحث لم ينشر بعد، ص 7.

أما النوع الثاني من المقابر فهي المقابر المربعة أو المستطيلة وهذا النوع يعتبر تطوراً لمقابر البربر وهو عبارة عن حفرة دائرية أو مربعة يبلغ عنقها حوالي أربعة أو خمسة أمتار وقد دعمت جدرانها بكتل من الحجر غير منتظمة الشكل والمتماسكة فيما بينها بملاط أو مونة وأرضية الحفرة من الرمال، ويسجى فيها الميت عادة على هيئة الجنين ويوضع حوله الأثاث الجنائزي الذي كان يتكون في الغالب من الفخار الفاخر والأواني الزجاجية والقناديل والحلي الذهبية والمعينة والعقود الجميلة من الفيروز الأخضر والعقيق الأحمر، أما الشكل الخارجي للمقبرة فكان يتكون من مصطبتين مربعتين تعلو إحدهما الآخر، وكانت المصطبة تبنى من كتل الأحجار غير المنتظمة أيضاً، وتتلجج من الخارج تلمعياً جيداً ثم تطلّى بالجير أو الطباشير وكانت عن الأركان في بعض الأحيان بعض المصاطب الصغيرة التي توضع عليها موائد القربان وق عرفت مدافن هذا النوع باسم المقبرة التي على شكل مصطبة، ويوجد الكثير من مقابر هذا النوع في وادي الحياة (الآجال) أهمها مقابر الجبانة الملكية بجرمة ومقابر تاجلت ومقابر جبانة التناحمة (قرب قرية الرجبية)، والملاحظ أن المقابر التي من هذا النوع كانت مدافن كبار القوم.⁴⁰⁰

أما المقابر الهرمية فقد دار جدل كبير حول مصدر هذا الشكل من المقابر والتي وجدت في قرية الحطية جنوب جرمة من وادي الحياة خاصة أنه لا وجود لهذا النوع في شمال غرب إفريقيا مما جعل البعض يرى أن مصدر هذا التأثير من الشرق والجنوب الشرقي (مصر والسودان) وإذا كانت الحضارة المروية بصفة عامة والمقابر الهرمية

مجتمعات البربر رغبة قوية في أن يحاط الرجل بالعبادة بعد الموت وأن ذلك كان العامل العقائدي الظاهر لديهم، وقد كان الجسد يدفن على جانبه ثم يتم ضمه أو شد أطرافه، كما جرت العادة على نشر تراب احمر «المغرة» على جسد المتوفى، وهي عادة وجت كذلك في مصر، والتراب الأحمر يرمز إلى عودة الحياة مرة أخرى للجنة ثم يتم تزويده بالطعام وتوضع التماثيل لحمايته في الحياة الأخرى ويضاف إلى ذلك أنه كان من الممكن أن يلحق بالمتوفى خادمه المخلص ولا ندرى إن كان ذلك يتم قسراً، وهذه العادة أيضاً وجدت في مصر، أي دفن الخدم مع أصحابهم، لكن المصريين اقلعوا عنها بعد عصورهم الأولى واستعاضوا عنها بتماثيل حجرية تمثلهم وهي تقوم على خدمتهم في العالم الآخر، ويدخل ضمن عادات الدفن لدى البربر، عادة دفن أفراد الأسرة حول مقبرة المتوفى ولكن بعد موته طبعياً، وبالتدرج تنشأ جبانة كاملة حول قبور معينة، وكان من الطبيعي بمجرد قيام أي مملكة أن ينشأ فيها على الفور عبادة للموكها الراحلين.

والواقع أننا نجد ما يشابه ذلك لدى ملوك المصريين القدماء، فقد كانت جبانة العاصمة تتوسطها المقبرة الملكية ثم تحيط بها في جانب من جوانبها مقابر أفراد أسرته وفي الجانب الآخر مقابر كبار رجال القصر ثم تتوالى الدرجات والمراكز بحيث تأخذ الجبانة في نهاية المطاف شكل وتخطيط العاصمة التي كان يتوسطها القصر الملكي وتحيط به من جوانبها باقي منازل رعيته حسب دراجاتهم أو قربهم منه، أما عن الوهية الملك، فقد كان الملك المصري لها ارتضى أن ينزل إلى الأرض ليسوس رعاياه وبعدهما تنتهي حياته كان يصعد إلى السماء لينضم إلى آبائه الآلهة.³⁹⁹

400- أيوب: مختصر تاريخ فران، ص 59، ليبيا في التاريخ، ص 168.

El-Rashdy, Op, Cit, PP 83-84.

399- حسن الشريف: المرجع السابق، 8

بصفة خاصة ناتجة من التأثير المصري⁴⁰¹ فهل انتقل التأثير من مصر إلى ليبيا مباشرة أو انه كان بطريق غير مباشر عن طريق السودان؟ ويؤكد بعض الباحثين على ان السودان كان الطريق الذي سلكه التأثير المصري في بناء المقابر الهرمية في ليبيا.⁴⁰²

ولكن لماذا نصر على ان هذا النوع لا بد وان يكون ناتجا عن تأثير خارجي؟ لماذا لا يكون تطورا محليا لبناء المقبرة؟ أو حتى لماذا لا يكون هذا المكان (وادي الحياة) هو مصدر التأثير خاصة إذا علمنا ان الذين استخدموا هذه المقابر أقاموا في هذه المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ، وأيضا العصور التاريخية، حيث أوردت المصادر التاريخية أشارات إلى عنصر بشري ابيض البشرة، وكان الاعتقاد السائد ان هذا العنصر لم يظهر إلا حديثا جدا، وانه كان غزوا منتظما جاء لطرد الرومان لبربر السهوب من أراضي المغرب، ولكن بفضل أعمال الحفر الحديثة في كل من فزان والصحراء الجزائرية، فانه بات يعتقد الآن انه خلال عصر ما قبل التاريخ كان يسكن وسط وشمال الصحراء عناصر بيضاء طوال القامة لهم ملامح البحر المتوسط تتصف بجمهم بالضخامة، الوجه طويل نوعا ما وضيق الأطراف نحيلة وهي الصفات التركيبية «المورفولوجية» ذاتها للطوارق المحدثين الذين يعتبرون امتداد لشعب الجرمانت.⁴⁰³

وأثناء المسح الأثري لوادي الحياة وجت عدة مقابر حجرية اسطوانية التكوين من بين تلك المقابر واحدة اكبر حجما تم تسميتها بقطع من الحجارة الغفل مما قربها من الشكل الهرمي وتوحي حالتها
401 - Dunham, D, The Royal Cemeteries of kush.
Vol, IV Royal Tombs of Meroe and Barkal Boston, 1957, P. 91-402- Shinnie, P, Meroe, London, 1967. P52.

403- حسن الشريف: المرجع السابق/ ص 3.

العامه هما سليمة لم تمس.⁴⁰⁴

إذن فمن المحتمل جدا ان تكون المقبرة الهرمية في ليبيا هي نهاية المطاف للمقبرة في عصورها المختلفة.⁴⁰⁵

3- الشواهد وموائد القرابين

الشواهد وموائد القرابين من الأشياء المرتبطة بالمقابر، حيث حرص الليبيون على وضع شواه ذات أشكال معينة على القبور، وكانت هذه الشواهد توضع أما إلى الناحية الشرقية المقابلة لمشرق الشمس أو الناحية الغربية المقابلة لغروبها، وهذا يدل على ارتباط هذه الشواهد بعبادة الشمس أيا كان شكل هذه الشواهد سواء على شكل مسلة أو على شكل قرنين أو شكل الكف، أما النوع الأول فهو عبارة عن مسلة صغيرة غير تامة التهذيب كانت توضع عادة خارج القبر مواجهة لمشرق الشمس كي تتصل اله الشمس الذي يقوم هاديا للمتوفى في العالم الآخر، وكانت تطل على اللون الأحمر ربما لتعكس أشعة الشمس حيث انه من المعروف ان هريجات المسلات في مصر أيام الدولة الحديثة كانت تموه بالذهب أو بمعدن آخر سواه⁴⁰⁶

404- حسنة الشريف: "مشروع المسح الاثري لوادي الحياة"، مجلة اوزو،

العدد الأول، 1988، ص 24.

405- علينا هنا ان نقارن هذا التطور في بناء المقبرة واسلوب الدفن في ليبيا

مع مئيلتها في مصر القديمة، وعلى ذلك انظر:

جرمال: تاريخ مصر القيمة، ص 131-150

اسكندر بدوي: تاريخ العمارة المصرية القيمة، القاهرة 1988

تشرني: الديانة المصرية القيمة، ترجمة احمد قادي، القاهرة، 1987، ص 152-158.

Laur, J, Ph, « Observations Sur Les Pyramids » B.D.E., 30, Le Caire, 1960.

406- لبيب حبشي: مسلات مصر، ترجمة احمد عبيح الحميد يوسف، القاهرة

أخرى⁴¹⁰ وتبدو الصلة بوضوح بين القرون من جهة والشمس والقمر والثور من جهة أخرى من خلال إبراز القرون علة هيئة هلال، وضع القرن على هيئة دائرة (وان كان من الصعب تحديد ما إذا كانت هذه الدائرة ترمز إلى الشمس أم إلى القمر). إضافة خطوط على هيئة شعاع قد يمثل شعاع الشمس، إضافة زخارف من المعتقدات لها ترمز إلى الشمس مثل الصليب بأشكاله المختلفة، ومن تلك الزخارف رسم بيضوي وجد فيس ليبيا حول صور أخرى لحيوانات مثل الزرافة والنعامه وربما كان هذا الرسم البيضوي يمثل الشمس.⁴¹¹

ويبدو من تلك النماذج ان الناس كانوا يحاولون ان يربطوا بين الأرض وقوى الفضاء التي تعذر عليهم فهم ماهيتها، كذلك يبدو ان الآلهة والأجرام السماوية والحيوانات من ذوي القرون كانت تكون ثالوثا رمزيا قبل التاريخ، وأصبح القرن احد رموز القوة الروحية، ويتكهن البعض بان القرن أصبح يمثل النور على الأرض، نظرا للشبه الذي بينه وبين الهلال، وخاصته الدفاعية الهجومية كان المعتقد انه منبع القوة والحياة، وعندما أصبحت الماشية من أهم عناصر الغذاء أصبح القرن يرمز أيضا إلى الخصوبة والتوالد يقول «جيديون» ان المصريين ظلوا مرتبطين بعالم ما قبل التاريخ وبصفة خاصة بالنسبة للحيوانات، لدرجة انها تحولت عندهم إلى رموز للإلهة مثل العجل «أبيس» ومع ان صبغة الإلوهية، تحولت بمضي الزمن من الحيوان إلى

410 - Ferobenius, L, Kuiturgeschichte Afrikas, Zuerich, 1954.

نقلا عن ندرات سكوت وفابري: "قرون الحيوان في عصور ما قبل التاريخ في ليبيا واثرها في حضارات أخرى "ليبيا القديمة"، ج 3، 4، ترجمة عديلة مياس، 1967/66، ص 501.

411- وندرات سكوت: نفس المرجع، ص 106.

والى جوار مقابر وادي الحياة وجدت بلاطتان كبيرتان كشاهد وكل منهما تصنع زاوية من طرف المقبرة فتجعله شكلا هرميا غير تام، ويبدو ان هذا ليس مصادفة، ويأتي احد الأمثلة على هذا النوع من قرطاجة حيث وجد عليه نص فينيقي، وهناك من يعتقد بان هذا الشكل يمثل توحيد قرص الشمس وهلال القمر وقد نتج ذلك من ظهور «تانيت» على رأس المعبودات القرطاجية⁴⁰⁷ فهل الأمثلة التي وجت في وادي الحياة بجنوب ليبيا تعني نفس المعنى؟ الحقيقة ان هناك من يعتقد (نتيجة التشابه الكبير بين الشواهد الليبية والشواهد الفينيقية) ان الليبيين قلدوا الشواهد القرطاجية عندما قاموا بعمل شواهدهم⁴⁰⁸ إلا ان الحقيقة تشير إلى ان المصريين كانوا أول من شكل شواهد على شكل مسلة ثم اثروا في غيرهم من الشعوب من حيث إنتاج هذه الآثار أو اقتناؤها، فقد آل الأمر بالكنعانيين والفينيقيين إلى إقامة مسلات لهم صغيرة.⁴⁰⁹

أما الشواهد القرنية، فان استخدام القرن كشاه أو رمز يظهر منذ وقت مبكر يرجع للعصر الحجري الحديث وحتى العصور الرومانية، كما ان هذا النوع قد امتد من مواضع العصر الحجري في الصحراء إلى مراكز البحر المتوسط، ويرى «فروينبيوس» ان القرون التي تم اكتشافها في ليبيا إنما تهدف إلى أغراض رمزية وأنها تشير إلى الضوء، وفي اعتقاه ان ثمة صلة تربط بين فكرة استعمال القرون في عصور ما قبل التاريخ واستعمالها الرمزي فيها بعد في ثقافات

، 1994، ص 18.

407 - Bisi, A.M., « Punic Stelae », Aschaeologia Viva, Paris, 1968., P, 121.

408 - El-Rashdy, Op, Cit, P 90.

409- ليب حبشي: المرجع السابق، ص 25.

البشر إلا ان المصريين ظلوا متمسكين بتراث الماضي.⁴¹²

كذلك يذكر «فروبينيوس» عددا من صلات مماثلة مثل قرن الثور في «مايه ديب» والرمز المصري المرسوم على خاتم من الفخار يرجع إلى عصر ما قبل الأسرات، كذلك يذكر الشبه بين زخارف على هيئة قرن اكتشفها في ليبيا وبين رموز مصرية موجودة على المعابد المصرية، والواقع ان الهلال الذي على هيئة قرن، والقمر أو قرص الشمس من أهم الزخارف التي تزين رموز الآلهة المصرية، فوجد الهلال الممتد بقرنين يحتويان قرص الشمس من أهم الرسومات التي يرمز بها للإلهتين «حاتحور» و«ايزيس».⁴¹³

وقد اكتشف في المقبرة الملكية في جنوب ليبيا (فزان) (القبر الرابع) إناء اخضر صغير الحجم من مدينة «منف» أو (الفيوم)، وغير ذلك من الآثار التي تل على التأثر بالتقاليد المصرية مثل المباخر والتمائم.⁴¹⁴

أما الهلال ذو القرنين الذي حل في مصر كرمز للخصوبة في الإلهتين «حاتحور» و«ايزيس» فقد أصبح له مثيل في الميثولوجيا التي جاءت فيما بعد مثل «ايزيس» الفينيقية سيدة «جبيل» والتي كثيرا ما كانت ترسم وعلى رأسها هلال وقرص مستدير، والحقيقة ان استخدام القرن كتميمة يرجع إلى العصور القديمة ويستدل على 412 - Giedion, S, Symbolic expression in Prehistory and in the First high civilisation in Sign Image and Symbol London, 1966.

413- وندرات سكوت: المرجع السابق، ص 107 تشرني: الديانة المصرية القديمة، ص 1-24، 29-34.

414- جينيت دي فيتا: "نقش معبد ايزيس في صبراته" ليبيا القديمة، ج 3، ص 54-5.

أيوب: «المقبرة الملكية في جرمه» ليبيا القديمة، ج 3، ص 93-98.

ذلك مما اكتشف أدى المصريين القدماء.⁴¹⁵

أما موائد القرابين والتي نتحت على قوالب حجرية مختلفة الأحجام، فهي عادة ما توضع في الجانب الشرقي أو الغربي للمقبرة أمام الشاهد، والغرض من هذه الموائد هو حمل النذور والقرابين التي يقدمها الأقارب أمام المتوفى أو آلت يقدمها المتوفى للمعبود، والحقيقة ان معظم الموائد الليبية القديمة قائمة الزوايا (مربعة أو مستطيلة) وهي تنقسم إلى قسمين الأول يتكون من أخطود قائم الزوايا والثاني يشغله أحاديث صغيرة، وأكثر الأمثلة وضوحا على ذلك مائدة قرابين في زنككرا وقد حفرت أحاديدها بدقة بالغة، فالأخطود الكبير يشغل نصف الحجر، وثلاثة أحاديث صغيرة تشغل النصف الثاني، وتظهر الموائد الموجودة بمتحف سبها الأشكال المختلفة وإعداد الأحاديث الكثيرة والمتنوعة الحجم، والأخطود الكبير عادة ما يكون أعمق من الأحاديث الصغيرة التي تميل دائما إلى الضحالة، وعلى ذلك يمكن تصنيف موائد للقرابين التي وجدت في شمال إفريقيا إلى:

الأول: هذا النوع عادة قائم الزوايا ويصنع من أحجار مختلفة معظم زخارفه من الزهريات الليبية وأرغفة الخبز، كما رسمت قطع اللحم في قمة المائدة وتأتي الأمثلة على ذلك من الجزائر ووادي أم العجارجم.

الثاني: صغيرة الحجم ويتكون من عدة أحاديث خشنة الصنع ويلتصق بها شاهد وتأتي الأمثلة على ذلك من ليبيا فيحتوي متحف (طرابلس) على نماذج من وادي العمود وسرت وغيرها وفي بعض الأمثلة يتضح الأخطود الكبير والقطعة رقم 2456 في متحف

415- وندرات سكوت وفابري: المرجع السابق، ص 108.

El-Rashdy, Op, Cit PP. 93-94.

من الغاب فوقها الطعام⁴¹⁸ وفي عصر الدولة الحديثة فقدت موائد القرايين أهميتها وأصبحت قليلة الوجود، وتغير شكلها وأصبحت مثل طبق قائم الزوايا مع أمثلة أخرى مربعة، كما أصبحت المائدة تصنع على شكل حتب.⁴¹⁹

إذن هل يمكن اعتبار ما وجد في ليبيا تأثيرا مصرياً أم تأثيراً مروبياً؟ خاصة ان الحضارة المروية تعتبر اقرب زمنيا للحضارة الليبية، حيث تبدأ الحضارة المروية من القرن السادس ق.م وقد عرف سكان مروي موائد القرايين، وقد وجد عدد كبير منها في الجبانات المروية، إلا ان نقوش موائد القرايين المروية كانت دائماً متغيرة، فالأمثلة القديمة منها كانت تصنع من الجرامنت وكانت القرايين تمثل على الجزء الأسفل، وفي القرن الرابع ق.م كان الطعام يصور على سطح الموائد، أما في القرن الأول ق.م فرسم مكان الطعام أشكال غريبة نصفها آدمي والنصف الآخر ابن آوى (رمز الإله أنوبيس في الديانة المصرية⁴²⁰ من ذلك يتضح ان هناك اختلافاً كبيراً بين الموائد المروية وما وجد في ليبيا، حيث ان الأولى سميقة ونادراً ما يوج عليها نقش كما لا يوجد عليها أحادييد، فإذا أضفنا إلى ذلك ان كل ما وجد في ليبيا ذكر في مصر وان الحضارة المصرية هي أساس الحضارة المروية، يمكن القول ان هذا تأثير مصري صرف.

(ب) الفنون:

418 - Vandier, J., Manual d'archeologie Egyptienne, VI, Paris, 1955, Ph D. 522.

Ibid, Ph, D. 528.

419 -El-Rshdy, Op. Cit., Ph D. 98.

420 - Ibid, P. 98.

طرابلس بما فجوات ربما تكون مكان أخذود.

الثالث: وهذا النوع قليل الوجود حيث وجدت واحدة فقط في خرزا بالصحراء الليبية وهو عبارة عن قالب حجري مستطيل به اثنان أو ثلاثة أو أربعة أحادييد دائرية أو قائمة الزوايا، كما وجد حجر آخر به سبع دوائر غائرة، واحدة في الوسط وهو أكبرها جميعاً.⁴¹⁶

وليس في الأماكن حتى الآن تحديد أصل هذه الموائد، وان كان النوع الثاني ق وجدت أمثلة له في شمال غرب إفريقيا، إلا ان الاحتفال الأكبر ان يكون هذا تأثيراً مصرياً، ففي مصر توجد أقدم موائد القرايين وتعود إلى زمن الدولة القديمة، واستمر خلال الدولة الحديثة وخلال تلك الفترة تطورت موائد القرايين، حيث بدأت بنوع بسيط به أخذود قائم الزوايا بصفة أساسية وترجع أهميته لاحتواء القرايين السائلة في الدولة القديمة، وعلى ذلك وجدت في المائدة الواحدة الأحادييد المفردة أو الثنائية، و سطح هذه الموائد أما ان يرسم أو ينقش عليه مناظر تمثل القرايين المقدمة⁴¹⁷ وعلى مثال واحد يوجد أربعة أحادييد قائمة الزوايا وثمانية حفر دائرية وشغل الوسط بمناظر مختلفة، كما زين الإطار الخارجي بالحيوانات وأنواع مختلفة من الزهريات، والحقيقة ان الموائد التي ترجع إلى الدولة القديمة تشبه إلى حد كبير الأمثلة التي وجدت في ليبيا، وفي تطور آخر للموائد المصرية المنتمية للدولة القديمة، تقدم لنا موضوعات مختلفة بما في ذلك الصور الآدمية، والشيء الأكثر أهمية هو العلامة «حتب» والتي تمثل حصيراً

416 - Brogan, O. Magnificent Tombs Which the Home Guard of Roman Tripolitania Built, London, 1955, Ph D., 184.

417 - El-Rashdy, Op. Cit. PP. 94-95.

تحفل الصحراء بسجل حافل من النقوش والرسوم التي صور فيها القدماء مشاهد عن حياتهم اليومية فجاءت لوحاتهم واقعية مجسمة لتاريخ حياتهم، وليس هناك من شيء أوضح من تاريخ الفن بالصحراء الكبرى، فمنذ العصور الموعلة في القدم بل قبل ان تظهر الصحراء، عندما كانت الوديان التي نراها قاحلة اليوم تزخر بمظاهر الحياة، وعندما كانت الجبال الجرداء تكسوها الأعشاب والغابات، وعندما كانت الجهات الخالية الموحشة الآن مرتعا للفيول والخرتيت وفرس البحر، سطر الصيادون نشاطهم اليومي وعمليات الصيد والقنص، وصوروا أنفسهم وهم يرتدون جلود الحيوانات التي تتدلى ذيوها من خلفهم، نقشوا صور الشباك البدائية التي كانوا ينصبونها ومناظر الصيادين وهم يحملون الصيد، ووصلوا لدرجة الإبداع في تصوير الصيادين وهم يرتدون أقنعة من رؤوس الغزلان ليقتربوا من الفريسة، وكانت الأسلحة التي يحملونها بدائية ولا تتعدى العصي وبعض الأقواس والسهام، وكان فن الرعاة أروع من فن الصيادين، إذ تمكن فيه الفنان من التعبير عن شكل الحيوان باستعمال الألوان، وحاول فيه الرسام إظهار حركة الحيوان والإنسان، ويظهر من الصور الملونة المرسومة في جبال الاكاكوس، ان هؤلاء الرعاة كانوا طوال القامة سمر البشرة يرعون الماشية وأنهم كانوا على درجة أعلى في الحضارة من الصيادين، كما أنهم بلغوا مرتبة رفيعة في فن الرسم، ويمكن ان تعتبر الرسوم الموجودة على جدران الحقاف بوادي تشوينات (الكاكوس) شرقي غات، بأنها أرقى مرحلة وصل إليها فن الرسم لدى الرعاة.⁴²¹

أما بالنسبة للنحت، فلن يعثر إلا على عدد قليل من أجزاء تماثيل بجنوب ليبيا، وجميع الأجزاء التي وجدت اقل مكن الحجم الطبيعي للشخصيات التي تمثلها، ولا يمكن الجزم ما إذا كانت هذه الأجزاء نحتت في «جرمة» أم انها استوردت من أماكن أخرى، ولكن من الجائز ان تكون طبيعة الجرامنت (سكان الجنوب) التجارية لم تشجعهم على اقتناء التماثيل الجميلة، إذ ان اهتمام التاجر ينصب غالبا على اقتناء الأشياء ذات القيمة المادية العالية وليس القطع الفنية التي لا يجني من ورائها إلا الربح الأدبي، ومن أمثلة القطع المنحوتة، قطعتان من الحجر الرملي النوبي تمثل إحداها صدر شخص يلبس أزارا، والقطعة الأخرى تمثل جزءا من الكتف والي لنفس التمثال وقد عثر عليها أثناء حفائر مصلحة الآثار بجرمه، ثم عثر على جزء يمثل رأس تمثال من البرونز لشخصية مهمة ذات طلعة مهيبه، فملاح الوجه دقيقة، واللحية (ربما كانت مستعارة) مرسله على الصدر وذات تجاعيد والتاج أشبه ما يكون «سيرابيس» أو «بوسيدون» اله البحر ويبدو ان هذا التمثال يمثل شخصية أكبر من زعيم أو ملك، ومن المحتمل انه كان للإله «جراما» ابن أبوللو الجد الأسطوري⁴²²

كوبر: "من الصيد إلى الرعي، ما هو العصر الحجري الحديث في الصحراء الكبرى" الصحراء الكبرى، ترجمة مكايل محرز، ليبيا، مركز الجهاد، 1979، ص 69-79.

لوت: "الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى"، الصحراء الكبرى، ترجمة مكايل محرز، ص 80-107.

شترينتر: "الرسوم الصخرية كمصدر تاريخي"، الصحراء الكبرى، ترجمة عماد الدين غانم، ص 15-156.

جوتيه: ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، طرابلس 1970، ص 20-27.

422- محمد سليمان أيوب: جرمه ص 167، 171، أيوب: ليبيا في التاريخ،

421- عن فن الصحراء الكبرى انظر: موري: تادرات اكاكوس - الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفواد الكعبازي، ليبيا - مركز الجهاد، 1988

كما تم الكشف في مدينة قوريني عام 1966م عن ثمانية أجزاء من تمثال لأبي الهول.⁴²³

أما الموسيقى، فقد اشتهرت ليبيا قديما بالفنون الموسيقية التي أثبتتها المؤرخون والرحالة وكبار الآباء اليونان، حيث نج عددا وافرا من مغامرات ملحمتي «هوميروس» تجري في ليبيا أو على الشواطئ الليبية، فكانت المغنيات يتعرضن لاوديسيوس يحاولن ان يغوينه بجلاوة صوتهن غير بعيد من الساحل الليبي (ربما عند صخرة جزيرة قروة قرب زواره حاليا) كما ان بحارة اوديسيوس أنفسهم هم الذين طعموا من شجرة اللوتس الليبية المشهورة فراحوا يغنون منتشين، هذا اللوتس الليبي كان ذا شهرة ذائعة، ليس فقط باعتباره نباتا عجيبا له خصائص مخدرة، ولكن لكونه تصنع منه أدوات موسيقية أشهرها الناي، الذي يسمى في ليبيا النجيل ويسمى في مصر الأرغول.⁴²⁴

وقد اشتهرت النايات المصنوعة من ساق اللوتس الليبي باعتبارها افخر نايات في العالم القديم، ويذكر الجغرافي «بليبي الأكبر» في كتابه التاريخ الطبيعي، من جملة مزايا اللوتس انه يتخذ من أغصانه النايات المطرية، ويؤيده في ذلك المؤرخ «اثيناوس» في مؤلفه مائدة الفلاسفة الذي يقول «ان أهل الإسكندرية يتخذون نايات مصنوعة من اللوتس وهو شجر ينمو في ليبيا، أما الآلات الموسيقية القديمة، فالمصدر في ذلك هو النقوش والصور المصرية التي تتحدث

ص 165-167.

423 - جود تشايلد، بدلي، هوايت: اكتشاف تماثيل قيمة اركائية في قوريني،

ليبيا القديمة ترجمة عديلة مياس، ج 3، 1967/66، ص 78-82.

424 - علي فهمي خشيم: "نظرة عابرة على الفنون في ليبيا القديمة، الفصول

الاربعة ج 22، 1983، ص 281.

عن الليبيين وموسيقاهم ومن هذه الرسوم المصرية نعر على أربع آلات: المضرب وهو أداه ناقرة على شكل عصا تنتهي بنصف دائرة بارزة، الطبل ذات الجانبين وكانت تصنع من الفخار أو الخشب بزخارف وتزيينات ويوضع على جانبيها جلد مربوط حولهما، وتشد إلى العنق بسير أو رباط ويضرب على جانبي الطبل باليدين، ومن الجائز ان كل جنب في الطبل يحدث صوتا مختلفا ليحدث التناغم اللازم، أما الآلة الثالثة فهي تشبه البوق بنهاية واسعة ولها عدة ثقوب ينفخ فيها وتحرك الأصابع على الثقوب لتأتي بالنغم المطلوب، والآلة الرابعة تشبه القانون، وهي اداة وترية وتعرف بالقيثارة وهي تستعمل في مصر كثيرا، وهذه الآلات كانت تستعمل بصورة إجمالية، أي تعزف في ان واحد بأنغامها المختلفة⁴²⁵ ويدل على ذلك ان الرسوم المصرية تصورهما مجتمعة، ومن المؤكد ان الليبيين كانوا يستخدمونها في المناسبات المختلفة أو في ساعات اللهو والاستمتاع، وهذا العزف الجماعي يشير إلى مرحلة متقدمة من فن الموسيقى، إذ ان التناغم يحتاج إلى قدر كبير من الدقة والمران والأذن الموسيقية المدربة بعكس العزف المنفرد الذي يعتمد على فرد واحد يرسل أنغامه كيف شاء دون الارتباط بالعازفين الآخرين.

وكان الرقص يصاحب الغناء والموسيقى، وكان الليبيون القدماء معروفين بالرقص الجماعي والذي يعتبر أكثر تعقيدا من الرقص الفردي، ويتطلب إدراكا عميقا للإيقاع ومنحى الحركة بين القدم والجسد، ويتحدث هيردوت عن رقصة ليبية مشهورة على طول بحيرة «تريتونس» «شط الجريد حاليا) تنقسم فيها الفتيات قسمين

425 - Bates, The Eastern Libyain, P. 155.

خشيم المرجع السابق، ص 428.

ففي الشرق كان المجتمع الإغريقي في «قوريني» يتكون من طبقات ثلاث، طبقة المواطنين الأوائل، طبقة المزارعين، طبقة الليبيين الذين لم يندمجوا مع الإغريق، إلا إذا جاز لنا ان نستثني أبناء الليبيات من أبناء إغريق من مواطني قوريني، أما «استرابو» فقد ذكر أربعة عناصر سكانية وهم اليهود والمواطنون الإغريق والمستوطنون الأجانب والمزارعون، وهذا العنصر الأخير هو عنصر مستقل لأنهم ليسوا من الإغريق ولا من الأجانب ولهذا يمكن ترجيح أنهم من الليبيين.⁴²⁸

وإذا كان هذا صحيحا فإنهم من الليبيين الذين ساهموا في إنشاء قوريني وتعاونوا مع الإغريق في زراعة أراضيهم، وتزوج هؤلاء من بناتهم، وإذا كنا نعلم ان المستعمرين الأوائل تمكنوا من إنشاء قوريني بمساعدة قبيلة الاسبوستاي الليبية، فيمكن القول ان طبقة المزارعين ربما كانوا من رجال هذه القبيلة، وليس هناك سبب للاعتقاد بان هؤلاء المزارعون كانوا عبيدا للأرض أو رقيقا لها، فالمزارعون الذين ذكرهم «استرابو» مزارعون أحرار في الأرض الخاصة بقوريني والمدن الأخرى ولهم وضعهم الشرعي المعترف به، ويحتمل ان يكون هؤلاء المزارعون يمتلكون قطعا من الأرض، وان البعض منهم أيضا يستأجر قطعا من الأراضي الخاصة بالملك الذي يعتبر أكبر مالك في قوريني.⁴²⁹

ورغم الاختلاط الذب حدث الإغريق والليبيين، فقد وجدت التفرقة ليس فقط في الأوضاع التشريعية ولكن أيضا في

يرقصن ويتقاذفن بالحجارة، ثم تتحول الحفلة إلى رقص بالخيل تور حول البحيرة، ترتدي فيها الفتيات لباسا حريبيا، صلاة وقربى للإلهة «نت» ربة الحرب والقتال وتقدم لنا الآثار المصرية صورة حية لبعض أبناء قبيلة التمحو الليبية وهم يرقصون (رقصة الحرب) يقف فيها فريق منهم بعضى، بينما يقفز فريق آخر ويرقص ليعود ويضرب العصى بعضى أخرى يمسكها، وهذه الرقصة تذكرنا برقصة التحطيب المصرية.⁴²⁶

لقد كان الرقص عند قدماء الليبيين وسيلة تعبيرية معروفة ليس في الحرب والقتال، بل في المناسبات الدينية أيضا، فإلى جانب رقصة البحيرة والتي كانت احتفالا سنويا منظما، يذكر المؤرخون رقصة آمون، حيث تدخل الفتيات المعبد وهن يغنين ويرقصن باحترام لصاحب المعبد وربه، خلاصة القول ان الرقص كفن تعبيرى كان معروفا في ليبيا القديمة وله أصوله وطقوسه وحر كاته وإيقاعه ونظمه وأساليبه باعتباره فنا وعبادة.⁴²⁷

(ج) الحياة الاجتماعية:

من دراستنا السابقة يمكن القول ان ليبيا كانت تنقسم إلى ثلاثة أقاليم رئيسية وهي قورينية في الشرق والتي احتلها الإغريق، و«طرابلس» ومدنها في الغرب والتي كانت تخضع للسيطرة الفينيقية، وإقليم فزان في الجنوب وعاصمة «جرمة» وسكانه من الجرامنت، وعلى ذلك سنتناول الحياة الاجتماعية في كل إقليم على حده نظرا لاختلاف طبيعة الاستعمار في القسمين الشرقي والغربي.

428 - مصطفى كمال عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، ص 156.
429 - Rostvitzeff, M, Sociat and Economci History of the Roman Empire, 2nd ed, Oxford, 1958, P. 310.

426 - Bates, Op. Cit. , P. 156

427 - خشيم: الفصول الأربعة، ص 285-286

وبجانب القضاء، كان هناك قضاة عاديون أطلق عليهم اسم «الخصلين» وترجع وظائف هؤلاء إلى العصور الفينيقية وكانت مهمتهم الرئيسية تحصيل الغرامات وتزويد السوق بما يلزمه من مؤونة ومعدات، أي أنهم كانوا يوجهون اقتصاديات البلاد حسبما يروق لهم.⁴³²

وقد استمر تأثير النظام الفينيقي في مدن طرابلس حتى أوائل العصر الروماني، فقد كان «البروقنصل» وموظفوه القلائل يعتمدون على السلطات المحلية في مدن الولايات وذلك فيما يتعلق بإدارة الأعمال الحكومية، ولهذا السبب لم يطرأ أي تعديل على نظام البلديات، بل سارت الأمور على ما هي عليه دون تدخل محسوس من الرومان ولهذا السبب تمكنت «لبده» من الإبقاء على دستورها الفينيقي، ويعتقد ان مدينة «أويا» و«صبراتة» سلكتا نفس السياسة، وقد أوضحت لنا الاكتشافات الأخيرة في طرابلس، ان مدينة الفينيقيين قد توغلت حتى بين السكان الليبيين في الداخل فقد عثر على بعض النقوش مكتوبة باللغة البونيقية في وادي العمود الذي يقع جنوب شرقي مزده بحوالي 65 كلم، ويعتقد انها تعود للقرن الأول ق.م، وجد اثنان منها على ضريح «نيمران بن ماشو ككشان» والذي يعتقد انه كان رئيسا محليا، كما وجد نقش آخر كان على مقبرة أسرة «عيرور بن حاطيط» ويتقد انه كان شخصية معتبرة.⁴³³

ومن الواضح ان الاكتشافات التي تم العثور عليها والتي ترجع للعهد الفينيقي قليلة جدا، وهي لا تكفي لإعطاء صورة مكتملة عن الحياة اليومية العادية خصوصا ان الفينيقيين، كما يذكر علماء
432 - Haynes, The Antiquities Tripolitania, P. 28
433 - Levil Della Vida, "Le isrizioni neopunchie di wadi Amud"; Libia Antiqua I, 196, P. 57.

الناحية العنصرية، لان العنصر الإغريقي كان صاحب حضارة وثقافة واسعتين، واحتفظ العنصر الليبي بتنظيمه القبلي ولم ينخرط في الحضارة الإغريقية ومن بعدها الرومانية، ووقف موقف العداء من هاتين الحضارتين الدخيلتين، وتمثل هذا العداء في الحروب التي تشنها القبائل الليبية من ان الآخر على المدن الإغريقية، والتي حاول أغسطس في العهد الروماني القضاء عليها بتهينة كل ما ساعد الليبيين على الاستقرار في أراض يقومون على زراعتها وذلك بتنفيذ كثير من مشاريع الري وتحسين سبل الزراعة لاجتباب الليبيين حياة مستقرة هادئة وقد سار خلفاء أغسطس على هذه السياسة⁴³⁰ أما في الغرب، فقد ذكر ان أهالي المستعمرات الفينيقية في طرابلس كانوا يتمتعون بشبه حرية تامة، إلا ان الليبيين كانوا يعاملون بخلاف أهل تونس الذين كانت لهم مميزات المواطن القرطاجني، فكانت قرطاجنه تنظر لليبيين على أنهم غير مواطنين بونيقيين وتميزهم بذلك عن سكان تونس البونيقيين، كما يذكر ان «لبده» كان لها تشريعاتها وقضاها ويعتقد ان «أويا» و«صبراتة» كانتا تتمتعان بنفس المزايا، فكان رئيس القضاة في لبدة يسمى «شوفيط» ولاشك ان هذه التسمية كانت مثابة أحياء للدستور الفينيقي الأصلي والمأخوذ من النظام السياسي وشكل الحكومة بقرطاجنه، وكان يتم انتخاب رئيس القضاء مرة كل عام بمعرفة الجمعية الشعبية غير ان هذا الانتخاب كان مقصورا على العائلات الارستقراطية والثرية، مما جعل الحكم في أيدي فئة قليلة محدودة العدد مادامت اطمأنت إليها حكومة قرطاجنه وقد تركت هذه الأقليات تدير أمورها الداخلية.⁴³¹

430 - Romanelli, P. !a Cirenaica Roman, Verbanian 193. P 36.

مصطفى كمال عبد العليم: المرجع السابق، ص 97.

431 - محمد مصطفى بازاده: ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ص 52.

التجارية والنخيل والعيون والمزروعات وحيث تتوافر سبل الحياة الهينة، وكان يحيط بهذه المدن في العادة سور للدفاع، أو يوجد بها قلعة لنفس الغرض وكان الحاكم أو الأمير يسكن في هذه القلعة أو القصر، وما زالت آثار هذه القلاع أو بقايا منها متناثرة في واحات ليبيا حتى اليوم، أما السكان العاديون من عامة الشعب فق كانوا يسكنون في بيوت صغيرة من اللبن أو في أكواخ من القش أو في خيام من جلود الحيوانات أما البدو، فقد كانوا يتكونون بصفة عامة من الرعاة الذين ينتقلون بماشيتهم من مكان إلى آخر وراء الكلا.

والى جوار هاتين الطبقتين أو الجماعتين كانت توجد جماعة ثالثة وهم الأرقاء وكانوا يتكونون من أسرى الحرب أو الذين استرقهم الليبيون عن طريق الخطف سواء من السود أو البيض.⁴³⁷

أما فيما يتعلق بالاجتماع والأسرة في القبائل الليبية، فيمكن القول ان الليبيين كانوا يتزوجون بعدد كبير من النساء، وانه كان لكل فرد منهم عدد كبير من الأولاد والبنات وتدل كثرة قبور النساء وتفوقها من حيث العدد على قبور الرجال بالجبانة الملكية، «بجرمة» ان كل ملك من الملك كان له عدد لا بأس به من النساء والحريم، وهي عادة كانت مألوفة في كثير من ممالك العالم القديم، ولكن ليس معنى ذلك ان قيمة المرأة كانت تافهة في نظر الرجل الليبي أو ان الأنثى كانت في درجة ون الذكر، فمن واقع المقابر الفخمة التي اجتمعت لهن بالجبانة الملكية، ومن واقع الحلبي والأدوات التي وجدت في تلك المقابر، نستنتج انهما كانت مساوية من حيث المركز لقرينها الرجل، كما ان عبادة الآلهة «نت» وهي أنثى واعتبارها زعيمة الآلهة

437- أيوب: جرمه، ص 157.

الآثار، كانوا لا يضعون مع جثث موتاهم إلا أشياء قليلة القيمة، مثل الأواني الفخارية والزجاجية وبعض الجرار كالتى عشر عليها في طرابلس وقد وجد بها رمز فينيقية ويعتقد انما كانت تستعمل لحزن النبيذ وزيت الزيتون.⁴³⁴

أما في الجنوب، فقد كانت جرمه دولة ملكية وقد أشار إلى ذلك الكثير من الكتاب الكلاسيك، ولم تتأثر جرمه في حياتها السياسية بالأنظمة الإغريقية أو الفينيقية، ويل دفن الملوك في مقابر خاصة على رجة الفخامة، ان رعاياهم كانوا يحترمونهم، وكان هناك إلى جوار الملوك، الأمراء أو حكام الأقاليم، ويظهر من فخامة مقابرهم وعظمة قصورهم، ان سلطانهم كانت واسعة وأنهم كانوا ينوبون عن الملك في حكم أقاليم، وربما تمتعوا خلال فترة ضعف الملكية بنوع من الاستقلال الذاتي⁴³⁵ أما الشعب فقد كان يتكون من ثلاث طبقات وهم الأثرياء أو التجار وهؤلاء كانت لهم اليد الطولى في حكم البلاد. فقد كان منهم مجلس استشاري أو تنفيذي يعاون الملك وكانت لهم القصور، كما كان لهم حراسهم الذين يجرسون قوافلهم وق عاشت هذا الطبقة عيشة الترف وتمتع بكل مباحج الحياة، ثم طبقة الأحرار وهم الصناع وصغار التجار وكانت عيشتهم كما يقول استرابو متوسطة فلا هي بالبذخ المفرط ولا هي بالفقر المدقع.⁴³⁶

وبصفة عامة يمكن القول ان سكان ليبيا كانوا ينقسمون إلى حضر وبدو.

أما الحضر فيسكنون المدن والواحات حيث توجد الأسواق

434 - محمود الصديق أبو حامد: ليبيا في التاريخ، ص 130.

435- أيوب: مختصر تاريخ فران، ص 785.

436- نفسه، ص 76

يدل على ان مركز المرأة كان محترما في نظر الرجل بلبيبا. ومع احترام المرأة وتقديرها فقد ظل المجتمع الليبي يسوده الرجل، فهو الذي يحارب وهو الذي يقود القوافل عبر الصحاري، وكان عليه ان يقوم بأشق الأعمال، بينما كانت النساء يقمن بالأعمال المنزلية الخفيفة أو الخدمة بالحقول وغيرها من الأعمال التي لا تتطلب مشقة كبرى.⁴³⁸

أما عن عادات الزوج، فقد عثر على نقش يسمى بالقانون المقدس، وهذا النقش يرجع تاريخه إلى نهاية القرن الرابع ق.م. وأول ما يلاحظ على عادات الزواج انهما كانت مرتبطة بالحياة الدينية والربة ارتميس على وجه الخصوص، كما انهما اشتملت على تقديم القرابين الكثيرة لهذه الربة والزيارات المتعددة لمعبدها، وكانت الطقوس تقضي عادة بدخول العروس إلى معبد ارتميس حيث يتم زواجها وتنقل بعد ذلك لتعيش مع زوجها، وإذا خالفت هذه الشعائر يتحكم عليها ان تقوم بتنظيف معبد ارتميس وتقديم قربان لها تكفيرا عن خطئها، كما يشير النقش إلى انه يجب ان تنزل العروس إلى عين الماء المقدسة (أي نبع أبو للون) للتطهر.⁴³⁹

أما بالنسبة للحياة اليومية فكان الليبيون في أوقات فراغهم يروحون عن أنفسهم بالذهاب إلى الحمامات للاسترخاء والرياضة والاستجمام، أو إلى المسارح التي تقام فيها الحفلات في مختلف المناسبات، وكان السكان يتمتعون أيضا بمشاهدة سباق الخيل.⁴⁴⁰

438- ايوب: ليبيا في التاريخ ، ص 175

Bates , Op. Cit, P. 114.

439- الميار: برقة في العصر الروماني، منشورات مكتبة فورينا، 1973.

440 - Goodchild , R, Cyrene and Apollonia, P. 73.

المراجع

أولا : المراجع العربية :

- 1- إبراهيم زرقانة: جغرافية الوطن العربي - المملكة الليبية، القاهرة، 1964
- 2- إبراهيم زرقانة: الجغرافية التاريخية، القاهرة، 1966.
- 3- إبراهيم نصحي: إنشاء قوريني وشقيقتها، بنغازي، 1970
- 4- أبو الحسن عصفور: المدن الفينيقية، بيروت، 1981
- 5- احمد حسن غزال: ملاحظات حول التأثيرات الليبية في مقابر سهل ميسارا جنوب جزيرة كريت في الألف الثالث ق.م،» مجلة كلية الآداب، العدد السابع، بنغازي 197 ،
- 6- احمد دراز: مصر وفلسطين فيما بين القرن الحادي عشر والثامن قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، بنها جامعة الزقازيق 1991،.
- 7- احمد فخري، واحة سيوه، ترجمة جاب الله على جاب الله، القاهرة 1993.
- 8- احمد محمد منديشة: التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، بنغازي، 1993.
- 9- اسكندر بدوي: تاريخ العمارة المصرية القديمة، القاهرة، 1988.

- 10- آلان جاردنو: مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل، القاهرة، 1973.
- 11- الدريد: الحضارة المصرية - من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة، ترجمة، مختار السريفي، ط 2، القاهرة 1992.
- 12- الهادي أبو لقمة: السلفيوم الشروة المفقودة، بنغازي، 1985.
- 13- بلوتارخوس: ايزيس وأوزوريس، ترجمة حسن صبحي البكري، القاهرة 1958
- 14- جان يويوت: مصر الفرعونية، ترجمة سع زهران، القاهرة 1966 ،
- 15- جوتيه: ماضي شمال إفريقيا، ترجمة هاشم الحسيني، طرابلس 1970 ،.
- 16- جودتشايلد، بدلي، هوايت: اكتشاف تماثيل قيمة اركائية في قوريني، ليبيا القديمة ج 3، 4، ترجمة عديلة مياس، 1967/66.
- 17- جون ويلسون: الحضارة المصرية، ترجمة احمد فخري، القاهرة، 1955.
- 18- جورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان ط 2، بغداد 1986.
- 19- جيمس هنري برستد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، القاهرة، 1929.

- 20- جيهان ديزانج: البربر الأصليون في إفريقيا الصغرى، تاريخ إفريقيا العام، ج 2، البونسكو، 1985.
- 21- جنينيت دي فيتا: «نقش معبد ايزيس في صبراته» ليبيا القديمة، ج 3، 4، ترجمة عديلة مياس، 1967/66.
- 22- حسن الشريف: العلاقات الحضارية والتأثيرات المتبادلة بين أقطار الشمال الإفريقي، بحث غير منشور
- 23- حسن الشريف: «مشروع المسح الأثري لوادي الحياة»، مجلة اوزو، العدد الأول، سبها، 1988.
- 24- دريتون-فاندييه: مصر ترجمة عباس بيومي، القاهرة، 1950
- 25- رشيد الناضوري: المغرب الكبير - العصور القديمة، الإسكندرية 1966، .
- 26- رشيد الناضوري: التطور التاريخي في الفكر الديني، بيروت، 1969.
- 27- رجب الاثرم: تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، بنغازي، 1988.
- 28- زينب عبد العال: مصر وليبيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، معه الدراسات الإفريقية، 1975.
- 29- سليم حسن: مصر القديمة، ج 12، القاهرة سيد الناصري: «الألعاب الاولمبية القيمة»، المجلة التاريخية، ج 21، 1974.
- 30- سيد الناصري: «الألعاب الاولمبية القديمة»، المجلة

- التاريخية، ج 21، 1984.
- 31- سيد الناصري: الإغريق-تاريخهم وحضارتهم، ط 2، القاهرة، 1985.
- 32- شترينتر: «الرسوم الصخرية كمصدر تاريخي»، الصحراء الكبرى، ترجمة عماد الدين غانم، مركز الجهاد الليبي، 1979.
- 33- صبري طه: سمند - دراسة تاريخية أثرية في العصور الفرعونية والعصر البطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بينها جامعة الزقازيق، 1992.
- 34- عبد الكريم الميار: قوريني في العصر الروماني، طرابلس، 1978.
- 35- عبد العزيز صالح: حضارة مصر القيمة وآثارها، القاهرة، 1980.
- 36- عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، ج 1 مصر والعراق، ط 3، القاهرة: 1982.
- 37- عبد العزيز صالح: جغرافية ليبيا، القاهرة، 1870.
- 38- عبد اللطيف احمد على: التاريخ اليوناني - العصر الهلادي، ج 1، 2، القاهرة، 1971.
- 39- علي فهمي خشيم: نظرة عابرة على الفنون في ليبيا القديمة، الفصول الأربعة، ج 22، مركز الجهاد الليبي، 1983.
- 40- علي فهمي خشيم: إلهة مصر العربية، المجلد الأول والثاني، ومصراته، 1990.

- 41- فرانسوا شامو: الإغريق في برقة- الأسطورة والتاريخ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، 1990.
- 42- فوزي جاد الله: مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيردوت، ليبيا في التاريخ، بنغازي، 1968.
- 43- فابريتشيو موري: تادارات اكاكوس- الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، ليبيا، مركز الجهاد الليبي، 1988.
- 44- كوبر: «من الصيد إلى الرعي ما هو العصر الحجري الحديث في الصحراء الكبرى»، الصحراء الكبرى، ترجمة مكابيل محرز، مركز الجهاد الليبي، 1979.
- 45- لبيب حبشي: مسلات مصر، ترجمة احمد عبد الحميد يوسف، القاهرة، 94.
- 46- محمد الطاهر الجاراي: «شيشنق وتكوين الأسرة الثانية والعشرين في مصر القديمة»، مجلة البحوث التاريخية، ج 2، مركز الجهاد الليبي، 1981.
- 47- محمد سليمان ايوب: «المقبرة الملكية في جرمه»، ليبيا القديمة، ج 3، 4، ترجمة عديلة مياس 1967/66.
- 48- محمد عبد القادر، ايران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، القاهرة، 1984.
- 49- محمد مصطفى بازامة: تاريخ ليبيا، في عصور ما قبل التاريخ،-3200 ق.م، بنغازي، 1973.

- 50- محمود زميتير: مصر بين الفرس والإغريق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1989.
- 51- مراجع عقلية الغناي: السلفيوم، مصراته، 1994.
- 52- مصطفى عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، 1966.
- 53- نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ج 4، الحضارة المصرية، الإسكندرية، 1966.
- 54- نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاني: القاهرة، 1990.
- 55- هنري لوت: الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى، ترجمة مكابيل محرز، مركز الجهاد الليبي، 1979.
- 56- هنري لوت: لوحات تسيلي، ترجمة زكي حسن، طرابلس، 1968.
- 57- هيردوت: الكتاب الرابع.
- 58- هيردوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، القاهرة، 1987.
- 59- وندرات سكوت وفابري: «قرون الحيوان في عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وأثرها في حضارات أخرى، ليبيا القديمة، ج 3، 4، ترجمة عديلة مياس، 1967/66.
- 60- وهيب كامل: ديودور الصقلي في مصر، القاهرة، 1947.

- Guard of Roman Tripolitaia , Built, London, 1955.
- Burn, A.R., The Lyric Age of Greece, London, 1966.
- Burn, A.R., Persia and Greek The Defence of the West 540-78. B.C London, 1962.
- Bury, J.B., History of Greece to the Death of Alexander the Great, 3rd. ed., London, 1951.
- Cameron, G.G., "Darius, Egypt and the Land Beyond the Sea" J.N.E.S., 2, 193, Part 4, PP. 307-313.
- Certer, T.H., 7 n Expedition the ulletin of University Museum of the University of Pensylvania, Spring 1963. vol. 3.
- Eerny, J., "Egypt fro mthe Death of Ramesses III to the End of the Twenty First Dyansty", C.A.H3. 2, B, 1980.
- Chiantore, G., Rivista di Filologia Demiurgi in Creta, Torino, Annoix 1930.
- Child, V.G. New Light on the Most Ancient East, London, 1958.
- Coster, C.H., The Economic Position of Cyrenaica in ClassicalAges, in Studies in Roman Economic and Socvial History in honor of Allan Chester Johnson, 1951.
- Coujat, J, Montet, P., "Les Inscription Hiéroglyphiques et Hieratiques du Ovadi Hammemat", M.I F.A.O., 3, 1912, PP. 164.. 173.

61- ياروسلان تسريني: الديانة المصرية القديمة، ترجمة احمد قدري، القاهرة، 1987.

ثانيا : المراجع الأجنبية:

- Aharoni, Y, The lab*nd of The Bible, A Historical Geography. Translated from the Hebrew by Rainey, A.F., London, 1970
- Albright W.F., The Sea People in Palestine. C.A.H3., 2 A. 1980.
- Arkell, A.J., A History of The Sudan From Earliest Time To 1821, 2nd ed, London 1961.
- Barnett, R.D, The Sea Peoples , C.A.H3 2 A. 1980.
- Bates, O. The Eastern Libyans, London; 1914.
- Bisi, A.M., "Punic Stalae" Archaeslogiviva, Paris, 1968.
- Boardman, J., The Greks Over Seas, London ; Penguin Books, 96.
- Boardman and Hays, Exacavation at Tocra, London, 1966.
- Bovill, E.W, The Golden Trade of the Moors, Londo,, 1968.
- Bradford Welles, C. "The Role of the Egyptian Under the Frist Ptolemies" , American Studies in Ppyrology, 7. 1970. PP. 509-512.
- Gragan, O., Magnificent Tombs which The Home

- Ghazal, A.H, "New Light on the distinction Between Ammon of Libya and Zeus of Cyrene" *Libya Antique*, 2, 1984.
- Ghirshman, R, *Iran from the Earliest Times to the Persian Conquest*, London, 1965.
- Giedion, S, *Symbolic expression in prehistory and in the first high Civilisations in sign Image and Symbol*, London, 1966.
- Goedicke, H, "Psammetik I and die Libyer", *M.D.A.I.K.*, 18. 1962. PP. 26-49.
- Goman, F, *Libyschen Furslentumer des Deltas Vom Tod Osokons II bis zus Werderveieingjung?*
- Gypten durch Psametik, I*, Wiesbaden 1974.
- Goodchild, G, *Benghazi the Story of the City*, 1962.
- Graves, R, *The Greek Miths*, Penguin Books, 1958.
- Grimal, N, "Li Sléle triamphale de Pi (ankh) y au Musée du Cairo J.E. 48862 et 47086-47088" *M.I.F.A.O*, 105, 1981.
- Griffith, F, *Catalogue of the Demotic Papyri*, 3 Vol, Maonester, 1909.
- Briffith, J.G., *The Origins of Osiris abd His Cult*, Brill, leuden, 1980.
- Grote, G, *A History of Greece*, Vol 4, London 1906.
- Gunn, B. "the Inscribed Sarcophagus in the

- Cowley , A.E, *Aramic Popyri of the FifthCentury B.C.* Oxfort, 1923.
- Maressy, G, "Fragments Heracleopolitains, A.S.A.E., 21. 1921, PP. 138.. 139.
- Dunham, D., *The Royal ceme terics of Kush*, vol, IV, *Royal Tombs of Meroe and Barkal*, Bostom, 1957.
- Ed-Brovanski, "Two Old Kingdom Writing Boards From Giza", *A.S.A.E*, 71, 1987.
- Edgerton. W.F. and wilson, J., *Historical Reods of Reord of Ramesses III*, Chicago, 1936.
- Glgood, P.G *The Later Dynasties of Egypt*, Oxford, 1951.
- El-Mosallamy, A., "Libyco-Barber Relations with Ancient Egypt, The Tehenu in Egyptian Reords", *Libya Antique*, 2, 1986.
- El-Rashdy, F., "Garamamtian Burial Customs; Their Relation to Those of Other Peoples of North Libya *Antique*, 2; 1984.
- Fakhry, A., *Bahria Oasis*, I, 1942.
- Faulker, R.O, "Egypt From the Inception of the Ninetteenth Dyansty to the Death of Ramesses III" *C.A.H3*, 2, A, 1980.
- Frankofort, H, *Studies in Earpottery of theNear East*, London Gardiner, A.H., *Ancient Egyptian Onomastica*, 2 Vols, Oxford, 1947.

- Kitchen, K.A. "On The Princedomes of Late Libyan Egypt", C.D.E. 52, 1977, PP. 0-48.
- Kitchen, K.A The Third Intermediate Period in Egypt (1100-650 B.C.)2nd ed, Warminster, 1986.
- Lang , A, The Last Oracle from Delphi, London, 1887.
- Litchtheim, (Miriam), Ancient Egyptian Literature, vol 3, The Late Period, California, 1980.
- Luckenbill, D.D. Ancient Records of Assyria and Babylonia, 2 vols, 1926-1927.
- Macadam M.F. The Temples of Kawa, II, Oxford, 1949.
- Mallet, D. "Les Rappports des Grecs avec l'Egypte de la Conquite de Cambyse à Celle d'Alexandre"; Memoires, 48, 1929.
- Mazzarino, S, Era Oriented Occidente Ricerche di Storia greca arcaica, Florence, 1947.
- Moustafa el Amir, A family Archive from Thebes, Part 2, Cairo, 1959.
- Mercer, S.A.B. The Religion of Ancient Egypt, London, 1949.
- Michaelidis, "Quelques Objects Indits d'époque persde" A.S.A.E, 3, 1943.
- Mitchell, B.M, « Cyrene and Persia » J.H.S. 86. 1966.
- Montet, P., Geographie de L'Egypte Ancienne, I, Paris, 1957.

- Serapeum". A.S.A.E., 26, 1926.
- Gyles, M.E., Pharaonic Policies and Administration 663-323 B.C., Carolina , 1959.
- Gabachi, L, "The Military Posts of Ramesses II on the Coastal Road and The Western of the Delta" B.I.F.A.O. 80, 1980.
- Habachi, "Sais and Its Moument" A.S.A.E., 42, 1943.
- Hall. H A, The Ancient History of Near East, 11th ed, London 1963.
- Hall, H.A. "Egypt Under the Aliens". C.A.H3, 2, 1975.
- Hasebroek, J, Trade and Politics in Ancient Greece, London, 1965.
- Hill, G.F., Sources of Greek History 525-31. B.C., Oxford, 1962.
- Holscher, W., Lbyer und? Gypter, Hambwrg, 1937.
- Horning, E. Conceptions of God in Ancient Egypt, Translated by John Baines, London, 1982.
- Jones, A., Cities of The Eastern Roman Empire, Oxford, 1937.
- Kees, H, Ancient Egypt, a Cultural Topography, London, 1961.
- Kent, Old Persian Texts , Darius Behistan Inscrition Column V. J.N.E.S. 2, 193.

- wentieth Dynasty, 2 vol, Oxford, 1930.
- Petrie, W.F., *Naukraties*, I, London 1886.
- Petrie, W.F., *A history of Egypt*, III, London, 1905.
- Petrie, W.F., *Palace of Apries*, London, 1902.
- Petrie, W.F. *The Making of Egypt*, London, 1939.
- Petrie, W.F., *Nagada and Ballas* London, 1896.
- Petrie, W.F., *Religious Life in Ancient Egypt*, Boston, 1914.
- Petrie, W.F., *Religion and Conscience in Ancient Egypt*, London, 1898.
- Posener, G., *La Première Domination Persenne en Egypte*, Le Caire 1936.
- Ritner, R.K. *Khababash and Starap Stela*, Z.A.S. 107. 1990.
- Robinson, E.S.G. *British Museum Catalogue of Greek Coins of Cyrenaica*, 1927.
- Rostovtzeff, M. *Social and Economic History of The Roman Empire*, 2nd ed, Oxford, 1958.
- Rowe, A., "A History of Ancient Cyrenaica, New Light on Egypto-Cyrenean Relations Two Ptolemaic Statues of found in Tolmeita" *A.S.A.E.*, 12, Cahier No, 12, 1948.
- Sadawya, A., "The Greek Settlement in Cyrenaica With Notes on Pottery Discovered There", *Libya in*

- More, A., *De Bocchari Rege*, Paris, 1903.
- Moret, A., *Historie Ancienne, Histoire de l'Orient*, Tome II, Paris, 1936.
- Murray, M.A., *The Splendour That was Egypt*, New ed, London 196.
- Naville, E., "Did Menephtah Invade Syria", *J.E.A.*, 2, 1915.
- Nelson, H., "The Naval Battle Pictured at Medinet Habu", *J.N.E.S.*, 2, 1943.
- Noshy, I., "Arcesilaus III" *Libya in History*, 1968.
- Olmstead, A.T., "Darius and Behistan Inscription" *A.J.S.I.*, 60, 1938.
- Olmstead, A.T., *History of The Persian Empire*, 5th. Ed, Chicago, 1966.
- Pacho, *Voyage dans la Marmarique la Cyrenaïque*, Paris, 1979.
- Parke, H., *Greek Mercenary Soldiers*, Oxford, 1933. Park, J, and Wormell, *A History of the Delphic Oracle*, I, Black Well 1939.
- Parker, R.A., "Persian and Chronology", *A.J.S.L.* 58, 1941.
- Parker and Dubberslein, *Babylonian Chronology* Providence, 1959.
- Peet, E., *The Great Tomb-Robberies of The*

London, 1956.

Younis S.A., Hellenic Minorities in Ancient Egypt During The Late Period (Ca 664-332 B.C.), Faculty of Archaeology, Cairo University, 1995.

Yoyotte, J, "Les Principales du Delta au Temps de L'anarchie Libyenne", M.I.F.A.O, 66, 1961.

Yoyotte, J, « Notes et documents Pour Servir à l'Histoire de Tanis, Kémi, 21, 1971.

Zibelius, K, Afrikanische Arts-und Völkernamen in Hieroglyphischen und Hieratischen Texten, Wiesbaden.



History, 1968.

Sauneron, S, Yoyotte, J, "La Campagne Nubienne de Psammetique II" B.I.F.A.O, 51, 1951.

Sginnie, P, Meroe, London, 1969.

Spalinger, A, « The Reign of King Chabash, An Interpretation », Z.A.S. 105, 1978.

Steindarff, G, Aniba, I, Hamburg, 1935.

Stevenson Smith, The Art and Architecture of Ancient Egypt, Maryland, U.S.A, 1965.

Tod, M.N, A Selection of Greek Historical Inscription, vol 2 , Oxford, 1962.

Trigger, B.C. et al, Ancient Egypt, A Social History, Cambridge, 1984.

Vandier, J. Manuel d'archéologie Egyptienne, VI, Paris, 1955.

Wainwright, G.A., « Some Sea Peoples and Others in The Hittite Archives », J.E.A., 25, 1939.

Wainwright, G.A., "The Meshwesh", J.E.A, 48, 1962.

Wainwright, G.A. The sky Religion in Egypt, Cambridge, 1938.

Wilson, J, "The Libyans and The End of The Egyptian Empire", A.J.S.L., 21, 1935.

Wiseman, D. J, Chronicles of Chaldaen Kings